كأس الأمم الأفريقية تغيّر البوصلة السياسية للمصريين

ص3

محي الدين طحكوت مفتاح الفساد في تركة بوتفليقة

ص8

متاهة الاستهلاك أنا أستهلك إذن أنا موجود

ص10-13

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/06/23

20 شوال 1440

السنة 42 العدد 11386

Sunday 23/06/2019

42nd Year, Issue 11386

إيران تصعّد مع واشنطن وتلقي بالمسؤولية على الآخرين

حظر غير معلن: شركات الطيران العالمية تتفادى أجواء مضيق هرمز وخليج عمان

طهران – تستمر القيادة الإيرانية في المكابرة والتلويح بردود قاسية على أي هجوم، لكن في نفس الوقت تحاول أن تتبرأ من اتهامها بالتصعيد بإلقاء المسؤولية على آخرين بدلا من إظهار الشجاعة في تحمل نتائج تلك المكابرة، وخاصة إقناع الداخل الإيراني، الذي لم يعد يتحمل المزيد من المغامرات.

ويتزامن هذا مع زيادة أعداد شركات الطيران التي قررت أن تتفادى المرور عبر المجال الجوي الإيراني وفوق مضيق هرمز وخليج عمان، استجابة لتحذيرات أميركية، وهو أمر يضع الإيرانيين تحت الضغط بانتظار خطوات أميركية مفاجئة، مع تأكيد جديد للرئيس دونالد ترامب بأن العمل العسكري بشأن إيران لا يزال مطروحا على الطاولة.

ويحرص المسؤولون الإيرانيون، من المتشددين والمعتدلين، على إطلاق تصريحات علنية قوية بشأن القدرة على مواجهة أي هجمات أميركية محتملة، وهو أمر يفترض أن تكون طهران مستعدة له ليس فقط عسكريا ولكن أيضا من ناحية تحمل المسؤولية في ما قد يحدث من نتائج وعدم تعليق المسؤولية على دول مجاورة بزعم أن طائرة الاستطلاع الأميركية المسيرة قد انطلقت منها، أو أن دعواتها المستمرة لحماية أمن الملاحة دفعت واشنطن إلى إرسال حشود عسكرية إلى المنطقة.

ويقول متابعون لأجواء التصعيد في الخليج إن إيران تحاول أن تظهر بصورة القادر على مواجهة الولايات المتحدة لاستثمار ذلك في تقوية نفوذ المتشددين داخلها، لكنها تعمل بالتوازي على تحميل آخرين مسؤولية التصعيد حتى إذا أحدث الهجوم الأميركي أضرارا بليغة، وجدت السلطات المتشددة جهة ما كمشجب لتبرير هزيمتها أمام الرأي العام الداخلي وأمام الأذرع المناصرة لها في المنطقة.

ونقلت وكالة تسنيم عن عباس موسوي المتحدث باسم وزارة الخارجية قوله "بغض النظر عن أي قرار يتخذه (المسؤولون الأميركيون).. لن نسمح بأي انتهاك لحدودنا. ستواجه إيران بحزم أي عدوان أو تهديد أميركي".

من جانبه، قال العميد أبوالفضل شكارجي الناطق باسم هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الإيرانية في مقابلة مع وكالة تسنيم، إن "إطلاق رصاصة واحدة باتجاه إيران سيشعل مصالح أميركا وحلفائها" في المنطقة.

وبادرت إيران إلى إعدام متعاقد سابق في المنظمة الجوفضائية بوزارة الدفاع بتهمة التجسس لحساب المخابرات المركزية الأميركية (سي.آي.أي)، في خطوة قال مراقبون إنها تظهر الارتباك أكثر من الشجاعة.

وتحاول إيران استثمار تراجع ترامب، عن توجيه ضربات مركزة لمواقع عسكرية تابعة لها، على أنه نصر لخيار التخويف الإعلامي الذي يطلقه المسؤولون البارزون في طهران. لكنها تستمر في الخفاء بالبحث عن "مخارج مشرفة" لأزمتها عبر الوسطاء السريين والعلنيين، وسط توقعات بأن إدارة ترامب لن تفوت فرصة القصاص لإسقاط الطائرة وتوجيه رسالة شديدة لإيران ودفعها إلى التراجع عن سياسة إغراق المنطقة في الأزمات.

ويزور وزير دولة في الخارجية البريطانية إيران، الأحد، ليبحث مع مسؤولين إيرانيين كبار التوتر المتصاعد في الخليج، كما أعلنت، السبت، الخارجية البريطانية.

وقالت الخارجية البريطانية في بيان "في هذه المرحلة من التوتر الإقليمي المتنامي تعطي هذه الزيارة فرصة لمواصلة حوار منفتح وصريح وبناء مع الحكومة الإيرانية".

وأيا كانت الجهة التي بادرت بالوساطة، فإن السلطات المتشددة في طهران أقفلت على نفسها باب الحلول عبر الوساطات بخطابها الانفعالي الذي يظهر أنها صاحبة القرار الأقوى، وأن الأميركيين في موقف ضعف.

ويظهر ترامب هدوءا غير معهود، ويحاول التحكم في نسق تصريحاته، وهو ما يكشف عن أن التحرك ضد إيران ليس مزاجا شخصيا للرئيس الأميركي، وأن الأمر يتعلق بموقف جماعي لمؤسسات القرار الأميركي التي ترى أن موعد الهجوم لم يحن بعد.

وقال الرئيس الأميركي، السبت، إنه سيفرض عقوبات إضافية على إيران في مسعى لمنعها من امتلاك أسلحة نووية، وإن العمل العسكري لا يزال مطروحا.

ويرى محللون سياسيون أن إيران كانت تراهن على أن خلط الأوراق بتهديد أمن الملاحة الدولية واستهداف ناقلات النفط سيدفع إدارة ترامب إلى مراجعة خيار العقوبات، ما يسمح لطهران بالاستفادة من تصدير النفط وتوظيف عائدات في معاركها الخارجية، لكن النتائج كانت عكسية حيث يستمر البيت الأبيض بمراكمة العقوبات.

وأعلن الموفد الخاص الأميركي لإيران براين هوك، السبت، أن العقوبات النفطية ستحرم النظام الإيراني من عوائد قدرها نحو 50 مليار دولار.

بالتوازي باتت إيران في شبه عزلة دولية بعد أن تنادت شركات الطيران إلى تنفيذ الحظر الذي أعلنته إدارة الطيران الأميركية بعدم التحليق فوق المجال الجوي الذي تسيطر عليه إيران فوق مضيق هرمز وخليج عمان.

واتخذت بعض شركات الطيران العالمية تدابير احتياطية بعد الأمر الصادر عن واشنطن وبينها شركات خليجية، والبعض الآخر من أوروبا أو جنوب شرق آسيا، ومن المتوقع أن تتواصل الاستجابة لهذا التحذير بسبب مخاوف من استهداف الطائرات في أجواء يسيطر عليها الغموض والخوف من اندلاع مواجهات مفاجئة.

الإيرانيون يتعايشون مع الشعارات كأمر واقع

نداء تونس: الأولوية لجبهة انتخابية واسعة

تونس - حسمت حكومة يوسف الشاهد أمر النزاع بشأن ملكية حزب نداء تونس لفائدة حافظ قائد السبسي والمجموعة التي معه، والتي باتت تعرف بشق المنستير، وهو ما يفتح الباب أمام استعادة "النداء التاريخي" الذي يعمل الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي على إعادة إحيائه أشهرا قليلة قبل الانتخابات التشريعية والرئاسية لإعادة التوازن للمشهد السياسي.

وفيما اعتبر القرار الحكومي نصرا شخصيا لحافظ قائد السبسي، إلا أن مراقبين يعتقدون أن الأمر يتجاوز النصر الشخصي إلى كونه خطوة توفر أرضية ملائمة لتوحيد الطبقة الوسطية التي كانت تلتف حول نداء تونس وساهمت في فوزه بالبرلمان كقوة رئيسية في 2014 ومنحت الرئيس الباجي قائد السبسي نصرا كاسحا قرئ وقتها على أنه انتصار للنموذج التونسي في مواجهة المشروع الوافد الذي تمثله حركة النهضة.

واستغل حافظ قائد السبسي استعادة شرعية الحزب كفرصة لإعلان رغبته في تجاوز خلافات الماضي سواء مع منافسه سفيان طوبال الذي يتزعم الشق المقابل (شق الحمامات)، أو مع بقية الذين خرجوا عن الحزب في محطات كثيرة وأسسوا أحزابا صغيرة.

ولاقت هذه الدعوة تفاعلا حينيا من الشق المقابل، حيث وجه سفيان طوبال رسالة إلى أبناء نداء تونس، عرض فيها لقاء مختلف الفرقاء بهدف "طي صفحة الخلافات بمنطق الديمقراطية والتوافق والتعالي عن الخصومة المدمرة".

ومن الواضح أن استعادة الشرعية القانونية ستمثل فرصة للحزب والقيادات المؤثرة فيه لتغيير الأداء وتسريع عملية لمّ الشمل، خاصة أن الوقت لا يسير لفائدة الحزب وسط هيمنة واضحة لحركة النهضة الإسلامية على المشهد، وهو ما قد يؤهلها لأن تكون صاحبة القرار الفعلي في المرحلة المقبلة.

وقال خالد شوكات، المدير التنفيذي لحركة نداء تونس، إن قيادة الحزب ستعمل ما في وسعها لكي "يقوم نداء تونس بدوره في حفظ التوازن السياسي وضمان استمرارية النظام الديمقراطي".

وأكد شوكات في تصريح لـ"العرب" أنه بعد استعادة الشرعية القانونية "لن نذهب في طريق التشفي والإقصاء وسنفتح أيدينا لمن نقدّر أنه سيلتزم بنهج البناء والعمل المشترك".

ورفض عادل الجربوعي رئيس المكتب السياسي للحزب (شق الحمامات) التعليق على القرار القضائي باعتباره عضوا في الحكومة وملزما بواجب التحفظ لكنه لم يستبعد إمكانية وحدة الحزب ورصّ صفوفه مجددا.

ويعطي الوضع القانوني لنداء تونس الفرصة لحوارات جديدة محكومة بضرورة الوحدة قبل الانتخابات، والأمر لا يتعلق فقط بالمجموعات الصغيرة التي خرجت من النداء بل حتى للحزب الذي يشرف عليه رئيس الحكومة، حزب "تحيا تونس" الذي يحاط بهالة إعلامية كبيرة لكن نتائج استطلاعات الرأي غير مطمئنة وتوحي بأن الحزب لو استمر في الهروب إلى الأمام قد يكون ضحية للمكابرة.

ويمكن أن يوفر الحديث عن مبادرة توحيدية للرئيس السبسي أملا جديدا لحزب النداء في أن يلعب الجميع دورا شبيها بما جرى في 2014 وإن كان سقف التوقعات أقل بسبب الخيبة التي تركها التحالف مع النهضة في نفوس أنصاره.

ويقول خالد شوكات "ليست هناك مبادرة واضحة المعالم لكن لن تكون لدينا مشكلة إذا كانت هناك مبادرة جدية من قبل الرئيس وجميع الأطراف التي ترفض أن تتشتت الساحة الحزبية"، مشددا على أن "نداء تونس مستعد للأمر".

ويعتقد أنيس معزون، القيادي في حزب نداء تونس، أن "هناك محاولة لاستعادة وحدة الصف داخل حركة نداء تونس مع اقتراب الاستحقاقات الانتخابية"، مشيرا إلى أن "حالة التشتت ستؤدي بنا إلى الخسارة، وأنه حان الوقت للتعقل والتجمّع من جديد للمشاركة في الانتخابات في أفضل ظروف". واستبعد معزون في تصريح لـ"العرب" أن يعود الحزب كالسابق "لكن نحاول أن نتجاوز أكثر ما يمكن من الخلافات".

خالد شوكات

حزب نداء تونس يفتح أبوابه لمن يريد العمل المشترك

أنيس معزون

حان الوقت للم الشمل ودخول الانتخابات في وضع أفضل

وأضاف أن الجبهة التي ألمح إليها الرئيس التونسي معقولة لأن "الأحزاب، التي تشكلت هي فروع عن حزب النداء تستطيع أن تؤسس لجبهة تقدمية ندائية حين نغلب المصلحة العامة للحزب قبل المصالح الشخصية".

مشروعات ضخمة في مصر والأردن ولبنان لتسويق صفقة القرن

خطة ترامب تعد بضخ مليارات لبناء ممر بين الضفة والقطاع وتنشيط الاقتصاد الفلسطيني

واشنطن – قال مسؤولون أميركيون ووثائق إن خطة إدارة الرئيس دونالد ترامب الاقتصادية للسلام في الشرق الأوسط التي يبلغ حجمها 50 مليار دولار تدعو إلى إقامة صندوق استثمار عالمي لدعم اقتصاديات الفلسطينيين والدول العربية المجاورة وبناء ممر بتكلفة خمسة مليارات دولار يربط بين الضفة الغربية وقطاع غزة.

وقد يكون من الصعب إقناع منطقة متشككة إلى حد كبير بخطة "الاقتصاد أولا" لاستئناف عملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية المتعثرة.

وقالت الوثائق إن الخطة تشمل 179 مشروعا للبنية الأساسية وقطاع الأعمال. ومن المقرر أن يقدم جاريد كوشنر صهر ترامب الخطة خلال مؤتمر دولي في البحرين هذا الأسبوع.

وسيتم إنفاق أكثر من نصف الخمسين مليار دولار في الأراضي الفلسطينية المتعثرة اقتصاديا على مدى عشر سنوات في حين سيتم تقسيم المبلغ المتبقي بين مصر ولبنان والأردن. وستقام بعض المشروعات في شبه جزيرة سيناء المصرية التي يمكن أن تفيد الاستثمارات فيها الفلسطينيين الذين يعيشون في قطاع غزة المجاور.

وتقترح الخطة أيضا نحو مليار دولار لبناء قطاع السياحة الفلسطيني وهي فكرة تبدو غير عملية في الوقت الحالي في ضوء المواجهات التي تندلع بين الحين والآخر بين القوات الإسرائيلية ومقاتلي حركة حماس التي تحكم غزة والأمن الهش في الضفة الغربية المحتلة.

وقال كوشنر لرويترز إن إدارة ترامب تأمل بأن تغطي دول أخرى، وبشكل أساسي دول الخليج، ومستثمرو القطاع الخاص قدرا كبيرا من هذه الميزانية.

وأوضح كوشنر أنه يرى أن خطته المفصلة ستغير قواعد اللعبة على الرغم من أن الكثيرين من خبراء الشرق الأوسط يرون أنه لا توجد أمامه فرصة تذكر للنجاح حيث أخفقت جهود السلام التي دعمتها الولايات المتحدة على مدى عقود.

وقال عن الزعماء الفلسطينيين الذين رفضوا خطته بوصفها محاولة لإنهاء طموحاتهم بإقامة وطن: أضحك عندما يهاجمون ذلك بوصفها "صفقة القرن". (...) تلك ستكون "فرصة القرن" إذا كانت لديهم الشجاعة للالتزام بها.

وتسود شكوك عميقة في استعداد الحكومات المانحة المحتملة لتقديم مساهمات في أي وقت قريب ما دامت الخلافات السياسية الشائكة التي تمثل لب الصراع الإسرائيلي الفلسطيني المستمر منذ عقود لم تحل.

ويقول محللون ومسؤولون أميركيون سابقون إن كوشنر (38 عاما) يتعامل مع إحلال السلام بطرق مشابهة لصفقات الأعمال. ودخل كوشنر عالم السياسة، مثل ترامب، بعد أن توغل في عالم صفقات المال والعقارات في نيويورك.

ويرفض مسؤولون فلسطينيون جهود السلام التي تقودها الولايات المتحدة في المجمل بوصفها منحازة بشدة لصالح إسرائيل ولأنها ستحرمهم على الأرجح من قيام دولة ذات سيادة كاملة.

ويقول العديد من الخبراء إن محاولة كوشنر تحديد الأولويات الاقتصادية أولا وتهميش الجوانب السياسية تتجاهل حقائق الصراع.

وقال آرون ديفيد ميلر، وهو مفاوض سابق في ملف الشرق الأوسط وعمل مع إدارات أميركية جمهورية وديمقراطية، "هذا خارج عن السياق تماما لأن جوهر القضية يكمن في جروح تاريخية ومطالبات متناقضة بالسيادة على الأرض وعلى مواقع مقدسة".

ويعترف كوشنر بأن "من غير الممكن أن تدفع بخطة اقتصادية قدما دون حل القضايا السياسية أيضا... (سنناقش) ذلك في وقت لاحق"، في إشارة إلى المرحلة الثانية من الكشف عن خطة السلام والتي ليس من المتوقع أن يحل موعدها قبل نوفمبر.

ويقول كوشنر إن نهجه يهدف إلى عرض الحوافز الاقتصادية ليظهر للفلسطينيين إمكانية وجود مستقبل مزدهر لهم إذا عادوا إلى طاولة التفاوض من أجل التوصل إلى اتفاق سلام.

الاستثناء المغربي مجدّدا

خيرالله خيرالله

ص4

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

الموريتانيون يختارون رئيسا جديدا أمام مخاوف من حدوث تزوير

إقبال كبير على مراكز الاقتراع في انتخابات الرئاسة الموريتانية

أدلى الموريتانيون السبت بأصواتهم لانتخاب رئيس لهم تترتب عليه حماية الاستقرار في هذا البلد الواسع الواقع في منطقة الساحل، وتحسين الوضع الاقتصادي والأداء في مجال حقوق الإنسان. ويشكل هذا الاقتراع أول انتقال سلمي للسلطة من رئيس انتهت ولايته إلى آخر منتخب في موريتانيا التي هزتها سلسلة انقلابات بين 1978 و2008.

الموريتانيون يصوتون لانتقال غير مسبوق للسلطة

كيسيما دياجانا

نواكشوط - لأول مرة منذ استقلال موريتانيا قبل 59 عاما، بدأ الموريتانيون الإدلاء بأصواتهم السبت لاختيار رئيس منتخب ديمقراطيا فيما تشير تكهنات قوية إلى فوز وزير دفاع سابق تقوم حملته على استمرار الوضع الراهن.

وفتحت مراكز الاقتراع أبوابها لاختيار من سيحل محل الرئيس محمد ولد عبدالعزيز (62 عاما) الذي تولى السلطة في انقلاب عام 2008، ومنذ ذلك الحين وهو حليف للقوى الغربية في حربها على الإسلاميين المتشددين.

ويترك ولد عبدالعزيز منصبه بعد أن قضى فترتين رئاسيتين مدة كل منهما خمس سنوات وهو الحد الأقصى لتولي الرئاسة، ويدعم محمد ولد الغزواني (62 عاما) وهو وزير دفاع سابق. ومع ذلك، قد يحافظ ولد عبدالعزيز على نفوذ كبير من وراء الكواليس. ولم يستبعد في مؤتمر صحافي الخميس الترشح مرة أخرى بعد خمس سنوات.

> الخصوم الخمسة لمرشح السلطة، يتحدثون عن محاولة لإطالة أمد نظام الرئيس محمد ولد عبدالعزيز ويخشون حدوث عمليات تزوير

ويعتقد جيلز يابي، مؤسس مركز أبحاث غرب أفريقيا، أن الغزواني هو الأوفر حظا للفوز في الانتخابات، ومن المرجح أن يواصل الحكم على نهج ولد عبدالعزيز، لكن لا يزال بإمكانه أن يحقق مفاجأة. وأضاف يابي "الغزواني شخص حصيف للغاية. قد لا يكون التغيير مجرد تجميل".

وشهدت مراكز الاقتراع إقبالا كبيرا في ملعب نواكشوط الأولمبي، حيث تشكلت صفوف انتظار مع فتح المركز في مشهد غير معهود في هذا الحي الراقي. وقال الناخب العالم عبدالباقي، الذي وصل في وقت مبكر لأداء واجبه الانتخابي، "أجد في برنامج المرشح كل ما يلبي تطلعاتي"، دون أن يكشف عن المرشح الذي سيصوّت له. أما عبدالله ولد الفتاح فقد عبّر عن تأييده لـ"التغيير السلمي". وقال "نريد تغييرا جذريا، أي المساواة والتعليم والعدالة الاجتماعية."

وتتركز الانتقادات لموريتانيا على احترام الحقوق الأساسية في مجتمع يتسم بعدم المساواة وبالتناقض بين أوضاع العرب البربر الحرّاطين (أحفاد العرب البربر الذين يقاسمونهم ثقافتهم) والمجتمعات الأفريقية الموريتانية التي تتحدث عموما اللغة الأم لإثنيات جنوب الصحراء.

ومن جهتها، أكدت الناخبة فاطمتو أحمد أن "التجديد مهم جدا لنا نحن النساء".

وإضافة إلى الغزواني يتنافس خمسة مرشحين آخرين. وتحدث الخصوم الخمسة لمرشح السلطة الضابط السابق محمد ولد شيخ محمد أحمد، الملقب بولد الغزواني، عن محاولة لإطالة أمد نظام الرئيس محمد ولد عبدالعزيز ويخشون حدوث عمليات تزوير.

واستقطب رئيس الوزراء السابق سيدي محمد ولد ببكر، المدعوم من أكبر حزب إسلامي في موريتانيا، حشودا كبيرة خلال الحملة الانتخابية ويعتبر المنافس الرئيسي للغزواني. وجمع المرشح المستقل ولد بوبكر المدعوم من تحالف واسع يضم في صفوفه حزب تواصل الإسلامي وهو أكبر حزب معارض، وكذلك رجل الأعمال الثري محمد ولد بوعماتو الذي يتمتع بنفوذ كبير، الآلاف من أنصاره مساء الخميس في معلب رياضي في نواكشوط. وحذّر من عمليات تزوير كغيره من مرشحي المعارضة الآخرين بمن فيهم بيرام ولد الداه ولد عبيد الناشط في مكافحة العبودية الذي ترشح لانتخابات 2014. وقد اتفق هؤلاء جميعا على دعم بعضهم في حال جرت دورة ثانية من الانتخابات في السادس من يوليو.

وتركزت الحملة الانتخابية للغزواني على مواصلة التقدم الاقتصادي والأمني في عهد ولد عبدالعزيز. وقد جدد الرئيس الموريتاني مساندته ودعوته للتصويت لمرشح حزبه حزب الاتحاد من أجل الجمهورية محمد ولد الغزواني، وحذر من أن عدم فوزه قد يدخل البلاد في دوامة من عدم الاستقرار ومن الفساد والنهب وانعدام فرص استمرار مسيرة التنمية والبناء والاستقرار. لكن المرشح الذي يبدو المنافس الأكبر له، سيدي محمد ولد بوبكر الذي ترأس حكومة انتقالية من 2005 إلى 2007، قال في تصريحات صحافية إن "غالبية الموريتانيين يرغبون في طي صفحة السنوات العشر الأخيرة".

ويشهد اقتصاد البلاد نموا وسيتلقى دفعة عندما يبدأ حقل غاز بحري كبير الإنتاج في أوائل العقد المقبل. وبدأ السياح العودة لرحلات الصحراء في موريتانيا بعد العزوف عنها لسنوات بسبب سلسلة من عمليات الخطف في عام 2009.

وفي السنوات الأخيرة، تجنّبت موريتانيا هجمات الإسلاميين المتشددين المرتبطين بتنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية والتي أثّرت بشدة على بلدان أخرى في منطقة الساحل بغرب أفريقيا مثل مالي المجاورة وبوركينا فاسو.

وتشير وثائق لتنظيم القاعدة عثر عليها في مخبأ أسامة بن لادن في باكستان عام 2011 إلى أن قادة التنظيم ناقشوا اتفاقا محتملا للسلام في العام السابق مع الحكومة الموريتانية يتضمن الإفراج عن سجناء ودفع مبالغ مالية. ونفت الحكومة الموريتانية وجود مثل هذا الاتفاق وأرجعت نجاحها في منع هجمات المتشددين إلى عمل المخابرات وإعادة تأهيل المتشددين المسجونين.

وحاول مرشحو المعارضة، ومن بينهم ناشط بارز مناهض للعبودية، الاستفادة من حالة الاستياء وسط الشباب بسبب رواتبهم المتدنية وسوء الرعاية الصحية. وما لم يحصل أحد المرشحين على أكثر من 50 بالمئة من الأصوات، فستجرى جولة ثانية للانتخابات الشهر المقبل.

وكان محمد ولد عبدالعزيز وصل إلى السلطة على إثر انقلاب ثم انتخب في 2009 وأعيد انتخابه في 2014 في اقتراع قاطعته أحزاب المعارضة الرئيسية. وقد أمّن استقرار هذا البلد الذي يبلغ عدد سكانه 4.5 ملايين نسمة وشهد في بداية الألفية اعتداءات جهادية وعمليات خطف أجانب، عبر اتباع سياسة تقضي بتعزيز الجيش وتشديد مراقبة الأراضي وتنمية المناطق النائية.

اعتقال المتظاهرين يعرّض الجيش الجزائري لمزيد من الانتقادات

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر - استطاعت الجمعة الثامنة عشرة من الحراك الجزائري، أن تجنب البلاد الانزلاق في نزعة الجهوية والعنصرية التي استعرت بقوة في الأسابيع الأخيرة، بسبب تصاعد الخلافات حول مسائل محلية تتصل بالخصوصيات الثقافية واللغوية، لاسيما بعد إيعاز قيادة الجيش لمصالح الأمن للتشدد في التعاطي مع المحتجين المحسوبين على القطب الأمازيغي.

وندد قوى سياسية وحقوقية في الجزائر، بتوقيف عدد من الناشطين من طرف مصالح الأمن، على خلفية مشاركتهم في مسيرة الجمعة، وطالبت بإطلاق سراحهم الفوري، لغياب أدلة الإدانة المنتظر أن توجه لهم خلال المحاكمة.

ونظم سكان بلدة الناصرية بمحافظة بومرداس (50 كلم شرقي العاصمة)، مسيرة شعبية ليل الجمعة إلى السبت احتجاجا على توقيف الشاب بلال باشا، من طرف قوات الأمن في العاصمة، لمّا كان بمعية رفاقه بصدد الانضمام إلى جموع المتظاهرين في الجمعة الثامنة عشرة من عمر الحراك الشعبي.

وطالب حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية المعارض، والرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان، بإطلاق سراح جميع الموقوفين، وكف السلطة عن الممارسات القمعية رغم مزاعم إسقاط نظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، كما حذرت من مغبة الاستمرار في سياسة استفزاز سكان جهة معينة من البلاد.

وأفاد المحامي والحقوقي صالح دبوز، بأن ثمانية شبان على الأقل تم توقيفهم من طرف مصالح الأمن بالعاصمة، ومن المنتظر إحالتهم على القضاء الأحد، بتهم التجمهر غير القانوني، والمشاركة في مظاهرة غير مرخص بها، وهي التهم التي يعاقب عليها بين شهرين وسنتين من السجن النافذ، فضلا عن غرامة مالية تقدر بنحو 500 دولار أميركي.

ويرى مراقبون سياسيون، بأن الحراك الجزائري تجاوز منعرجا خطيرا في الجمعة الأخير، بعدما احتوى النزعة الجهوية والعنصرية التي أثيرت بقوة في الأسابيع الأخيرة من طرف دوائر مختلفة، وتجسدت بأوامر قيادة الجيش لمصالح الأمن بقمع حاملي رايات الهوية الأمازيغية، وغلق مداخل العاصمة وتخومها أمام توافد المتظاهرين القادمين من مدن وبلدات منطقة القبائل.

وتحوّل سيناريو الاصطدام بين أنصار الثقافة الأمازيغية وقوات الأمن، وربما الانزلاق للعنف والفوضى إلى هجوم شرس على شخص قائد أركان الجيش الجنرال أحمد قايد صالح، وإلى تعبير عن الوحدة والتماسك بين جميع مكونات المجتمع الجزائري (العرب، الأمازيغ، الشاوية، الطوارق والميزابيين)، وخرجت أعداد لافتة من المحتجين في العاصمة ومختلف مدن ومحافظات الجمهورية، للتنديد بما وصف بـ"مخطط إجهاض الحراك الشعبي، وإغراقه في المسائل الهامشية، بدل التركيز على المطالب الأساسية الداعية لرحيل النظام وتحقيق التغيير السياسي الشامل".

وتعرض خطاب قائد أركان الجيش إلى انتقادات شديدة من طرف الشارع الجزائري ومن مختلف القوى السياسية المعارضة، بعدما عمل على إثارة نعرات جهوية وعرقية بين أفراد الشعب، بدعوى احترام سيادة الراية الوطنية الرسمية، .

وذكرت تدوينة لرئيس حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية محسن بلعباس، بأن "الجنرال قايد صالح، الذي يتمسك بشدة ببنود الدستور عندما يتعلق الأمر بالانتقال السياسي في البلاد، تجاهل البنود الدستورية التي تعتبر الأمازيغية مكونا من مكونات الهوية الوطنية واللغة الأمازيغية لغة وطنية".

وتصاعدت حدة الهجوم على قيادة الجيش من طرف المحتجين في الجمعة الثامنة عشرة بشكل لافت، حيث رفع بعض المتظاهرين شعارات ورددوا هتافات قوية لأول مرة ضد الجنرال قايد صالح.

ولا تزال مآلات المشهد الجزائري مبهمة ببقاء الوضع السياسي في مربع الصفر، فبعد إسقاط انتخابات بوتفليقة في الثامن عشر من أبريل الماضي، وإلغاء موعد الرابع من يوليو بسبب إصرار الحراك على عدم الذهاب لأي انتخابات تنظمها السلطة الموروثة عن نظام بوتفليقة، يتطلع الجزائريون للوضع الجديد بداية من التاسع يوليو القادم، عندما تنتهي المهلة القانونية للرئيس المؤقت الحالي عبدالقادر بن صالح.

ولم تتمكن سلطة الأمر الواقع التي اضطلعت بها المؤسسة العسكرية منذ تنحي بوتفليقة، من وضع آليات للحوار السياسي الذي دعا إليه الجنرال قايد صالح، ولا الهيئة المستقلة لتنظيم ومراقبة الانتخابات، ولا تزال المؤسسة متمسكة بخيار الحلول الدستورية.

ويرى متابعون للشأن الجزائري، بأن البلاد مقبلة على سيناريوهين اثنين بعد التاسع من يوليو، يتمثل الأول في إعلان العسكر للحالة الاستثنائية في البلاد، والاضطلاع الصريح بقيادة البلاد سياسيا، بسبب الفراغ المؤسساتي، أما الثاني فيتمثل في التمديد للرئيس المؤقت الحالي بن صالح، إلى غاية تنظيم انتخابات جديدة، وفق القراءة الدستورية المعلن عنها في وقت سابق من طرف المجلس الدستوري.

مطالب التغيير موحدة

تجدد الاشتباكات بمحيط مطار طرابلس الدولي في ليبيا

طرابلس (ليبيا) – تجددت المواجهات المسلحة، السبت، في محيط مطار طرابلس الدولي بين قوات حكومة الوفاق الليبية وقوات الجيش الليبي بقيادة اللواء المتقاعد خليفة حفتر، في وقت يلتقي الأخير فيه المبعوث الأممي غسان سلامة في مدينة بنغازي (شرق).

وقالت وسائل إعلام إن صدى المواجهات يسمع بوضوح في محيط المطار، مع ملاحظة تصاعد أعمدة الدخان. وقد توقفت حركة الملاحة الجوية بمطار معيتيقة الدولي بالعاصمة طرابلس، مساء الجمعة، بعد سقوط عدد من القذائف العشوائية داخل المطار، بحسب مصدر عسكري. ومعيتيقة، المطار المدني الوحيد الذي يعمل في العاصمة الليبية حاليا، وعند توقفه تتم إحالة كل الرحلات إلى مطار مصراتة.

يؤكد المشير خليفة حفتر عدم إيقاف العملية العسكرية للسيطرة على طرابلس، ويعتبر أن المناخ السياسي الملائم سيتوفر عقب انتهاء العملية. وبحسب ما أكدت مصادر من داخل قوات الجيش ووسائل إعلام محلية، أحرز الجيش الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر تقدما ميدانيا على حساب الميليشيات في طرابلس حيث يستعد للدخول إلى مركز العاصمة، فيما تشهد الميليشيات التابعة لحكومة الوفاق تفككا.

وأعلنت الكتيبة 185 مشاة، بقيادة العقيد محمد مفتاح الغدوي، المُنتشرة في العاصمة طرابلس، انشقاقها عن القوات الموالية لحكومة السراج، وانضمامها إلى صفوف الجيش الليبي.

ونشرت شعبة الإعلام الحربي التابعة للجيش الليبي، مقطع فيديو يوثق انشقاق الكتيبة التابعة للواء الثاني مُشاة بقيادة اللواء فيتوري غريبيل، والتحاقها بالجيش الليبي بكامل ضباطها وأفرادها، ومعداتها وعتادها من أسلحة وآليات وذخائر.

وأشارت في بيان لها، إلى تأييدها للعملية العسكرية للجيش الليبي ضد الإرهابيين والجماعات المُسلحة في طرابلس.

ووفق ما ذكرت وكالة الأنباء الليبية، الأربعاء، سيطرت قوات الجيش على معسكر النقلية بطريق المطار جنوب طرابلس، وأكدت أيضا أن الجيش يتقدم باتجاه مركز طرابلس. وأعلنت قوات الجيش الليبي أنها ألحقت بالميليشيات في طرابلس "خسائر فادحة في الأرواح والعتاد بعد معارك استمرت 6 ساعات خلال الهجوم الفاشل على مطار طرابلس الدولي".

وقالت البعثة الأممية عبر موقع فيسبوك عقب لقاء المبعوث الأممي غسان سلامة للمشير خليفة حفتر في مدينة بنغازي إن اللقاء تطرق إلى الأسباب التي أدت إلى اندلاع الاشتباكات الحالية، فضلا عن مناقشة الوضع الإنساني في طرابلس. وأضافت البعثة أن الطرفين بحثا سبل الإسراع في الانتقال إلى مرحلة الوصول إلى حل سياسي.

وبدأت قوات الجيش الليبي التي يقودها حفتر وتدعمها السلطات في شرق البلاد منذ الرابع من أبريل عملية عسكرية في العاصمة طرابلس ومحاورها مستهدفة الميليشيات الإرهابية، وأطلقت على العملية تسمية "طوفان الكرامة". ورفض المشير حفتر المبادرة التي تقدم بها رئيس المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق فايز السراج، حيث اعتبرها "مفتقدة للجدية وخالية من بنود معالجة الأزمة".

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

ترامب لا يستعمل «صفقة القرن» في وصفه لخطة السلام

نهج غير تقليدي يتبناه الرئيس الأميركي في الدبلوماسية

يطرح البيت الأبيض الجزء الأول من خطة الرئيس دونالد ترامب التي طال انتظارها للسلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين في مؤتمر بالبحرين أواخر يونيو الجاري. ورغم الجدل الذي أثارته هذه الخطة والتنديد العربي بمضامينها بسبب انحيازها الصارخ إلى إسرائيل، إلا أنه يبدو لافتا أن ترامب لم يستخدم مصطلح "صفقة القرن" إعلاميا إلى الآن، ليثبت بذلك أنه يتبنى نهجا غير تقليدي في الدبلوماسية الأميركية ويتصرف كقطب عقارات وليس كرجل سياسة.

سلام ترامب مشكوك فيه

رام الله (فلسطين)- "صفقة القرن" مصطلح غالبا ما تنسبه وسائل الإعلام، ومن بينها وسائل إعلام دولية مثل وكالة فرانس برس، إلى الرئيس الأميركي وإدارته لوصف خطة السلام المنتظرة التي أعلن دونالد ترامب عن طرحها لحل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. ويتردد أنها تقوم على إجبار الفلسطينيين على تقديم تنازلات مجحفة لمصلحة إسرائيل، بما فيها وضع مدينة القدس الشرقية المحتلة، وحق عودة اللاجئين.

وتوحي هذه العبارة بنهج غير تقليدي في الدبلوماسية مستوحى من ماضي الرئيس الأميركي كرجل أعمال صاحب مشاريع عقاريّة. لكن الواقع أن فرانس برس لم تعثر على أي تصريح أو تسجيل له استخدم فيه مثل هذه العبارة، أقلّه علنا. وأول من استخدم مصطلح "صفقة القرن" كان الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي عام 2017 في أعقاب اجتماع مع ترامب.

مصدر العبارة

بعد وقت قصير من فوز ترامب المفاجئ في الانتخابات الرئاسية الأميركية في نوفمبر 2016، أجرت صحيفة "وول ستريت جورنال" مقابلة معه، وصف فيها النزاع الإسرائيلي الفلسطيني بأنه "حرب لا تنتهي"، مبديا أمله في التوصل إلى إحلال السلام بين الطرفين. وقال "إنّها الصفقة الأهمّ"، مضيفا "بصفتي صانع صفقات، أودّ أن أنجز الصفقة التي لا يمكن إنجازها، والقيام بذلك من أجل الإنسانيّة".

وفي الثالث من أبريل 2017، استقبل ترامب الرئيس المصري في البيت الأبيض. وفي تصريحاته الصحافية باللغة العربية، قال عبدالفتاح السيسي لترامب "ستجدونني وبقوة داعما بشدة لكل الجهود التي ستبذل من أجل إيجاد حل لقضية القرن في صفقة القرن"، مبديا ثقته في أن الرئيس الأميركي "سيستطيع إنجازها". لكنّ ترجَمة تصريحات السيسي إلى الإنكليزية تحدثت عن إيجاد حل "لمشكلة القرن" دون ذكر كلمة "صفقة".

انتشار العبارة

بعد ذلك، ظهر مصطلح "صفقة القرن" في وسائل الإعلام العربية وعلى الإنترنت وبدأ في الانتشار.

وفي مايو 2017، التقى رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس ترامب في البيت الأبيض، لكنه أشار فقط إلى "صفقة سلام تاريخية" دون استخدام عبارة "صفقة القرن". وعند لقائهما مجدّدا في سبتمبر، شدّد عباس باللغة العربية خلال مؤتمر صحافي على "جدية الرئيس ترامب في أنه سيأتي بصفقة العصر للشرق الأوسط خلال العام أو الأيام القادمة".

لكن الترجمة الفورية إلى الإنكليزيّة والتي نقل البيت الأبيض عن عباس كلامه عن "صفقة القرن"، كانت ربّما أول مرّة سَمع فيها ترامب هذه العبارة علنا.

وفي نوفمبر 2017، تحدثت وكالة الأنباء الفلسطينية الرسمية بدورها عن "صفقة القرن".

وعلّقت القيادة الفلسطينية في ديسمبر 2017 الاتصالات مع البيت الأبيض بعدما اعترف ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل. وبعد ذلك اتخذت عبارة "صفقة القرن" طابعا سلبيا في الخطاب الرسمي الفلسطيني، إذ أخذ المسؤولون الفلسطينيون يستخدمونها لانتقاد مقترحات ترامب والتنديد بالنهج الدبلوماسي لقطب العقارات السابق، ويأتي ذلك ردا على انحيازه الصارخ لحليفة الولايات المتحدة التاريخية إسرائيل.

وباتت العبارة تستخدم للإشارة إلى خطة السلام المرتقبة التي أعلن ترامب أنه يعتزم طرحها لتسوية النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. كما تسرّبت إلى الصحافة باللغات الأجنبيّة، بدءا بالإنكليزيّة، منسوبة لترامب.

> «صفقة القرن» عبارة توحي بنهج ترامب غير التقليدي في الدبلوماسية مستوحى من ماضيه كرجل أعمال، لكن لم يعثر على أي تصريح له استخدم فيه مثل هذه العبارة

وكتبت صحيفة وول ستريت جورنال في يناير 2019، أن ترامب "تحدث مرارا وتكرارا عن رغبته في إنجاز صفقة القرن لحل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني".

كما أشارت وكالة رويترز إلى "الجهد الدبلوماسي الذي أشرف عليه ترامب لإتمام صفقة القرن".

وكتبت صحيفة نيويورك تايمز في 9 مايو أن ترامب وصهره جاريد كوشنر الذي عيّنه مستشارا له وكلفه بملف الشرق الأوسط "مستعدان للكشف عن الجزء الأول مما وصفه الرئيس بصفقة القرن".

وأوردت وكالة فرانس برس في الأول من يونيو 2019، في خبر "الخطة التي يصفها ترامب بصفقة القرن".

والواقع أن وكالة فرانس برس لم تعثر على أي تصريح، سواء لترامب أو لأي من كبار مسؤوليه، يستخدمون فيه هذه العبارة، أقلّه علنا. وقد ترد هذه العبارة بشكل متكرّر خلال المؤتمر الاقتصادي الذي تنظمه الولايات المتحدة الأسبوع المقبل في البحرين حول الشق الاقتصادي لخطة السلام في الشرق الأوسط.

وأعرب العديد من المسؤولين في واشنطن عن دهشتهم وحذرهم حيال نسب التعبير لترامب وحيال انتشاره بهذا الشكل، ردا على أسئلة فرانس برس. وفي تصريح للوكالة الفرنسية نأى مبعوث ترامب إلى الشرق الأوسط جيسون غرينبلات بنفسه عن عبارة "صفقة القرن".

وقال غرينبلات، أحد مهندسي مؤتمر المنامة، "ليست تسمية نود استخدامها. استُخدمت بطريقة تحقيريّة في بعض وسائل الإعلام وغيرها"، مضيفا "سنقدم رؤية واقعية قابلة للتنفيذ من أجل السلام".

ويقاطع الفلسطينيون "ورشة" البحرين ويرفضون الخطة الأميركية مسبقا، مشيرين إلى أن تصرفات الإدارة الأميركية تعكس انحيازا صارخا لصالح إسرائيل.

ويقول مسؤولون أميركيون إنه سيتم خلال "الورشة" عرض مشاريع كبيرة للتنفيذ في الأراضي الفلسطينية ولكن دون الكشف عن الشق السياسي من الخطة، التي سبق للرئيس الأميركي دونالد ترامب أن قال إنها ستسقط القدس واللاجئين من طاولة المفاوضات.

غريفيث يستأنف مباحثاته مع اليمنيين

نيويورك - يستأنف المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث، مباحثاته مع الأطراف المتصارعة، نهاية الأسبوع الجاري، بلقاء مسؤولين حكوميين يمنيين وسعوديين، بالعاصمة الرياض، بعد توقف دام لشهرين. وقالت مصادر دبلوماسية في الأمم المتحدة إن غريفيث سيستأنف عمله بالتشاور مع الأطراف اليمنية لبحث تطورات الأزمة.

وأوضحت أن اللقاء سيكون هو الأول بين المبعوث الأممي ومسؤولين حكوميين يمنيين منذ نحو شهرين، بعد توتر العلاقة بين الجانبين عقب اتهام الحكومة اليمنية لغريفيث بـ"القيام بتجاوزات وعدم الحياد في مهامه".

ولأكثر من مرة، اتهم الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي، المبعوث الأممي، بـ"التماهي مع مسرحيات الحوثيين في الالتفاف على اتفاق السويد بشأن الانسحاب من محافظة الحديدة". ويشير هادي بذلك إلى إعلان الحوثيين قبل أكثر من شهر، إعادة الانتشار من طرف واحد من موانئ الحديدة بالتنسيق مع المبعوث الأممي، وهو ما رفضه الجانب الحكومي بدعوى أنها مجرد "خدعة" حوثية، فيما رفض "غريفيث" تلك الاتهامات.

وانتهت الأزمة مع المبعوث الأممي في 11 يونيو الجاري، بعد أن أعلنت الرئاسة اليمنية أن الرئيس هادي تلقى ضمانات من الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش بالتزام غريفيث، بالمرجعيات الثلاث وضمان تنفيذ اتفاق الحديدة بشكل صحيح وفقاً للقرارات الدولية والقانون اليمني، وأن تطبيق اتفاق ستوكهولم هو الطريق السليم لأي خطوات قادمة.

وجاءت هذه الضمانات، خلال لقاء هادي في الرياض، مع مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون السياسية، روزماري ديكارلو؛ بهدف حل الأزمة بين الحكومة اليمنية وغريفيث.

وتحدثت الرئاسة اليمنية حينها أن اللقاء بين الجانبين كان بناء ومثمرا وتناول كافة القضايا المتعلقة بمشاورات السلام، بالإضافة إلى مناقشة العودة إلى التنفيذ الكامل لاتفاق ستوكهولم.

وأعلنت الجماعة الحوثية المتمردة على الشرعية، في 14 مايو الماضي، أنها اختتمت المرحلة الأولى من إعادة الانتشار في محافظة الحُديدة (غرب) وموانئها، وهي: الحُديدة، الصليف، ورأس عيسى. لكن الحكومة اتهمت حينها الحوثيين، بأنهم سلموا الموانئ لعناصر تابعة لهم، بما يخالف اتفاق السويد.

بطولة الأمم الأفريقية تغيّر البوصلة السياسية للمصريين

أحمد جمال
صحافي مصري

القاهرة - حقق حفل الافتتاح المبهر لبطولة كأس الأمم الأفريقية، مساء الجمعة، جملة من الأهداف السياسية للحكومة المصرية، وأظهرها في صورة مغايرة عن تلك التي تنقلها بعض وسائل الإعلام، حين يقع حادث إرهابي هنا أو هناك فتبدو أجهزتها كأنها متقاعسة أو عاجزة عن صده.

ويوحي انعقاد البطولة الكبيرة والتنظيم الجيد لها باسترداد الدولة لقدر كبير من عافيتها، بعد سنوات من التوتر وعدم الاستقرار، ويمكن أن يخلق انطباعات إيجابية تبدد بعض الهواجس من توالي الأزمات الاقتصادية.

وساهم التفاف قطاع كبير من المواطنين حول النوادي والساحات وشاشات التلفاز لتشجيع المنتخب المصري، في تسويق الحدث كأنه التفاف حول سياسات الحكومة، حيث ابتعدوا عن الانغماس في أزمات معيشية أربكت فئات كثيرة الفترة الماضية، عقب توالي الارتفاع في الأسعار.

ومع أن موعد انطلاق البطولة جرى تحديده مسبقا، غير أن توقيته كان بالغ الأهمية من الناحية السياسية، لأنه جاء بعد أيام قليلة من وفاة الرئيس الإخواني المعزول محمد مرسي، وتجدد حالة الاستقطاب في الداخل، مدعومة بحشد إعلامي وسياسي قطري وتركي، والعودة الكثيفة لخطاب المظلومية السياسية لجماعة الإخوان، غير أن حفل الافتتاح اللافت نجح في إحداث تغيير نسبي في بوصلة الاهتمامات وتحويلها تجاه الحدث القاري الكبير.

ويرى البعض من المراقبين أن هناك استعدادا من قبل المواطنين للخروج من حالة الضيق العام، نتيجة عدم القدرة على التعايش مع الغلاء الذي يعانون منه منذ قرار تحرير أسعار الصرف قبل ثلاثة أعوام، ومحاولة استحضار مواقف سابقة جيدة حققت الرياضة فيها انتصارات تحولت إلى متنفس مقبول للتخلص من الضغوط والأزمات.

لدى محمد إبراهيم – موظف حكومي مصري وأب لأربعة من الأبناء– قناعة بأن حالة اصطفاف الجمهور حول الأحداث الرياضية من بين عوامل التأثير المهمة على الحالة المزاجية العامة، لوجود رغبة كامنة داخل شريحة كبيرة من المواطنين بأهمية تحسن الأوضاع وانعكاس ذلك على حياتهم الشخصية، وهو ما يدفع بشكل تلقائي للترحيب بأي إنجاز، حتى وإن كان مؤقتا.

وأوضح لـ"العرب"، أنه لا يختلف أحد على أن هناك طفرة على مستوى الإنشاءات والبنى التحتية التي تقوم بها الحكومة، لكن نتائجها لم تصل بعد إلى المواطنين، ودون أن تكون هناك مؤشرات حقيقية لحصد مكاسب منها على المدى القريب.

ويقول المتابعون إن الارتكان إلى القدرات الأمنية في التنظيم، ومواكبتها بتصرفات إدارية وتكنولوجية هائلة ظهرت في حفل الافتتاح، يأخذ طابعا شعبيا لدلالاته المستقبلية التي تشي بأن إرادة حكومية واضحة في السير نحو الأفضل، ما يمنحها طاقة تستطيع أن تخفف عن كاهلها جانبا من الضغوط الشعبية الواقعة عليها، في ظل الكبوات التي تلاحقها.

وتحرص الحكومة المصرية على استغلال ملامح الطاقة الإيجابية الراهنة من خلال توفير تجمعات عديدة للأسر والشباب والصغار لمشاهدة المباريات بأسعار زهيدة، مقارنة بارتفاع قيمة تذاكر البطولة.

وخرجت أعداد غفيرة إلى مراكز الشباب والمتنزهات العامة لمشاهدة مباراة المنتخب الوطني المصري أمام منتخب زيمبابوي في افتتاح بطولة أفريقيا. ودفعت السلطات المحلية باتجاه تحويل بعض المناطق الشعبية إلى ساحات للترفيه على أنغام الأغاني الوطنية ومحاولة نسيان الهموم المعيشية. وحاولت تحقيق أقصى استفادة ممكنة، عبر تحويل البطولة الأفريقية إلى وسيلة قد تنقذها من الغضب جراء الارتفاع المتوقع في أسعار الوقود قبل نهاية الشهر الجاري.

يأتي هذا الموعد في خضم فعاليات البطولة التي تنتهي في 19 يوليو المقبل، لذلك ربما يمهد توفير عناصر الجذب المبهر منذ الافتتاح إمكانية استمراره طوال فترة انعقادها، كما أن مواصلة المنتخب المصري تقدمه نحو الأدوار النهائية يتيح فرصة للحكومة لإشغال المواطنين عن أي قرارات صعبة تقدم عليها.

وتختار القاهرة توقيتات محددة تساعدها على امتصاص غضب الشارع، وتأتي غالبية القرارات التي تصفها الحكومة بـ"الصعبة والضرورية" في أثناء العطلات أو عقب الأعياد والمناسبات المبهجة.

وقال جورج إسحاق، عضو المجلس المصري لحقوق الإنسان، لـ"العرب"، "إن صعوبة الأوضاع الاقتصادية تحتم على القائمين بتنظيم البطولة إخراجها في أفضل صورة، في ظل التحديات الخارجية التي تواجهها الدولة، وتتطلب قدرا من الثقة والهدوء والاستقرار في الداخل أولا، وقد يحقق النجاح في كرة القدم ذلك، لما لها من جذب جماهيري".

وتحقيق طفرة رياضية قد تؤثر على الحالة المزاجية والنفسية، لكنه لن يلغي التركيز على تطوير الأداء في المنظومة العامة التي تديرها الحكومة، وهي النتيجة التي تجعلها تحصد مكاسب.

> يوحي انعقاد البطولة الكبيرة والتنظيم الجيد لها باسترداد الدولة لقدر كبير من عافيتها، بعد سنوات من التوتر وعدم الاستقرار

وأكد عمرو هاشم ربيع، الباحث بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، أن تغطية الحدث على الأزمات الداخلية يعد وقتيا في النهاية، ومجرد خروج المنتخب المصري أو انتهاء البطولة سيفرض عودة المواطنين إلى واقعهم الذي يعيشون فيه، بل إن الأمر قد تكون له آثار سلبية في حال ارتبط بوجود زيادات في أسعار السلع والخدمات.

وأضاف لـ"العرب"، أن "صورة مصر الذهنية لا يمكن قياسها بشكل كامل من خلال نجاحها في تنظيم بطولة رياضية، وربما تكون عنصرا إيجابيًا، لكن قدرة التنظيمات الإرهابية على الوصول لأهداف متنوعة، ووجود مشكلات في التعامل مع التقارير التي تصدرها جهات دولية بشأن الأوضاع الحقوقية والاجتماعية بالداخل يشوشان على الصورة المقدمة أو التي تريد الحكومة تسويقها، لذلك عليها النظر للأمام دوما والعمل وفقا لرؤية مستقبلية".

جماهير مصرية متعطشة لأجواء الفرح

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

الاستثناء المغربي مجدّدا

العمل بعقلية المجموعة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليست المسألة مسألة افتتاح معمل لسيارات "بيجو" في مدينة القنيطرة المغربية فقط. المسألة هي لماذا في استطاعة الملك محمّد السادس أن يكون راعيا للاحتفال بمثل هذا المصنع الذي يؤمّن الآلاف من فرص العمل في منطقة لا تبعد كثيرا عن الرباط عاصمة المملكة المغربية؟

لماذا استطاع محمّد السادس تكريس الاستثناء المغربي، مرّة أخرى، في العلاقة مع أوروبا وأفريقيا وفي مجال تحويل المملكة المغربية إلى جاذب للاستثمارات المفيدة التي تخلق فرص عمل في وقت تعاني أوروبا عموما من مشاكل اقتصادية كبيرة؟

في النهاية لا شيء ينجح مثل النجاح وليس ما يدل على النجاح غير لغة الأرقام والوقائع. لم يكن ممكنا أن تبني شركة مثل "بيجو" معملا في المغرب لو لم تتوفّر البنية التحتية التي سمحت بقيام مثل هذا المعمل الصديق للبيئة بكلّ ما ينتجه.

هناك قبل كلّ شيء المناخ المغربي المشجّع للاستثمارات الأجنبية. هناك اليد العاملة الرخيصة نسبيا وذات المؤهلات العالية. هناك قرب المغرب من أوروبا وهناك خط القطار السريع الذي يربط الدار البيضاء بطنجة والذي يمرّ بالقنيطرة. باختصار شديد، هناك جو ملائم لقيام مثل هذه المشاريع في المغرب.

بلغة الأرقام والوقائع ما حدث كان التالي: ترأس الملك محمد السادس يوم الخميس الماضي في المنطقة الصناعية المندمجة "أتلانتيك فري زون" (Atlantic Free Zone) في القنيطرة، احتفالا بتدشين المنظومة الصناعية للمجموعة الفرنسية "بي إس أ" في المغرب. سيحفّز هذا المشروع تطوير قطاع السيارات الوطني ويكرس تميز علامة "صنع في المغرب".

أشرف الملك في المناسبة، على تدشين المصنع الجديد لمجموعة "بي إس أ" الذي تبلغ طاقته الإنتاجية 100 ألف عربة ومحرك مرتبط بها، سنويا. كما أشرف محمّد السادس على إعطاء انطلاقة ورشة توسعة هذا المركب الصناعي من الجيل الجديد، الذي ستتضاعف طاقته الإنتاجية، حتى قبل 2023، التاريخ المرتقب لتحقيق هذا الهدف، والذي سيوفر 4 آلاف فرصة عمل في غضون ثلاث سنوات.

معروف أن مجموعة "بي إس أ" الفرنسية هي مالكة "بيجو" وشركات سيارات أخرى. يصعب على شركة من هذا النوع الاستثمار في المغرب لولا وجود الأجواء المناسبة لذلك وصولا إلى شراء معظم قطع السيارات التي تستخدم في إنتاج "بيجو" من داخل المملكة. هذا يعني في طبيعة الحال أن يصبح المغرب جزءا لا يتجزّأ من صناعة السيارات في العالم، بما في ذلك السيارات الكهربائية وكل وسائل النقل الصديقة للبيئة.

إذا كان من ملاحظة، على سياق الاحتفال بتدشين المصنع الجديد لـ"بيجو"، فهذه الملاحظة مرتبطة بوجود شركات أخرى في "أتلانتيك فري زون" في القنيطرة. هذه الشركات صينية ويابانية. يعكس ذلك مدى الاهتمام الدولي بالمغرب من جهة وقدرة المغرب على إقامة شبكة علاقات واسعة من جهة أخرى. لم يعد في الإمكان تجاهل أقطاب الاقتصاد العالمي مثل الصين واليابان. لم يعد أيضا في استطاعة أقطاب الاقتصاد العالمي تجاهل المغرب.

الأهمّ من ذلك كلّه أن صناعة السيارات في المغرب تعني قبل أيّ شيء آخر خدمة الإنسان المغربي، إضافة إلى أنها حلقة في سلسلة تصبّ كلها في تطوير المملكة على كلّ الصعد. ما لا يمكن تجاهله هو أنّ مصنعا آخر للسيارات في المغرب سيؤدي إلى تخريج مهندسين من أبناء البلد. يأتي ذلك في وقت زادت عائدات صناعة السيارات من حوالي ثلاثين مليار درهم (نحو ثلاثة مليارات دولار) إلى 65 مليار درهم، موفرا ما يقارب 190 ألف فرصة عمل.

كانت الحاجة في كل وقت إلى رؤية للمستقبل. كانت الحاجة في واقع الحال إلى قيادة شجاعة ترسم للمغاربة الخط الواجب اتباعه في حال كان مطلوبا تطوير بلدهم كي يكون في مستوى التحديات الإقليمية والدولية وكي يكون المغرب بالفعل جسرا يربط بين أوروبا وأفريقيا

لا وجود لأي عقد من أي نوع في المغرب. المطلوب بكل بساطة متابعة الحرب على الفقر والتخلّف والتطرف بكلّ أشكالها. لذلك يندرج مشروع "بيجو" الجديد في القنيطرة في إطار أوسع. هذا الإطار هو شبكة الطرقات الحديثة التي تمددت في كلّ الاتجاهات، فضلا عن البحث عن الطاقة المتجددة، خصوصا الطاقة الشمسية. لا يترك المغرب بابا يمكن الولوج منه إلى تطوير البلد ومواطنيه على كلّ الصعد إلا ويطرقه. المهمّ هو خلق الظروف المناسبة التي تسمح بنقل المغرب إلى مصاف الدول الحديثة المرتبطة بالاقتصاد العالمي.

في منطقة تشهد كلّ أنواع الاضطراب السياسي، عرف المغرب كيف يحصّن وضعه الداخلي. لا يمكن عزل مصنع القنيطرة والمنطقة الحرّة فيها عن تطوير طنجة وميناء طنجة- ميد (طنجة – البحر المتوسط) ووجود مصانع للسيارات هناك، من بينها مصنع لشركة فرنسية أخرى هي "رينو". كذلك، لا يمكن عزل ما شهدته القنيطرة عن المشهد المغربي العام الذي يشمل تطوير الحياة السياسية عبر إصلاحات أقرّت في دستور العام 2011. هذه الإصلاحات وضعت الأحزاب السياسية المغربية أمام مسؤولياتها وأجبرتها على إعادة النظر في أوضاعها الداخلية.

في النهاية، كانت الحاجة في كلّ وقت إلى رؤية للمستقبل. كانت الحاجة في واقع الحال إلى قيادة شجاعة ترسم للمغاربة الخط الواجب اتباعه في حال كان مطلوبا تطوير بلدهم كي يكون في مستوى التحديات الإقليمية والدولية وكي يكون المغرب بالفعل جسرا يربط بين أوروبا وأفريقيا.

من الواضح أنّ في أساس هذه الرؤية تلك القدرة على ممارسة القيادة عن طريق مصارحة المغاربة، بما في ذلك القول لهم إن تطوير التعليم ضرورة وإن اللغات الأجنبية حاجة ماسة من أجل دخول عالم المعرفة.

في الطريق من الدار البيضاء إلى طنجة، لم تعد القنيطرة مجرّد مدينة صغيرة مهملة يتذكرها أولئك الذين يتذكرون أحداث الماضي القريب، بما في ذلك أنّه كانت فيها قاعدة جوّية أميركية أو الكلية العسكرية التي شارك طلابها في محاولة انقلابية فاشلة صيف العام 1971 بتأثير مواد مهلوسة أعطاهم إيّاها بعض الضباط الموتورين...

صارت القنيطرة في عهد محمّد السادس محطّة مهمة من محطات الخط السريع الذي يسلكه "البرّاق" وهو القطار الذي بات يربط بين الدار البيضاء وطنجة في ساعتين. في عهد محمّد السادس، لم تعد هناك مدينة أو منطقة مهملة في المغرب. صحيح أنّ في الإمكان الكلام عن مشاكل ما زالت بعض المناطق تعاني منها، لكنّ الصحيح أيضا أنّ هناك متابعة واستمرارية لكلّ مشروع يستهدف الانتقال بالمغرب إلى وضع جديد يسمح له بإيجاد مكان على خارطة شمال أفريقيا وأفريقيا نفسها وأوروبا. لا شيء يحصل بالصدفة في هذا العالم. ولذلك ليس صدفة أن شركات كبيرة مثل "بي إس أ" اختارت الدار البيضاء لتكون غرفة القيادة لنشاطها في المنطقة. في المغرب هناك دور للمكان وهناك دور للإنسان في الوقت ذاته... وهناك دور للمناخ العام في البلد، أي للاستقرار في طبيعة الحال.

منظومة «بي إس أ» أحدثت لوحدها 19 منصب شغل مباشر

روسيا تستثمر في أزمة حليفها الإيراني

رانيا مصطفى

صرّح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قبل أيام بأن "بلاده لا تتاجر بمبادئها وحلفائها"، في إشارة إلى كل من طهران وأنقرة ودمشق، وذلك في خطوة منه لرفع سقف الخطاب الروسي، قبل انعقاد الاجتماع الأمني الثلاثي في القدس الغربية أواخر الشهر الجاري، بحضور مسؤولين رفيعي المستوى، هم رؤساء الأمن القومي في كل من روسيا وإسرائيل والولايات المتحدة.

سيعقد اللقاء الأمني الثلاثي في القدس الغربية. ويجري حاليا جدال كبير حول وضع القدس والتسوية في الشرق الأوسط، وقد دعت إليه إسرائيل، وبرغبة أميركية، وهدفه كما يبدو تعزيز أمن إسرائيل، وفتح أفق للحلول في سوريا والمنطقة عموما، وفق المصالح الإسرائيلية والأميركية المتقاربة. وتمت دعوة روسيا اعترافا من الجانبين الإسرائيلي والأميركي بأحقيتها في النفوذ في سوريا، وفي دورها الأساسي في التسوية بخصوص الأزمة السورية.

يتطابق تصريح سابق لجيمس جيفري، المبعوث الأميركي إلى سوريا، بأن "أميركا تريد خروج القوات الإيرانية من سوريا في نهاية العملية السياسية"، مع مطلب "تحجيم النفوذ الإيراني في سوريا" والذي طرحه وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو لدى زيارته سوتشي منتصف مايو الماضي، ولقائه الرئيس الروسي، وبحضور جيفري، إضافة إلى بنود أخرى تتناول، بحسب تسريبات صحافية، تنفيذ القرار 2254، والتعاون في ملف محاربة الإرهاب المتمثل بتنظيم داعش، والتخلص من أسلحة الدمار الشامل في سوريا، وتوفير المساعدات الإنسانية، ودعم دول الجوار، وتوفير شروط عودة اللاجئين السوريين، وإقرار مبدأ المحاسبة عن الجرائم المرتكبة في سوريا.

لا تتفق موسكو مع واشنطن حول تسلسل تنفيذ هذه البنود، لكنها وافقت عليها من حيث المبدأ، لفتح قنوات تواصل مع الولايات المتحدة، اعترافا منها بالدور الأميركي في الشرق الأوسط، رغم أنها لا تريده، وتدرك أن التسوية السورية تحتاج إلى اتفاق مع واشنطن، خاصة مع غموض الأخيرة حول خططها المستقبلية حول البقاء في شرق الفرات.

وكذلك اقترح بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي خلال زيارته موسكو نهاية مارس الماضي تشكيل "فريق مشترك للعمل على انسحاب جميع القوات الأجنبية من سوريا"، في إشارة إلى الميليشيات الإيرانية خصوصا.

وافقت موسكو على حضور الملتقى الأمني الثلاثي دون الموافقة على أجندته الإسرائيلية – الأميركية المشتركة، لكن بقصد فتح مسار جديد للتسوية، تريده روسيا مستمرا على شاكلة مسار أستانة، خاصة بعد فشلها في تحقيق تقدم عسكري في إدلب، وفي ترجمة انتصاراتها العسكرية إلى تسوية سياسية، وجذب المجتمع الدولي، خاصة الأوروبيين والعرب، إلى المساهمة في عملية إعادة الإعمار، فما زالت تلك الأطراف تتفق مع الموقف الأميركي الصلب حول رفض المساهمة في إعادة الإعمار أو التطبيع أو رفع العقوبات عن حكومة دمشق، قبل الاتفاق على عملية سياسية.

تأمل موسكو في دور إسرائيلي مؤثر في دوائر القرار الأميركي، من أجل القبول بتخفيف العقوبات على نظام الأسد، وربما القبول بالتطبيع في المرحلة المقبلة، كون حكومة تل أبيب تفضل بقاء نظام الأسد، العدو المسالم الذي تعرفه، على نظام لا تعرفه. في حين أن واشنطن تتشدّد في العقوبات على نظام الأسد وعلى رجال أعمال موالين له، كورقة ضغط على النظام وروسيا.

ومنذ التدخل العسكري الروسي في سوريا في خريف 2015، كانت إيران وروسيا شريكتين متكاملتين في دعم سيطرة النظام على مساحات واسعة من الأراضي السورية، فإيران تقدم ميليشياتها الأجنبية الطائفية، وتموّل ميليشيات محلية، بغطاء جوي روسي ناري، إضافة إلى الدعم المالي الذي قدمته طهران لنظام الأسد منذ بداية أزمته عبر الخط الائتماني وتقديم المشتقات النفطية.

ورغم الخلافات بينهما، والمتمثلة باشتباكات مسلحة بين فصائل في الجيش وميليشيات سورية تتبع لكل منهما في دير الزور وحلب والغاب بريف حماة الشمالي، ورغم التنافس بينهما على عقود الاستثمار وعلى السيطرة على قطع الجيش، إلا أن روسيا يبدو أنها تفضل التعايش مع هذه الخلافات، خاصة أنها الطرف الأقوى في ظل الضغوط الاقتصادية والسياسية والتهديدات العسكرية التي تعاني منها حكومة خامنئي.

هناك علاقات اقتصادية وسياسية قوية بين روسيا وإيران، وهما حليفتان، إضافة إلى تركيا، ضمن ثلاثي أستانة؛ والمواقف الروسية الأخيرة داعمة لإيران، سواء برفض اتهامها بالقيام بتفجيرات ناقلتي النفط في خليج عمان، أو بالقول إن الوجود الإيراني في سوريا "شرعي" بدعوى من الحكومة السورية، وإنها شاركت في مكافحة الإرهاب وفي استثمار أموال ضخمة في سوريا، وأن موسكو ستنقل وجهة نظر طهران إلى اجتماع القدس الغربية الأمني.

الدعم الروسي الخطابي الأخير لطهران حول التواجد في سوريا يناقض تصريحات سابقة بضرورة خروجها؛ لكن التشدّد الإسرائيلي – الأميركي بخصوص تحجيم نفوذها في سوريا يدفع موسكو إلى التمسك بها كورقة ثمينة للمقايضة على مكاسب أخرى.

موسكو تأمل في دور إسرائيلي مؤثر في دوائر القرار الأميركي، من أجل القبول بتخفيف العقوبات على نظام الأسد، وربما القبول بالتطبيع في المرحلة المقبلة، كون حكومة تل أبيب تفضل بقاء نظام الأسد، العدو المسالم الذي تعرفه، على نظام لا تعرفه

رفضت روسيا تزويد طهران بمنظومة دفاع جوي أس 400، ولا اتفاقيات دفاعية ملزمة لها بمساعدة إيران في حال توجيه ضربات عسكرية إليها، ولا تريد إغضاب الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائها العرب، وبالتالي لن تدخل في دعم عسكري لإيران، وكذلك لم تتدخل كوسيط بين طهران وواشنطن بخصوص تخفيف العقوبات الأميركية، أو السعي إلى اتفاق نووي جديد، كما يحاول الأوروبيون. بل بعكس ذلك تماما، روسيا مستفيدة من الحصار الاقتصادي المفروض على الغاز الإيراني، كونه منافسا للغاز الروسي الذي يتم تصديره إلى أوروبا، وكذلك مستفيدة من ارتفاع أسعار النفط بسبب التصعيد في خليج عمان ومضيق هرمز.

لكن موسكو لا ترغب في حرب على إيران تطيح بنظامها، وتزيل العقوبات والحظر الاقتصادي الأميركي عليها، وتقوي النفوذ الأميركي في المنطقة. وقد تستخدم حق النقض "الفيتو" في مجلس الأمن حيال أي مشروع للتصعيد العسكري في المنطقة.

ضعف إيران وحصارها باتا ورقة ثمينة تتمسك بها روسيا بحنكة سياسية في ظل التصعيد الأميركي والإسرائيلي والعربي ضدها؛ وعليها استثمارها للمقايضة على مطالب تحقق التسوية في سوريا وفق الأجندة الروسية، وعودة سيطرته على مناطق الثروات في شرق الفرات، ورفع العقوبات على النظام السوري وعودة الاعتراف به في المحيط الإقليمي وقبول المجتمع الدولي في المساهمة في عملية إعادة الإعمار؛ لكن يتوجب على روسيا رمي هذه الورقة بأسلوب دبلوماسي، بالاتفاق مع حكومة طهران، خاصة أن ورطة إيران تفرض القبول بانسحاب من سوريا والاكتفاء بنفوذ في العراق في وجه النفوذ الأميركي.

الموجة الثالثة من الثورة السودانية على محك التنازلات المتبادلة

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

مرّت الثورة السودانية بمنعطفات كثيرة منذ انطلاقها في ديسمبر الماضي. وإذا اعتبرنا عزل الرئيس عمر حسن البشير وتشكيل المجلس العسكري الانتقالي نهاية الموجة الأولى، وفض الاعتصام وما تلاه من إضراب شامل نهاية للموجة الثانية، يمكن القول إن السودان يعيش موجة ثالثة حاليا مليئة بالتحديات السياسية والأمنية، وقد تصل به إلى بر الأمان أو تصبح بداية لموجة أخرى أكثر صعوبة.

بدأت الموجة الثالثة مع انطلاق الوساطة الأفريقية التي يرعاها آبي أحمد رئيس وزراء إثيوبيا على أمل التوصل إلى صيغة تفاهم بين المجلس العسكري وتحالف الحرية والتغيير، لكنها لا تزال تواجه مطبّات من قبل الفريقين.

وإذا فشلت الصيغة الجديدة التي يحملها السفير محمود درير رئيس الوفد الإثيوبي، فإن مسألة الحكم ستكون بحاجة إلى تنازلات وعزيمة وإرادة لتجاوز المشكلات الممتدة.

وتقوم الصيغة المقترحة الآن على اقتسام المجلس السيادي (7 لكل فريق) والرئيس بالتوافق ومن فريق ثالث، والتي يميل التحالف إلى قبولها لقذف الكرة في ملعب المجلس العسكري، الذي يريد البقاء في السلطة.

> الموجة الثالثة بدأت مع انطلاق الوساطة الأفريقية التي يرعاها آبي أحمد رئيس وزراء إثيوبيا على أمل التوصل إلى صيغة تفاهم بين المجلس العسكري وتحالف الحرية والتغيير، لكنها لا تزال تواجه مطبات من قبل الفريقين

حدثت تغيّرات كبيرة في التكتيكات والتصورات والتصرفات من جانب الفريقين في الموجة الجديدة. وتبدّلت أدوار وانقلبت حسابات. فقد أخذ المجلس العسكري يهتم بمخاطبة الشارع ويسعى إلى استرضائه ونيل ثقته، أملا في نزع واحدة من الأوراق التي تستحوذ عليها قوى الحرية والتغيير. ويتجه الفريق أول عبدالفتاح البرهان رئيس المجلس العسكري إلى عقد سلسلة من اللقاءات الجماهيرية لزيادة الشعبية، وقام نائبه الفريق أول محمد حمدان دقلو (حميدتي) بالحديث أمام ما يسمّى بـ"الإدارة الأهلية"، في محاولة لإيجاد قاعدة جماهيرية.

وتسارعت التحرّكات حيال استقطاب بعض الأحزاب السياسية سعيا وراء الحصول على ظهير شعبي قد يتم اللجوء إليه عندما يشتد الخلاف على طاولة المفاوضات، وكي لا تهيمن قوى المعارضة على الشارع وتحرّكه نحو الوجهة التي تريدها، الأمر الذي يزعج المجلس ويجعله يبدو مفتقرا للحضور الشعبي، ما يؤثر سلبا على فرصه في الحكم، باعتباره جهة عسكرية تنحصر مهامها في الحدود الأمنية.

حسم المعركة

لم تثمر هذه الخطوات عن إنجازات ملموسة على الأرض تؤكد حسم المعركة السياسية للعسكري (المجلس)، لكن تحركاته على المستوى الداخلي أوحت بأنه استطاع ترتيب الكثير من أوضاعه، وتخلص من بعض القوى المناهضة لقيادته، وقضى على جيوب رافضة لتوجهاته من خلال الإعلان عن إجهاض عدد من المحاولات الانقلابية، والمضي قدما في عملية التحقيقات بشأن معاقبة الجهة المسؤولة عن التجاوزات التي ارتكبت في أثناء فض الاعتصام.

يضاف إلى ذلك تطوير العلاقات الخارجية بالتوازي مع دول عدة، ليخفف من حدة الانتقادات التي تعرض لها عندما بدا المجلس أكثر ميلا للتعاون مع مصر والسعودية والإمارات، وهو ما استغلته بعض الجهات للتشكيك في تحركاته، لتفريغ الدعم المادي والمعنوي الذي قدّمته الدول الثلاث من مضامينه الإيجابية، وحشر المجلس الانتقالي في موقف دقيق يظهره كمن جاء على رماح أجنبية ويسعى إلى خدمة أهدافها.

حصل المجلس العسكري على حضور أكبر في الشارع السوداني، عندما نجح في ضبط أوجه الخلل في أدائه وقوّض الجهات الممانعة أو المتحفظة عليه بانفتاحه على دول الجوار، مثل إثيوبيا وجنوب السودان وإريتريا وتشاد، واستعاد قدرا من اللياقة السياسية التي فقدها عند إقدامه على فض الاعتصام بالقوة المفرطة، وجنى ثمارا جراء التحذيرات المتتالية من انفراط عقد البلاد، إذا جرى تهميش الجيش وخروجه من السلطة خالي الوفاض، ولذلك أصبح الجهة الوحيدة الضامنة لأمن واستقرار السودان.

جاءت المخاوف من رحم أوضاع أمنية مهتزة في جميع أنحاء البلاد، ومع بوادر خلاف نشب مع حركات مسلحة، منها الجبهة الشعبية لتحرير السودان – قطاع الشمال، حيث تم ترحيل ثلاثة من قادتها قسرا إلى جوبا، بما أدى إلى أصداء سلبية لدى حركات أخرى في الشرق والغرب والجنوب.

واتسع نطاق الهواجس من بعض التدخلات الخارجية من الدول الداعمة للحركة الإسلامية في السودان، وتريد توظيف الارتباك السياسي والتذبذب الحاصل في المبادرات لصالح استعادة حضورها في قلب السلطة.

وكلها مؤشرات تعزز قلق المجلس العسكري من تسليم السلطة لحكومة مدنيّة من دون استعدادات جيّدة.

وبدأت بعض القوى الوطنية تقتنع بهذا التوجه وتتعاطف مع تقدير التمهل وعدم الاستعجال في تشكيل حكومة مدنية صرفة أو خروج المجلس من معادلة الحكم وسط أوضاع سياسية وأمنية مرتبكة، تحتاج للمزيد من الوقت لوقف تداعيات الاضطراب على أصعدة مختلفة.

دشن تحالف إعلان الحرية والتغيير الموجة الثالثة بالإعلان عن تسيير مظاهرات ليلية في الخرطوم، غير أنه فقد جزءا من الحيوية التي صاحبته في السابق. وكشف التحرك الجديد عن تراجع التفاعل الجماهيري مع أطروحاته، لأن المجلس العسكري أحكم قبضته الأمنية، وأعاد تقويم سياساته بناء على المعطيات في الشارع، وتكبّدَ المحتجون خسائر معنوية بعد قطع الإنترنت في أنحاء البلاد، وتراجع مفعول الشبكة العنكبوتية، وفقد التحالف القدرة على الوصول سريعا إلى شريحة كبيرة من القوى المنخرطة في صفوفه، وخسر سلاح الحشد عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ناهيك عن تصاعد بذور الخلافات داخل صفوف تحالف الحرية والتغيير في الوقت الراهن، بعد أن كان التلاحم والتماسك والتفاهم من العلامات الواضحة في الموجتين الأولى والثانية. وهي الظاهرة التي مكنت المعارضة من تسجيل عدد من الأهداف المؤثرة في مرمى حكم البشير ثم المجلس العسكري.

انتقادات لاذعة

طغت سخونة التراشقات بين حزب الأمة القومي والجناح اليساري في التحالف على تفاصيل الصيغة المطلوب التوافق حولها للتفاوض مع المجلس العسكري. ووجه تجمع المهنيين، وهو جناح رئيسي في قوى الحرية والتغيير، انتقادات لاذعة لوفدها الذي زار أديس أبابا، الجمعة، لاستكمال المحادثات حول الوساطة الإثيوبية، ومنحها دفعة سياسية تعيدها إلى الواجهة مرة أخرى، وتُوقف نزيف النقاط بسبب تعدد المبادرات.

قلّل التزاحم في الوساطات الخارجية من النجاح الذي صاحب الدور الإثيوبي في البداية والذي وجد دعما من دوائر إقليمية ودولية جعلته مقبولا من جانب أطراف كثيرة. وخلال الأيام الماضية حاول أحمد أبوالغيط، الأمين العام للجامعة العربية، جسّ النبض بشأن قيامه بوساطة لمنع التصعيد في السودان، لكن خطوته لم تحظ بترحيب جهات كثيرة، وفُهمت على أنها محاولة لمنافسة المبادرة الأفريقية – الإثيوبية وليس لحل الأزمة السودانية.

دخلت دولة جنوب السودان على الخط أيضا، وأرسل الرئيس سيلفا كير وفدا للخرطوم برئاسة توت قلوال، ولم تسفر لقاءاته مع وفدي المجلس العسكري وتحالف الحرية والتغيير عن تقدّم يذكر، وأوحى التباين في التقدير السياسي للخطوة بأن المسافات متباعدة بين الفريقين، فقد ألمح العسكري إلى أنها مبادرة وتعامل التحالف معها على أنها تحرك يرمي إلى تقريب المسافات ولا يرقى إلى مستوى المبادرة. وفي الحالتين حمل التحرك انطباعا برغبة البعض في إطالة أمد الأزمة، بما يضاعف من ارتباك المشهد، الذي يصب في صالح جهات معيّنة.

تحتاج الموجة الثالثة إلى تنازلات كبيرة من جميع الأطراف، قبل أن يدخل السودان معمعة أشد خطورة للشد والجذب، لأن الطرفين الرئيسيين في المعادلة (المجلس العسكري والحرية والتغيير) لن يستطيع أحدهما الفوز بالضربة القاضية أو حتى تسجيل النقاط. فهناك اعتبارات استراتيجية تحتّم التفاهم والابتعاد عن السجال قبل أن تنزلق البلاد إلى توترات تصعب السيطرة عليها، وتصبح السلطة حملا ثقيلا.

الخروج من الأزمة يحتاج صبرا وحكمة

السودانيون مستمرون في التظاهر رغم انقطاع الكهرباء والإنترنت

الخرطوم - مع حلول الليل يسارع أهالي أحد الأحياء في جنوب الخرطوم إلى تحضير منصة يعتليها قادة التظاهرات لعرض آخر المستجدات المتعلقة بحركتهم الاحتجاجية. ووسط أزمة انقطاع الكهرباء والإنترنت والإجراءات الأمنية المشدّدة، لم يبق أمام أهالي حي جبره سوى وسائل قليلة لتنظيم الاجتماع الذي اجتذب العشرات من أهالي الحي.

وخلال بضع ساعات، أحضرت مولدات الكهرباء وثبّتت مكبرات الصوت وصفّت الكراسي البلاستيكية فيما صوبت مصابيح السيارات أضواءها على المنصة التي سيوجه منها قادة الاحتجاجات كلماتهم. وأقيمت حواجز لتأمين مداخل المنطقة.

وقال مجاهد عبدالنبي، الذي كان يحضر التجمع، "الحملة تبقينا مطلعين على أي مستجدات تطرأ على الوضع في السودان".

وفي 3 يونيو فض مسلحون بلباس عسكري الاعتصام في هجوم خلف العشرات من القتلى وآثار استنكارا. وتوقفت الاعتصامات منذ ذلك الحين، وخصوصا مع تعزيز انتشار "قوات الدعم السريع" في أنحاء الخرطوم.

ويتهم المتظاهرون قوات الدعم السريع التي يقودها نائب رئيس المجلس العسكري الانتقالي، بأنها هي التي قامت بفض الاعتصام.

والمجلس الذي كان قد تعهد سابقا بعدم فض الاعتصام، نفى أن يكون قد وجه أوامر بالقمع وأن هدف العملية كان مختلفا تماما وهو طرد "المجرمين" من قطاع يسمى كولومبيا، حيث كان يتم بيع وتعاطي المخدرات قرب موقع الاعتصام.

وبدأ الأسبوع الماضي قادة الاحتجاجات من تحالف قوى إعلان الحرية والتغيير في تنظيم تجمعات يومية متزامنة لإعادة إحياء حركتهم.

وقال وهيب محمد سعيد الناشط في التحالف "نريد فقط أن نستمر في التواصل مع الناس والتصدي للتعتيم الذي يفرضه المجلس العسكري".

وقبيل كلمته في حي جبره، شرح أن الدعوة إلى التجمع توجه عن طريق الرسائل النصية وبالتواصل الشفهي بين الأهالي. وفي تلك الأثناء بدأ المتظاهرون بإطلاق هتافاتهم مرددين بإيقاع "حرية.. سلام.. عدالة".

وقبل أن تقطع السلطات الإنترنت كان يتم الإعلان باستمرار على الشبكة عن تجمعات ومسيرات مماثلة جذبت الآلاف.

وقال سعيد "طالبنا بإعادة خدمة الإنترنت من ضمن شروط استئناف المفاوضات". وانهارت المحادثات بين قادة الاحتجاجات والمجلس العسكري قبيل فض الاعتصام.

ووافق الطرفان مؤخرا على جهود وساطة يقودها رئيس وزراء إثيوبيا آبي أحمد. ويقول قادة الاحتجاجات إن الوساطة مشروطة بإطلاق سراح جميع الموقوفين وضمان الحريات. لكن رئيس المجلس العسكري عبدالفتاح البرهان دعا إلى استئناف المفاوضات "دون شروط".

وقال سعيد "إذا فشل كل شيء سنواصل التصعيد بالسبل السلمية ومنها العصيان المدني".

والأسبوع الماضي، نزل المئات من المتظاهرين إلى الشارع مجددين مطالبتهم بحكم مدني في العديد من الولايات (المحافظات) السودانية ومنها أم درمان، المدينة التوأم للخرطوم.

الموبايل وسيلة إعلام وتواصل بين السودانيين

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

من سيختار خليفة تيريزا ماي

مستقبل بريطانيا بيد مجموعة من «الشيوخ» البيض الأثرياء

جيل لاولس

لندن - انطلق السباق على قيادة حزب المحافظين الحاكم ورئاسة الوزراء في بريطانيا خلفا لتيريزا ماي. لكن، لن يشارك سوى واحد فقط من بين 400 شخص في عملية التصويت. ينتمي معظم هؤلاء المتمتعين بهذا الحق إلى فئة من الرجال البيض الأثرياء وهم في خريف أعمارهم.

في الجولة النهائية، سيصوّت أعضاء حزب المحافظين البالغ عددهم 160 ألف عضو، وسيعلن عن هوية الفائز في أواخر يوليو. حاليا، يتنافس على المنصب وزير الخارجية البريطاني السابق بوريس جونسون ووزير الخارجية الحالي جيرمي هنت. وكان جونسون وهنت من ضمن عشرة سياسيين ترشحوا لخلافة ماي.

يختار المحافظون زعيما جديدا لهم، ليصبح رئيس الوزراء القادم في مرحلة تاريخية صعبة تسودها المخاطر.

وصل البرلمان في المملكة المتحدة إلى طريق مسدود، وتأخر خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى 31 أكتوبر. وسيساعد الزعيم المحافظ الجديد في تحديد كيفية مغادرة الكتلة. فإما الخروج بسلاسة، وإما مع سقطة اقتصادية حادة، وإما البقاء بين الجنة والنار.

الخيار مهم في تحديد مستقبل المملكة المتحدة، وسيكون على يد مجموعة لا تمثل الناخبين البريطانيين باتزان.

ووفقا لدراسة أكاديمية موّلها مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية في المملكة المتحدة، يمثّل الرجال 70 بالمئة من أعضاء حزب المحافظين وتتجاوز أعمار نصفهم الـ55 عاما.

وينتمي 86 بالمئة من الأعضاء إلى الطبقة الوسطى والطبقة الثرية، وتمثّل نسبة البيض 97 بالمئة في بلاد ينتمي ما يصل إلى 15 بالمئة من سكانها إلى أقليات عرقية ودينية. ويريد معظم هؤلاء الأعضاء أن تغادر بريطانيا الاتحاد الأوروبي مهما كانت نتائج ذلك.

وقال أستاذ السياسة في جامعة كوين ماري في لندن الذي ساعد في سير البحث، تيم بيل، إن جل المحافظين هم من معادي الاتحاد الأوروبي، مما سيدفعهم إلى اختيار شخص يريد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي دون اتفاق. وأكّد أن قضية صراع المحافظين الأساسية تتمثّل في بريكست.

في وقت تنقسم فيه بريطانيا حول ما إذا كانت ستغادر الاتحاد الأوروبي، يدعم معظم المحافظين الانفصال، وزاد تعريفهم لبريكست تشددا.

سنة 2016، صوتت بريطانيا في استفتاء تاريخي لصالح الخروج من الاتحاد الأوروبي. خلال الحملة، تحدث بعض الداعين إلى الخروج عن الحفاظ على سلسة من الاتفاقيات الثنائية المتنوعة في اتفاقية المنطقة الاقتصادية اتباعا للنموذج النرويجي. أما الآن، يريد معظم مؤيدي الخروج انفصالا كاملا، ويرفضون فكرة إبقاء أي روابط مع الاتحاد الأوروبي.

في البحث الذي ساهم فيه بيل، أكّد ثلثا المحافظين تفضيلهم لترك الاتحاد الأوروبي دون صفقة عوضا عن مواصلة الالتزام بقواعده التجارية. تجاهل هؤلاء بذلك تحذيرات الاقتصاديين من خروج بريطانيا من الاتحاد دون صفقة، إذ يمكن أن يعرقل ذلك التدفق التجاري بين بريطانيا والاتحاد الأوروبي، مما يدفع البلاد إلى الركود.

وقال بيل إن أفكار الأشخاص الذين يرجع قرار اختيار زعيم البلاد القادم إليهم تخلق مشكلة.

> اختيار الزعيم المحافظ الجديد مهم في تحديد مستقبل المملكة المتحدة لكنه سيكون على يد مجموعة لا تمثل الناخبين البريطانيين باتزان

وترك اقتصار القرار على فئة معينة من الأشخاص العديد من غير المحافظين عاجزين عن المساهمة في أهم فصل من شأنه أن يحدد طبيعة علاقة بلادهم مع الكتلة القاريّة، واكتفى هؤلاء بمشاهدة السباق بإحباط. ووصفت النائبة في مجلس العموم عن حزب الخضر، كارولين لوكاس، السباق بأنه "واحد من أكثر الانتخابات غير الديمقراطية التي شهدتها البلاد منذ سنوات".

لكن، لا تعتبر هذه العملية غير عادية. ففي النظام البرلماني البريطاني، يمكن التصويت لاختيار عضو برلمان يمثل المنطقة الانتخابية في الانتخابات العامة. ويدلي المواطن البريطاني بصوته لاختيار نائب في البرلمان عن منطقته. ويشكل الحزب السياسي المتحصل على أغلبية المقاعد في مجلس العموم في الانتخابات العامة حكومة جديدة، ويصبح زعيمه رئيس الوزراء الجديد. ويحق للأحزاب تغيير قادتها دون الرجوع إلى الجمهور. حدث ذلك عندما تولى وزير المالية البريطاني جوردن براون رئاسة حزب العمال البريطاني بعد خلافته لتوني بلير سنة 2007، وعندما تولت تيريزا ماي منصب سلفها المحافظ ديفيد كاميرون سنة 2016.

تنحى ماي الآن عن منصبها بعد أن رفض النواب البريطانيون اتفاق بريكست ثلاث مرات.

كان السباق في صفوف المحافظين أقل ديمقراطية مما هو عليه الآن. لعقود، كان اختيار قادة الحزب يتم دون تصويت. وأصبح التصويت يشمل كل من كان عضوا في الحزب لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر بعد أن دفع الرسوم السنوية البالغة 25 جنيها إسترلينيا (31 دولارا).

تطغى قضية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي على تفكير معظم المحافظين وتأثر في اختيارهم. وتعتبر هذه الفئة البريكست قضية حياة أو موت بالنسبة للحزب الذي حكم بريطانيا لأكثر من نصف قرن.

بلغت معنويات الحزب حدّها الأدنى بعد نتائج الانتخابات المحلية والبرلمانية الأوروبية الكارثية. وانشق العديد من الناخبين المحافظين وتوجهوا إلى حزب بريكست الذي شكّله نايجل فراج حديثا. ويتهم فراج حكومة ماي بخيانة الـ17.4 مليون شخص الذين صوتوا لمغادرة الاتحاد الأوروبي.

وقال جيلز ماكنيل، زعيم المحافظين في مجلس محلي شرق إنكلترا، إن حزب بريكست سيحل مكان حزبه إذا لم يحدث خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بحلول 31 أكتوبر. ويرى أن ذلك سيمثّل نهاية للمحافظين.

وتابع "لا أتوقع أن يغفر لنا الشعب البريطاني بسرعة بعد هذه الخيانة".

تترك عملية الخروج المحافظين في مأزق، فهم في حاجة إلى زعيم يمكنه محو تهديد نايجل فراج عبر مغادرة الاتحاد الأوروبي مع حشد الناخبين للفوز في الانتخابات العامة القادمة. وتعتبر المهمتان الأساسيتان مختلفتان، وربما متناقضتان.

يوحي تقدم جونسون في تصويت المشرّعين بأن العديد من المحافظين يعتقدون أن وزير الخارجية السابق قد يكون منقذهم، حتى لو كانت هناك مخاوف تساور بعضهم بشأن صدقه وموثوقيته. وقال إد كوستليو، وهو عضو في الحزب لأكثر من 50 عاما ورئيس لمجموعة "غراسروتس" للمحافظين التقليديين، إن جونسون يمتلك نوعا من الجاذبية. وتطرق إلى شخصية رونالد ريغان لمقارنته مع المرشح قائلا "إنه كسول وليس مثقفا، لكنه حرص على أن يحيط نفسه بأشخاص يعرفون ماذا يفعلون. وسجّل في التاريخ أنه رئيس جيد".

بوريس جونسون.. هل يكون أفضل السيئين

دونالد ترامب حائر في الملف الإيراني

الرئيس الأميركي يريد ضرب إيران ويخشى الحرب في نفس الوقت

تعتبر أحداث الأيام الأخيرة من اللحظات المهمة في الولاية الأولى للرئيس الأميركي دونالد ترامب، وتثير تساؤلات حول استراتيجيته ومقاربته للملفات الجيوسياسية المعقدة، وهل أن لجوءه للتصريحات الحربية تارة والتردد في المواقف العسكرية طورا استراتيجية أم تردد بسبب عدم خبرته الواسعة بالشؤون السياسية.

واشنطن - يعكس الملف الإيراني الذي بلغ مستويات جديدة من التوتر بعد تدمير طهران طائرة مسيرة أميركية ترددا حد التناقض في مواقف الرئيس الأميركي دونالد ترامب الذي وصل إلى سدة الحكم دون أي خبرة سياسية أو دبلوماسية.

ينعكس هذا التردد في قرار ترامب بالتراجع عن توجيه ضربات جوية لإيران، قبل عشر دقائق فقط من بدئها. وجاء في التبرير أنه أراد تجنب اتخاذ خطوة غير متكافئة بالنسبة للهجوم الذي لم يؤد إلى سقوط ضحايا أميركيين.

> ترامب الذي سخر دائما من تردد سلفه وأكد أنه سيسلك خطا مغايرا تماما لأوباما، أصبح يقارن بالأخير لتردده في استخدام القوة

يعرف ترامب بتصريحاته الحربية وتهديداته بزرع القتل والدمار، لكنه في المقابل، يعتبر من أشد منتقدي التدخلات العسكرية الأميركية، كما يؤكد بشكل واضح إعلانه عن إلغاء الضربات الجوية على إيران في اللحظة الأخيرة.

ويؤكد ترامب، الحريص على الحفاظ على قاعدته الانتخابية والوعود التي قطعها خلال حملته الانتخابية في 2016، أن الحروب العديدة في الشرق الأوسط كلفت الولايات المتحدة كثيرا من الناحية المادية والخسائر البشرية.

وقال الخميس في المكتب البيضاوي "قلت إني أود الخروج من هذه الحروب التي لا تنتهي. ركزت حملتي على هذا الموضوع".

لكن الرئيس الأميركي غالبا ما يستخدم لهجة حربية في التغريدات العفوية والخطابات الرسمية. فبعد أن توعد كوريا الشمالية بـ"نشر النار والغضب"، هدد إيران بتدميرها بكل بساطة. وكتب في تغريدة منتصف مايو "إذا أرادت إيران المواجهة ستكون نهايتها رسميا. لا تهديدات بعد اليوم للولايات المتحدة".

ويفتخر ترامب بانتهاج استراتيجية مغايرة لأسلافه أرفقت برفع الموازنة العسكرية، ما قد يرغم خصوم واشنطن على اللجوء إلى التفاوض. لكن مراقبين ومعارضين يشعرون بالقلق من مخاطر انزلاق نحو الحرب.

وأعلن زعيم الديمقراطيين في مجلس الشيوخ تشاك شومر أنه "لا يريد الرئيس ربما خوض حرب لكننا نخشى من أن يقع في حرب عن طريق الخطأ".

من جهته قال روبرت غاتمان، من جامعة جون هوبكينز، "إنه متردد. ليست لديه استراتيجية واضحة".

ويرى روبرت مالي، رئيس مجموعة الأزمات الدولية، أن دونالد ترامب حائر في الملف الإيراني أكثر من أي شيء. وتساءل "هل يتوخى الحذر أو يظهر في صورة الرجل القوي الثابت في مواقفه". ويقول مستشار باراك أوباما السابق "لا يريد أن يكون محاربا لكن في المقابل لا يريد أن يظهر كشخص يخاف الحرب".

والنقيض الآخر هو أن ترامب الذي سخر دائما من تردد سلفه وأكد أنه سيسلك خطا مغايرا تماما لأوباما، أصبح يقارن بالأخير لتردده في استخدام القوة.

وفي 2018، كتب ترامب في تغريدة "لو احترم الرئيس أوباما الخط الأحمر الذي حدده بنفسه لكانت الكارثة السورية انتهت منذ زمن بعيد!".

وبعد أن أعلن أن الولايات المتحدة مستعدة لضرب أهداف للنظام السوري بعد هجوم بالأسلحة الكيميائية، تراجع الرئيس الديمقراطي عن قراره ما فاجأ الجميع.

والأكيد هو أن نظرتي الرئيسين الأميركيين الـ44 والـ45 إلى العالم مختلفتان تماما لكن استنتاجاتهما واحدة: لم يأت التدخل العسكري الأميركي في الشرق الأوسط بالنتائج المرجوة من قبل الذين دافعوا عنه.

وفي هذا الخصوص يؤكدان أن العديد من الأميركيين سئموا من التدخلات الخارجية غير الواضحة المعالم والجدول الزمني غير المحدد.

وتبقى مسألة استراتيجية ترامب على الأجل المتوسط حيال إيران عالقة بعد انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي الذي تفاوضت بشأنه إدارة أوباما.

ويرى روبرت مالي أن ترامب يعتمد نظرية مماثلة مع إيران وفنزويلا وكوريا الشمالية: تصريحات حربية وضغوط اقتصادية ودبلوماسية قصوى ووعد واحد "إذا كنتم على استعداد لقبول شروطنا الباب مفتوح لعلاقة استثنائية مع الولايات المتحدة".

وتساءل الخبير "ما مصير هذه الاستراتيجية الثنائية إذا وصلت إلى طريق مسدود؟". ما مصير استراتيجية الرئيس الأميركي "إذا كانت الضغوط تزيد من التشدد الإيراني؟".

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

الذكاء الاصطناعي يفبرك الفيديوهات باحتراف

«ديب فايك» تنقل ظاهرة الأخبار المزيفة إلى أبعاد جديدة

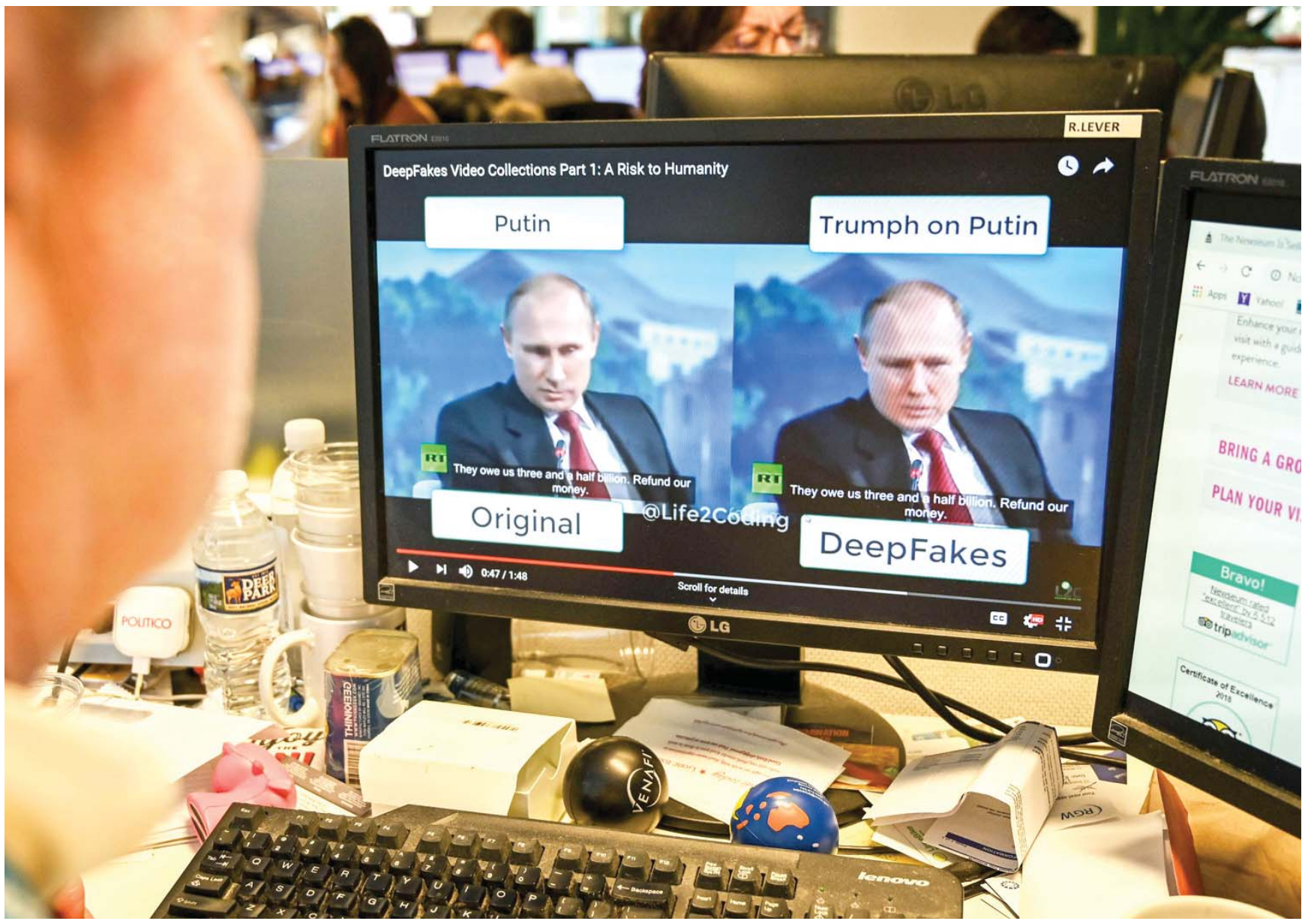

من هو المزيف ومن هو الحقيقي

واشنطن - تناقلت وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام مؤخرا شريط فيديو يظهر فيه مؤسس فيسبوك مارك زوكربيرغ وهو يتحدث عن سيطرته على بيانات مسروقة من المستخدمين. لكن، ما أثار الجدل لم يكن حديث زوكربيرغ عن اختراق خصوصية مستخدمي فيسبوك بل التقنية التي صنع بها هذا الفيديو المزيف، وهي تقنية ديب فايك.

يأتي الفيديو الذي ظهر فيه مؤسس فيسبوك ضمن موضة الـ"ديب فايك"، حيث تنتشر فيديوهات لمشاهير من عالم السياسة إلى الفنون والرياضة والأعمال. على غرار مقطع الفيديو الذي يظهر فيه بطل مسلسل صراع العروش جون سنو وهو يعتذر للمشاهدين عن أحداث الموسم الأخير.

يبدو واضحا أن من صنع هذا الفيلم شخص لم تعجبه نهاية صراع العروش، لكن رغم طرافة الفكرة إلا أنها لا تلغي خطورتها، في وقت يضيع فيه الخيط الفاصل بين الأخبار الحقيقية والمزيفة، حيث أصبحت طريقة تركيب مقاطع فيديو مفبرك يحمل معلومات مغلوطة عملية سهلة. ويزيد الذكاء الاصطناعي من بساطة الفبركة وإتقانها فيصبح من السهل تصديقها، حتى أن بعض المؤسسات مثل وول ستريت جورنال تقوم بالفعل بتدريب صحافييها على كيفية اكتشاف مقاطع الفيديو الزائفة قبل نشرها.

في اختبارات عرضت فيها مقاطع فيديو مفبركة على مجموعة شملت 138 متطوعا، خدع حوالي 60 بالمئة من المشاركين وقالوا إن المقاطع كانت حقيقية. قد تبدو هذه النسبة منخفضة، لكن 80 بالمئة من هذه المجموعة اعتقدوا أن اللقطات الأصلية غير المعدلة كانت أصلية أيضا. لاحظ الباحثون المشرفون على هذه الاختبارات أن هذا قد يرجع إلى إخبار الأفراد بأن إجاباتهم ستستخدم في دراسة حول تعديل المقاطع، مما يعني أنهم كانوا مستعدين للبحث عن الفبركة.

البداية مع كينيدي

تذكّر تقنية ديب فايك ببرنامج فوتوشوب الشهير وتطبيقات تعديل الصور، لكن بدلا من العمل على الصور الثابتة فإنّ العمل هنا يكون على فيديوهات ومقاطع مصورة. لا يبدل برنامج ديب فايك الوجه فحسب بل يطابق التعبير أيضا، لدرجة أنه يمكن أن يبدو الفيديو الزائف حقيقيا.

وترجع مجلة "ذا درام" جذور هذه التقنية إلى صناعة الإعلانات. وتشير المجلة في دراسة أعدتها كاتي ديغتون ترصد هذه الظاهرة الجديدة وتأثيراتها إلى أن ظهور الفيديوهات والصور المعدلة التي تعرف باسم ديب فايك يهدد بتقويض إحساسنا بالواقع الذي نعيشه.

تعود الفكرة إلى شتاء عام 2017. كان المدير الإبداعي لشركة "روثكو" آلان كيلي في دبلن يشاهد فيلما وثائقيا على نتفليكس حول اغتيال جون إف كينيدي، عندما علم أن الرئيس في ذلك اليوم المشؤوم كان في طريقه إلى "دالاس تريد مارت" لإلقاء خطاب.

يقول كيلي "لم أسمع به قط، لم أكن أعلم أنه كان ذاهبا إلى هناك لإلقاء خطاب. أجريت بحثا سريعا على غوغل لمعرفة ما إذا كان يمكنني العثور على نسخة من هذا الخطاب وكان من السهل إيجاده. ثم طرأت الفكرة... ماذا لو كانت هناك تكنولوجيا متوفرة يمكننا من خلالها إعادة إنشاء هذا الخطاب؟"

تحدث كيلي إلى منتجه في اليوم التالي وسعى الاثنان إلى الحصول على خبرة شركة "سيربروك"، وهي شركة التكنولوجيا السمعية البريطانية التي تحوّل النص إلى كلام. قامت صحيفة التايمز، التي كانت تطلق نسختها المطبوعة في أيرلندا في نفس الوقت تقريبا، بتمويل المشروع.

وبعد ثمانية أسابيع، تم تسجيل 831 خطابا وملايين من أجزاء الصوت المجمعة، ومن خلال هذه التسجيلات تم إعادة إنشاء الخطاب مرة أخرى. أصدرت التايمز العمل باسم "جون كينيدي أنسايلانسد"، وهي حملة حصلت بعد ذلك على جائزة "كرييتيف داتا غراند بري" في مهرجان كان ليون.

وفي الوقت نفسه تقريبا، بدأ مصطلح ديب فايك في اكتساب قوة على الإنترنت. وباعتباره اندماجا للمصطلحين "العميق" و"المزيف"، يُعتقد أن المصطلح نشأ على "منتدى رديت"، والذي استخدمه أعضاء المنتدى لوصف عملية تركيب وجوه المشاهير على أجساد ممثلي الأفلام الإباحية.

وتشير كاتي ديغتون إلى أنه سرعان ما تم استخدام المصطلح بشكل رئيسي للإشارة إلى الفيديوهات والصور المعدلة باستخدام تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي أو باستخدام خاصية الصور المُنشأة بالكمبيوتر أو كليهما – على الرغم من أن هذه العملية كانت موجودة في الإعلانات وهوليوود لعدة سنوات.

قامت شركة ديور باستخدام التكنولوجيا لإعادة إحياء مارلين مونرو ومجموعة من النجمات الأخريات في إعلانها عن عطر جادور التجاري لعام 2011، بينما لعبت شركة غالاكسي نفس الدور مع أودري هيبورن في عام 2013. كما قام منتجو فيلم فورست غامب بتجسيد شخصية جون لينون وهو يتحدث مباشرة إلى توم هانكس بعد 18 سنة من وفاة المطرب المشهور.

ولإنشاء مقاطع فيديو مفبركة، يجمع المختصون عددا من التقنيات. أولا، يعالجون الفيديو لتحديد الميزات الصوتية التي يتمتع بها المتكلم. ثم ينتقلون إلى مطابقة هذه الأصوات مع تعابير الوجه التي تصاحب كل صوت. أخيرا، ينشئون نموذجا ثلاثي الأبعاد لنصف وجه المتكلم السفلي باستخدام الفيديو الأصلي. وعندما يحرر أحدهم نسخة نصية من الفيديو، يجمع البرنامج كل هذه البيانات (الأصوات والتعابير) لإنشاء لقطات جديدة تتوافق مع النص المؤلّف. ثم يلصق هذا التعديل على الفيديو الأصلي ليتحصّل المستخدم على النتيجة النهائية.

وأصبحت تقنية ديب فايك متاحة للمستخدمين الهواة وساعد في رواجها تطبيق Fake App الذي طوره مبرمج مجهول. ويستخدم التطبيق عملية تعتمد على الذكاء الاصطناعي وتمر عبر 3 خطوات هي المحاذاة والتدريب والدمج، مستخدما المئات من الصور ثابتة الإطار المأخوذة من أحد الفيديوهات، ليقوم بتحليلها ودراسة تعابير الشخص وملامحه، وينتجها على هيئة فيديو من جديد.

الآثار الأخلاقية

لاحظ الباحثون أن هذه التكنولوجيا تمنح العديد من الاستخدامات المفيدة. وستحقق نتائج مذهلة في صناعات السينما والتلفزيون، وستسمح لفرق الإنتاج بإصلاح الأخطاء دون الحاجة إلى إعادة التصوير، كما ستخلق ممثلين يتحدثون لغات مختلفة دون دوبلاج. ولكن هذه الفوائد تبدو قليلة مقارنة بضرر هذه التكنولوجيا المحتمل.

مع تطور التقنية وتعدد استعمالاتها وتداخل الأهداف والأسباب، وفي ظل موجة الأخبار الزائفة، بات المتابعون يتحدثون عن آثارها الأخلاقية وتأثيراتها السياسية وتبعاتها الأشمل. وبلغت المحادثات ذروتها عندما ظهرت مقاطع فيديو لقادة العالم وهم يدلون بتصريحات لم يسبق لهم أن أدلوا بها، مثل باراك أوباما الذي يُزعم أنه أطلق على دونالد ترامب "هراء" في فيديو تحذيري نشر على موقع باز فيد.

ويقول جايمس فانسون، الخبير في مجال الذكاء الاصطناعي، في الوقت الحالي، تتيح هذه التقنية مقاطع كوميدية تصور الراهب الروسي غريغوري راسبوتين وهو يغني مقطعا لبيونسيه، أو ألبرت أينشتاين وهو يتحدث عن علوم اللغة. وأنتجت هذه المقاطع من صور قديمة بالأبيض والأسود.

> بعض المؤسسات مثل وول ستريت جورنال تقوم بتدريب صحافييها على كيفية اكتشاف مقاطع الفيديو الزائفة قبل نشرها

لكن، في المستقبل، قد يصعب التمييز بين ما هو حقيقي وما هو مفبرك، على الرغم من تطوير برامج مبنية على الذكاء الاصطناعي لاكتشاف هذا النوع من الفبركة.

وكتبت كاتي ديغتون، قائلة "أنت تشاهد مقطع فيديو وتعتقد أنه سيكون نافذة موضوعية إلى حقيقة ما. لذا، ما يقلقنا حقا هو أن هذه التقنية ستسمح للسياسيين على وجه التحديد برفض مقاطع الفيديو الأصلية بقولهم 'من الواضح أنها زائفة'".

في المقابل، يقول روجي باران، مدير إبداعي في شركة"جي.أس.آند.بي"، "نحن نتفهم التداعيات والتطبيقات المحتملة لهذه التكنولوجيا عندما يتعلق الأمر بالأخبار المزيفة أو التي تؤثر على الانتخابات أو، بالطبع، الإباحية. لكن هناك دائما تطبيقات شريرة وتطبيقات جيدة".

ويضيف باران "كان الأمر كذلك مع الطاقة النووية، كما هو الحال مع وسائل التواصل الاجتماعي وستكون مثلها مثل الذكاء الاصطناعي وديب فايك. لا يمكننا إيقاف التقدم، ولكن يمكننا استخدام قدرتنا العقلية وشغفنا ومواردنا لإظهار أنه ليس من الضروري أن يصبح ما يحدث شريرا. لا يجب استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي هذه فقط للأغراض المشبوهة والمخيفة. بل على العكس، يمكن أن يوفر ذلك لنا تجارب جديدة وأن يفتح فرصا جديدة للثقافة والترفيه والتعليم".

حسناء روسية وهمية تصطاد العملاء عبر موقع «لينكد إن»

لندن - شهدت السنوات الأخيرة تصاعد الخلافات خاصة بين روسيا من جهة والولايات المتحدة وأوروبا من جهة أخرى.

ولعبت الثورة في عالم تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي ووسائل التواصل الاجتماعي وشبكة الانترنت دورا في عدد مهم من القضايا.

وإذا كانت حادثة تسميم العميل الروسي السابق سيرجي سكريبال في لندن، من النوع "التقليدي" في عالم التجسس فإن حادثة جديدة كشفت عنها وسائل إعلام بريطانية وأميركية توضح إلى أي يستفيد الجواسيس من التكنولوجيا.

تشير صحيفة التايمز البريطانية إلى أن جواسيس روس استخدموا شخصية وهمية صنع برنامج على الكمبيوتر صورتها، لسرقة الأسرار العسكرية من المملكة المتحدة والولايات المتحدة عبر التواصل مع مستخدمي موقع لينكد إن.

واستخدمت كيتي جونز، ذات العيون الزرقاء الجذابة والشعر الأحمر، شبكة التواصل المهنية لينكد إن للدخول في دوائر المسؤولين الأميركيين، بالإضافة إلى كير جايلز، وهو خبير في شؤون روسيا بمركز تشاتام هاوس.

يقول حساب كيتي جونز على الموقع إنها تعمل في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن. وحسب صحيفة التايمز البريطانية، اعترف عسكري أميركي متقاعد بأنه قبل دعوة جونز لأنها كانت امرأة جذابة.

حسب صحيفة ذا صن البريطانية، يختصّ كير جايلز في شؤون روسيا، وهو زميل بارز في تشاتام هاوس. عندما تلقى دعوة جونز، ساورته الشكوك، حيث ادعى حسابها أنها حائزة على شهادات في الدراسات الروسية من جامعة ميشيغان.

ونقلت صحيفة التايمز عن جايلز قوله إنها "بدت صغيرة في السن بالنسبة لشخص يتمتع بخبرة وعمل لسنوات مع مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن. بحثت عن صورتها ولم تطابق أي بيانات في المركز، وهو أمر مثير للشبهات".

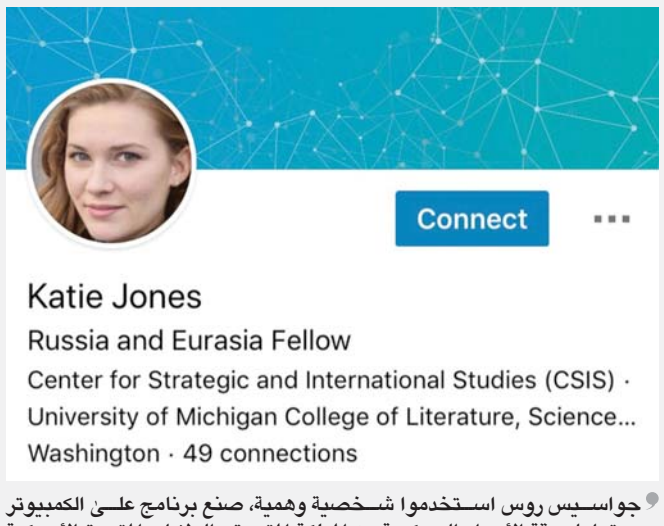

جواسيس روس استخدموا شخصية وهمية، صنع برنامج على الكمبيوتر صورتها، لسرقة الأسرار العسكرية من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأميركية عبر التواصل مع مستخدمي لينكد إن.

وعرض ملفها على منيرة مصطفى، وهي خبيرة في مكافحة الجوسسة. دققت مصطفى في الصورة وخلصت إلى أنها نتجت عن أحد برامج الذكاء الاصطناعي. ويوافقها خبراء آخرون حسب ما بينوا لوكالة أسوشيتد برس عندما حللوا الصورة.

نفى المتحدث باسم مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن، أندرو شوارتز، انتماءها لمجموعة المحللين، كما أكّدت جامعة ميشيغان عدم وجود اسمها في سجلات المتخرجين منها.

يعتبر معدّو ملف جونز أول من استخدم صورة عبر تقنية "ديب فايك" في هذا المجال عوضا عن صورة مسروقة من شخص حقيقي.

وأضاف جايلز "في المستقبل، من المحتمل أن تتحسن تقنيات الذكاء الاصطناعي لدرجة تصعّب تحديد الصور المزيفة". وقال إنه يشك في أن الروس كانوا وراء ابتكار شخصية جونز، في حين قال محللون آخرون إن العملية تحمل طابع دولة قومية.

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

عملاق السيارات تنقله عجلاتها إلى ما وراء القضبان

محي الدين طحكوت
مفتاح الفساد في تركة بوتفليقة

● الرجل الذي يلحق بكل من يسعد ربراب، علي حداد، والإخوة كونيناف في إحدى زنزانات سجن الحراش، وصاحب الثروة الهائلة، يحاول اليوم الضغط على السلطة بإمكانياته المادية والبشرية حتى وهو داخل السجن.

● مملكة طحكوت لا تتوقف عند احتكار النقل الجامعي الذي ينتسب إليه مليون ونصف المليون طالب، في أكثر من مئة مؤسسة جامعية تنتشر في 48 مدينة ومحافظة، بل امتدت لتشمل المركبات والسيارات وحتى الإعلام.

صابر بليدي
صحافي جزائري

يعد محي الدين طحكوت واحداً من النماذج المالية والسياسية التي أنتجها نظام بوتفليقة، حيث لعب عامل السرعة دوره في الصعود بالرجل من صاحب قصابة متواضعة في سوق شعبي، إلى أحد الأثرياء الكبار في البلاد، وذراع من الأذرع المالية للسلطة قبل أن يسقط بنفس السرعة، في إطار الحرب المعلنة على الفساد من طرف العسكر على رجالات بوتفليقة.

اهتمام طحكوت بالإعلام يعود إلى سنوات مضت، لكن مشاريعه التي أطلقها مع بعض الصحافيين في شكل صحف ورقية تعثرت. وكان طموحه يمتد حتى للاستثمار في الإعلام الرياضي، ليس لأنه كان مهتما بالترويج لرسائل إعلامية معينة، بل لاعتقاده بأن الوسيلة الإعلامية هي مشروع استثماري مفيد

ومن ذلك المحل الصغير لبيع اللحوم في ضاحية بودواو في شرق العاصمة، بدأت مسيرة واحد من حيتان المال في الجزائر، قبل أن ينتهي به المطاف في إحدى زنزانات سجن الحراش الشهير، وتتوقف معها مسيرة الرجل التي انطلقت في سوق شعبي وتطورت إلى إمبراطورية من الممتلكات والأموال والاحتكارات، وطائرة خاصة يستقلها في تنقلاته.

أداة للهيمنة على النقل

على النقيض من عناصر طبقة رجال المال والأعمال التي صنعها نظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، الذين تصدروا الواجهة منذ العام 2014، لاسيما بعد تأسيس ما يعرف بـ"منتدى رؤساء المؤسسات"، فإن جذور شهرة محي الدين طحكوت، بدأت قبلهم بسنوات، وارتبطت بأرمادة حافلات النقل الحمراء، التي احتكرت بقدرة قادر النقل الجامعي في ربوع البلاد، وحتى النقل الحضري بالعاصمة منذ العام 2016، بالاتفاق مع شركة "ايتيزا" المملوكة للدولة.

ولأن ثروات هذه النماذج من رجال الأعمال في الجزائر، لا تملك مسارا مهنيا ولا خبرة أو تكوينا أكاديميا ولا حتى رصيدا عائليا، فإن الثابت الوحيد لديها، أن لكل رجل أعمال قرينا من رجال الدولة النافذين، وما يقومون به هو واجهة لشبكة معقدة من النهب وتبديد المال العام.

ويجزم العارفون بأسرار ثروة طحكوت على أن سنده القوي في السلطة هو أحمد أويحيى، الذي لم يغادر كواليس النظام الحاكم منذ التحاقه بمؤسسة رئاسة الجمهورية كموظف في مديرية الإعلام إبان حقبة الرئيس الراحل هواري بومدين، إلى غاية اعتقاله هو الآخر منذ أيام قليلة.

وعلى الرغم من نفي أويحيى في أكثر من تصريح ملكيته لأي ثروة ولا أي نشاط ولا أي شراكة خاصة، في رده على شبهات علاقته بإمبراطورية طحكوت، وزعمه بأنه "من يملك دليلا يقدمه للقضاء ويأخذ أي شيء يثبت باسمي أو باسم العائلة"، فإن ما يُتداول عن نشاط أبنائه في عواصم غربية، وعن علاقة بينه وبين طحكوت، يورطه في قضايا فساد مالي وفي شبكات النهب والتبديد.

ولم تتوقف مملكة طحكوت، عند احتكار النقل الجامعي الذي ينتسب إليه مليون ونصف مليون طالب، في أكثر من مئة مؤسسة جامعية تنتشر في 48 مدينة ومحافظة، بل امتدت لتشمل المركبات والسيارات وحتى الإعلام، قبل أن يستقر الأمر لدى حكومات بوتفليقة الأخيرة على تقنين وشرعنة الاحتكار وتهريب النقد الأجنبي، عبر إطلاق معامل تركيب وتجميع السيارات، وتكون للرجل حصة الأسد، حيث تحول تخصصه في استيراد المركبات الآسيوية إلى شريك لعلامة "هيونداي" الكورية، ويشيّد عدة معامل ويستحوذ على عقارات واسعة في مختلف ربوع البلاد.

الاستيلاء على أملاك الدولة

تعتبر المنطقة الصناعية بضاحية الرويبة في شرق العاصمة، أحد نماذج الاستيلاء على الممتلكات العمومية، فالمنطقة التي كانت تمثل شريان النشاط الصناعي في البلاد منذ عهد بومدين وتشغل عشرات الآلاف من العمال في مصانعها، استولى على مساحة معتبرة منها وحولها إلى حظيرة لحافلاته وقاعات عرض للسيارات التي تنتجها معامله.

ورغم احتجاجات العمال في مختلف الوحدات المملوكة للقطاع العمومي، خاصة وأن المنطقة ظلت إلى غاية السنوات الأخيرة، جذوة مشتعلة للنشاط النقابي والعمالي، إلا أن التحالف الذي كان يجمع بين قيادة المركزية النقابية والحكومة ورجال الأعمال وأد الحركة الاحتجاجية وأبقى على إمبراطورية طحكوت في حالة توسع مستمر.

ومع أنه كان رجلا يتحاشى الأضواء والكاميرات والميكروفونات، لأسباب نفسية وشخصية، بسبب محدودية مستواه التعليمي، إلا أن اهتمامه بالإعلام بدأ منذ سنوات، فتعثرت مشاريعه التي أطلقها مع بعض الصحافيين في شكل صحف ورقية، وكان طموحه يمتد حتى للاستثمار في الإعلام الرياضي، ليس لأنه كان مهتما بالترويج لرسائل إعلامية معينة، بل لاعتقاده بأن الوسيلة الإعلامية هي مشروع استثماري مفيد.

ولأنه تعرض إلى عدة ابتزازات وضغوط من طرف وسائل إعلامية، فقد امتلك في صفقة غامضة قناة "نوميديا"، بعد وفاة مالكها الإعلامي سامر رياض، وحوّل الهجوم المركّز الذي كانت تشنه عليه بدعوى محاربة الفساد في البلاد عبر سلسلة من التحقيقات المثيرة، إلى وسيلة للدفاع عن مصالحه وسمعة مجمعه، خاصة بعد الفضيحة التي هزت أركانه العام 2017.

وتناقلت حينها صور وتسريبات بثت في شبكات التواصل الاجتماعي، معلومات خطيرة عن نشاط تركيب السيارات، وجزمت حينها بأن المجمع لا يقوم إلا بنفخ العجلات فقط، مقابل تهريب المليارات من الدولارات للخارج تحت طائلة استيراد القطع والأجزاء، مما خلق جدلا لدى الرأي العام حول دور طحكوت وأمثاله والحكومة في تبديد المال العام.

ولم يكتف الرجل بامتلاك قناة "نوميديا" وحسب، بل ضخ أموالا لحساب قناة جزائرية أخرى في باريس، بإيعاز من سعيد بوتفليقة، من أجل الترويج للعهدة الخامسة لبوتفليقة في المهجر قبل بداية الحراك الشعبي شهر فبراير الماضي، لكن سقوط نظام بوتفليقة وسجن سعيد بوتفليقة ومحي الدين طحكوت وغيرهم حولاها إلى قناة معارضة للسلطة السابقة ولسلطة العسكر الحالية.

ملتهم العائدات الوطنية

ولأن الرجل شعر بخطورة الأوضاع التي أفرزها الحراك الشعبي، وتحرك سلطة الجيش لتصفية رموز مرحلة بوتفليقة من مدنيين وعسكريين ورجال أعمال، فقد حاول الفرار إلى خارج الحدود، إلا أنه أنزل لسوء حظه من على متن طائرة كانت متوجهة إلى باريس لحظات قبل إقلاعها، لكنه استطاع قبل ذلك تهريب مبالغ معتبرة من العملة الصعبة عبر أعوانه، قبل أن تتفطن المصالح الأمنية للأمر وتفتح تحقيقا دوليا حول ضابط ينتسب إليها برفقة امرأة مزدوجة الجنسية كانا يضطلعان بتهريب الأموال لصالح طحكوت. ولأن يده طويلة في أدراج السلطة قبل العديد من رموز اللوبي المالي الذي تكوّن أثناء حقبة بوتفليقة، فقد كان طحكوت من الأوائل الذين احتكروا نشاط استيراد المركبات والسيارات خلال العشرية الأخيرة، بدعم من جهات نافذة في السلطة، وكان من أبرز ملتهمي عائدات سوق محلية ناشطة وصل استهلاكها خلال العام 2013 إلى سقف الـ600 ألف مركبة وسيارة.

ورغم أن صدمة انهيار أسعار النفط كانت قوية على الحكومة منذ صائفة العام 2014، فقد اهتدى اللوبي السياسي والمالي، إلى شرعنة نوع من الاحتكار وتهريب النقد الأجنبي، بدعوى الحد من استنزاف رصيد العملة الصعبة، عبر التوجه إلى نشاط تركيب وتجميع المركبات والسيارات محليا، وكانت شركة "سيما موتورز" المملوكة لطحكوت الشريك الحصري للعلامة الكورية "هيونداي"، من أوائل المستفيدين من النمط الجديد في نهب المال العام.

استفاد هذا النوع من النشاط من مزايا جبائية وجمركية ضخمة، وحظي بدعم وتأييد حكومة أحمد أويحيى، حيث أفضت عملية الغربلة إلى إزاحة العديد من المتعاملين من السوق، ووضعها بين محتكرين معينين يحظون برعاية فاعلين في السلطة، وكان لكل متعامل رجل في النظام الحاكم، كشرط من شروط الاستمرار أو التبخر، وهو ما سمح لإمبراطورية بالتوسع والتمدد تحت ظلال أويحيى.

العارفون بأسرار ثروة طحكوت يجمعون على أن سنده القوي في السلطة، هو أحمد أويحيى، الذي لم يغادر كواليس النظام الحاكم منذ التحاقه بمؤسسة رئاسة الجمهورية كموظف في مديرية الإعلام إبان حقبة الرئيس الراحل هواري بومدين، إلى غاية اعتقاله هو الآخر قبل أيام قليلة

كان طحكوت يدرك جيدا أن السخاء في دعم نظام بوتفليقة، وتمويل حملاته الانتخابية، هو السبيل الوحيد للوصول إلى الاستحواذ على جزء من الاستثمارات الحكومية، التي توزعت اختصاصاتها بين رجال المال الذين صنعهم نظام الرئيس السابق، لذلك كان لا يتأخر في الإنفاق على مشروعات دعائية وسياسية للسلطة، وحدث أن وضع ترسانة النقل التي يملكها تحت خدمة حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم، لتنظيم مؤتمره العاشر العام 2015.

كما لم يتأخر عن ولوج العالم الافتراضي، برصد دعم مالي لصحافيين وناشطين على شبكات التواصل الاجتماعي، من أجل توظيفها في الدعاية والدفاع على مصالحه، التي أزعجتها منشورات وصور فضحت بشكل لافت بداية من العام 2017، عملية الاحتيال على المال العام، بواسطة احتكار النشاط وتهريب المقدرات المالية لاستيراد القطع والأجزاء.

ويحاول الرجل الذي لحق بكل من يسعد ربراب، علي حداد، والإخوة كونيناف في إحدى زنزانات سجن الحراش المدني بالعاصمة، وصاحب الثروة المقدرة بنحو مليار دولار بحسب تقديرات أجنبية، الضغط على سلطة الأمر الواقع، بإمكانياته المادية والبشرية حتى وهو داخل السجن، فقط رفضت شركة النقل في اليوم الموالي لحبسه، إلحاق حافلاتها بمحطات نقل الطلبة، قبل أن تتدخل الحكومة لفرض سلطتها والإبقاء على الخدمة، كما ينتظر أن يشرع العمال والموظفون المنتسبون لمجمّعه في حركة احتجاجية قريبا.

المعلم المصري في نزاهته

عز الدين نجيب

صنيعة اختلافه رساما وناقدا

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ما بين الكتابة والرسم استرسل في رحلته لاكتشاف الأعماق وفي طريقه إلى الأعماق كان يعرض نفسه لأسئلة المصير. رجل استفهامي عاش حياته بشعور عميق بالمسؤولية باعتباره نموذجا للمثقف العضوي الذي لا يتحقق وجوده إلا من خلال انتمائه إلى الشعب في مختلف حالاته.

فرض عز الدين نجيب مفهومه لشخصية المثقف من خلال سلوكه اليومي ولم يكن رجل نظريات عارضة أو مرتجلة. في كل ما فعله كان يستند إلى مرجعيات سياسية فتحت الباب على ما هو اجتماعي، بطريقة وضعت الفن والأدب في مواجهة قدر جمالي مختلف.

المقيم في زوال الأشياء

حياته كانت رحلة، مسافاتها أهلته لأن يقف في مقدمة المحتجين على ثقافة الاستهلاك والتبسيط والتفاهة والنفاق والسذاجة التي صارت تحاصر الوضع البشري بشروطها. لا يزال كتابه "الصامتون" صادما ومفاجئا وعنيفا. كتاب هو أشبه بصرخة النرويجي إدفارد مونخ.

في كل ما كتبه ورسمه لم يكن رجل متعة. غير أنه كان جادا بطريقة ساحرة وأخاذة. صدقه في طرح قضيته يكشف عن فهم عميق لتفاصيلها وهو ما أبعد عنه شبهة السياسة. فنجيب يمثل قلة من المثقفين العرب الذين أدركوا أن تغيير المجتمع لا يتم إلا من داخله وليس من خلال الإملاءات الفوقية.

المؤرخ الموثق والمنقب والباحث كلهم كانوا في خدمة الرسام. رسم نجيب باعتباره سليل حضارة لم تنقطع. وهو ما كان له أثر في كتاباته النقدية التي لم ترق للكثيرين بسبب صراحتها وعزوفها عن النفاق الثقافي. كرهه الكثيرون وهو الذي لم يكتب ليكون محبوبا.

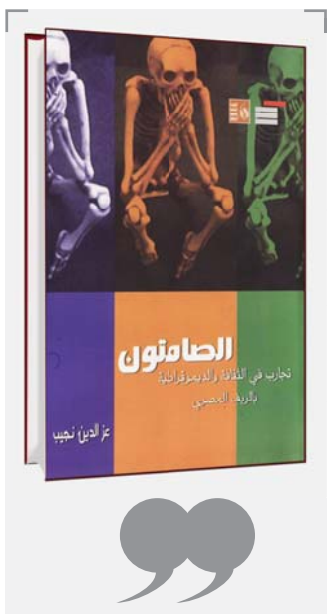

كتابه «الصامتون» لا يزال صادما ومفاجئا وعنيفا. كتاب هو أشبه بصرخة النرويجي إدفارد مونخ. وهو في كل ما كتبه ورسمه لم يكن رجل متعة، غير أنه كان جادا بطريقة ساحرة وأخاذة

كان هدفه أن يعيد لمفهوم "ابن الشعب" مزاجه الثقافي الرفيع. لذلك لم يكن شعبويا بل كان صارما في صنع المسافات التي يتحدد من خلالها دور المثقف في صياغة مستقبل مجتمعه.

لطالما حلم الفنانون التشكيليون بأن ينالوا لفتة منه بسبب نزاهته وعفته اللتين جعلتاه يقف وحيدا.

وتبقى رحلته إلى بلاد النوبة أشبه بالرحلات الأسطورية إلى بلاد ستختفي ولن يعود لها وجود بعد أن تغمرها المياه. من خلال تلك الرحلة بقي صوت نجيب نقيا وصافيا وهو يخاطبنا من الأعماق مخترقا زمنين، زمنا يعود لبلاد غمرها الطوفان وآخر يتطلع إلى المستقبل.

لقد سحرته فكرة أن يكون موجودا في الأشياء الأصيلة الزائلة، فكان يرسم ويكتب كما لو أن كل شيء سيبقى في مكانه.

حياة الباحث عن الحقيقة

ولد نجيب عام 1940 في مدينة مشتول سوق بمحافظة الشرقية. انتقل إلى القاهرة وهناك أكمل دراسته وتخرج من كلية الفنون الجميلة. بعدها بدأ حياته العملية في بعثة مرسم الأقصر. عام 1964 قام برحلة شخصية إلى النوبة القديمة كان الغرض منها توثيق مشاهد المنطقة التي ستختفي من الوجود بعد أن تغمرها مياه السد العالي، وانتخب عام 1995 رئيسا لجمعية اتيليه القاهرة بعد أن كان سكرتيرا لها.

أصدر نجيب ثلاثة كتب قصصية هي "أيام العز" و"المثلث الفيروزي" و"أغنية الدمية". أما كتابه القصصي الرابع وهو "عيش وملح" فقد كان مشتركا مع آخرين. كما أصدر رواية بعنوان "نداء الواحة". وأسس جمعية "أصالة" لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة.

في مجال النقد الفني كان واحدا من أهم نقاد الفن العرب. فقد نشر المئات من المقالات في الصحف والمجلات المتخصصة كما أصدر الكتب التالية "فجر التصوير المصري" و"التوجه الاجتماعي للفنان المصري المعاصر" و"فنانون وشهداء" و"أنشودة الحجر" و"الإبداع والثورة" عن الفنان حامد عويس و"الكلمة. الريشة. الموقف" و"رسوم الزنزانة" الذي أصدره عام 2014. وألف نجيب كتبا عن عدد من رواد الفن التشكيلي في مصر إضافة إلى تأليفه موسوعة الفنون التشكيلية التي صدرت عام 1985 بثلاثة أجزاء.

يعتبر كتابه "الصامتون" الذي صدر عام 1985 واحدا من الكتب النادرة والعميقة التي عالجت مسألة الثقافة والديمقراطية في الريف المصري.

"صيادون وقوارب" هو عنوان معرضه الشخصي الأول الذي أقامه عام 1965 وكان قد أقام قبل سنة معرضا مشتركا مع الفنان زهران سلامة بعنوان "من وحي السد العالي". بعد ذلك أقام الفنان 26 معرضا شخصيا كان آخرها بعنوان "العيش والحلم" بقاعة الباب ـ سليم بالقاهرة عام 2018.

تنقل نجيب بين قرى مصر ومدنها محمولا على هاجس البحث عن جوهر الحياة الحقيقية الذي تعرض للاندثار بسبب انتشار ثقافة الاستهلاك المعولمة، بكل ما حملته معها من مظاهر غلبت بقوة نفوذها الطابع الأصيل لأداء الإنسان المصري في حياته اليومية. كان ذلك الصدام هو موضوعه الأثير الذي عمل عليه رساما وباحثا وقاصا. من خلاله تسلل إلى قضيته السياسية ذات الطابع الاجتماعي التي تهدف إلى الدفاع عن أصالة سبل العيش من خلال تكريس نوع نزيه من الوعي، صار يختفي تدريجيا من الحوار الثقافي.

المعادلات التي عمل على تفعيلها نجيب وتكريس تأثيرها في المجتمع هي معادلاته الشخصية التي وهبته مكانة خاصة في التاريخ الثقافي المصري المعاصر. فمَن يطلع على سيرته رساما وناقدا فنيا وباحثا لا بد أن يجمع ذلك التنوع في شخصية رجل الفكر المناضل الذي دخل إلى السجن لأسباب فكرية وليس لأسباب حزبية. في كل ما فعله نجيب هناك جانب حيوي يتلخص في علاقة المثقف بالواقع. وهي علاقة ليست واقعية بالضرورة من جهة شروطها التي تمتد إلى أماكن خفية، يساهم الخيال في إثرائها.

نجيب الذي عاش الجزء الأكبر من حياته مرتحلا تعرف من خلال أسفاره على طبيعة مصر بكل تضاريسها ومن خلالها تسلل إلى الروح المصرية في غناها التعبيري. هناك حيث يقيم الواقع وما تحته من طبقات هي عبارة عن مجموعة من لغات التعبير التي تتصادم في ما بينها لتصل إلى انسجام إيقاعها.

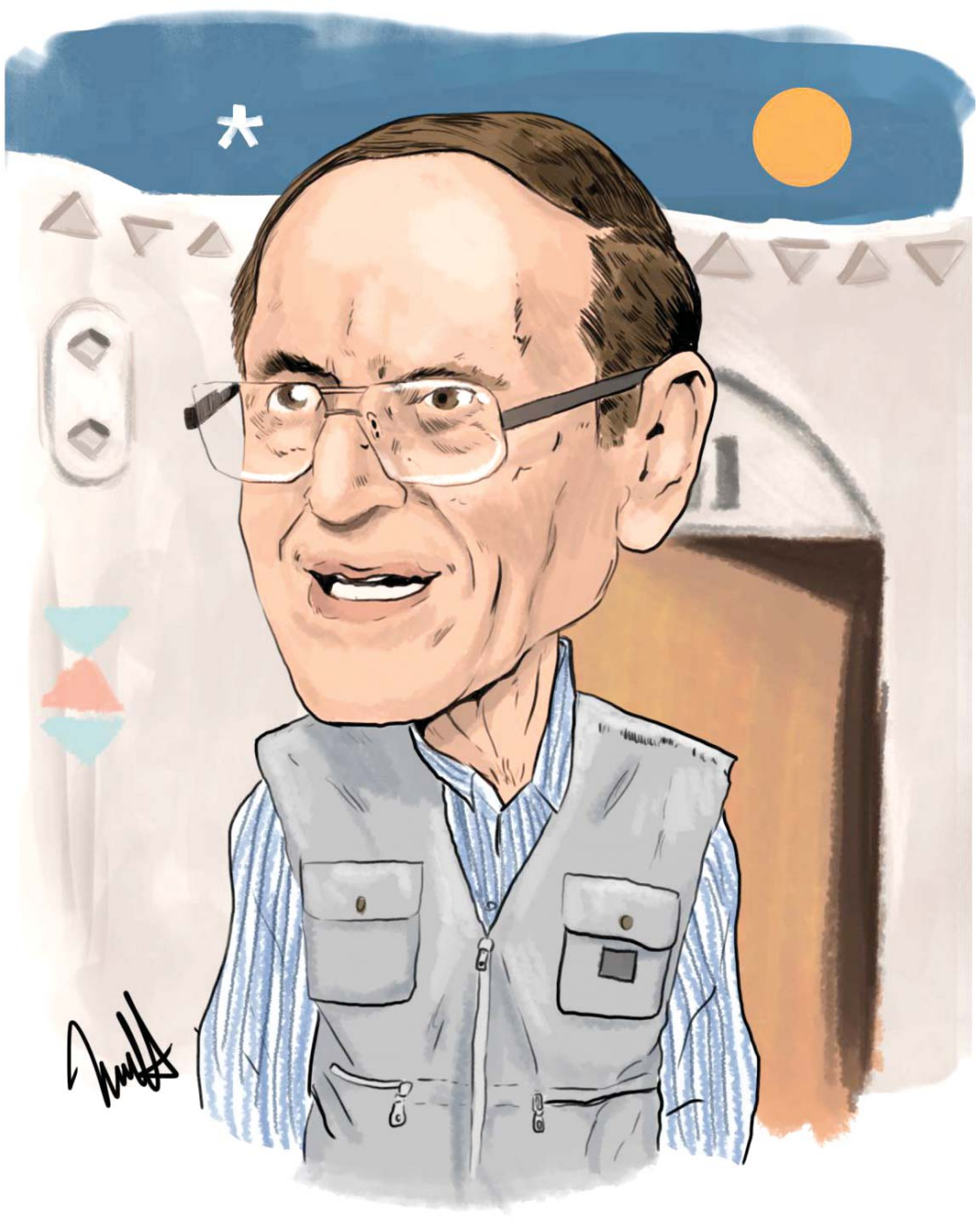

المصري في خلاصاته

الرسام كتب والكاتب رسم، ولكن الواقع ليس كذلك. نجيب تجده في رسومه كما في كتاباته القصصية والنقدية هو المثقف المعارض. تلك هي الدرجة التي يشعر فيها بالاطمئنان إلى نقاء سريرته ونزاهته الروحية.

يمكنك بيسر أن تتعرف على مصريته ما أن تلقي نظرة سريعة على واحدة من لوحاته. الأمر نفسه يحدث حين تقرأ سطرا من كتاب له. لغته في الحالين واحدة وهي تشير إلى مصريته التي تشرب بها وصارت جزءا من عاداته في الرسم كما في الكتابة.

نجيب يفرض مفهومه لشخصية المثقف من خلال سلوكه اليومي. لم يكن رجل نظريات عارضة أو مرتجلة. في كل ما فعله كان يستند إلى مرجعيات سياسية فتحت الباب على ما هو اجتماعي ووضعت الفن والأدب في مواجهة قدر جمالي مختلف

إنه مصري بعمق وأصالة وتحد. غير أن ما يميز نجيب ناقدا فنيا أنه لم يكن حكائيا. كان يعالج موضوعاته بما يفرضه النظر من خلاصات لا تخلو من أحكام متشددة.

غير أن ذلك المتشدد الذي أغضب الكثيرين والمعارض الذي انحاز إلى حريته كان يخفي بتواضع شخصية المعلم الذي لا يمكن إنكار أثره في الثقافة البصرية في مصر.

لا يحتاج نجيب إلى أن يُستعاد رساما وكاتبا قصصيا وناقدا فنيا وإن كان فعلها حين أقام معرضا استعاديا لرسومه عام 2018. ذلك لأن كل ما تركه من صدمات في الثقافة المصرية المعاصرة سيذكر به. فهو نموذج المثقف المختلف الذي يقف مثل علامة استفهام في مفترق الطرق. عز الدين نجيب هو معلم أجيال ستكتشف مصريتها من خلاله.

العرب الثقافي
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

متاهة الاستهلاك

شعار الجميع: أنا أستهلك إذن أنا موجود

يشتمل هذا الملف "متاهة الاستهلاك" على عدد من المقالات والاستطلاعات والآراء المتعلقة بظاهرة الاستهلاك وطبيعة حضورها في حياة الناس في الأدب والفن والسلوك اليومي لدى الأفراد والجماعات، وينطلق من مقولة "أنا أستهلك إذن أنا موجود" المعادلة على نحو ساخر للمقولة الفكرية الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود"، لينتقل الملف بمقالاته من ضفاف المسألة إلى أغوارها، عبر عدة مشاركات تحاول تفكيكها كظاهرة باتت تتخذ حيزا أوسع لها بشكل متسارع في حياتنا المعاصرة. تكون البداية مع السؤال عما إذا كان الاستهلاك سعادة زائفة تختبئ تحت ستار النزعة الاستهلاكية والوعود الفارغة الجوفاء أم أنها أمر مختلف، ثمّ يحضر الحديث عمّا يوصف بالسعار الاستهلاكي، والتسويق العاطفي والجاذبية الزائفة، وكذلك يحضر الحديث عن صناعة الجهل وثقافة الاستهلاك، حيث تكون المقاربة متركزة على أخلاقيات الإعلام ورهانات الواقع.

ويمضي الملف بمقاربة الاستهلاك من مختلف جوانبه، وكيف يكون شرارة للتلاعب بالعين وبالصورة معا، وتشكل ما أو مَن يوصفون بقديسي الاستهلاك وشياطينه في عالم ينوس بين الاستهلاك والهلاك.

ويكون هناك حديث عن الإعلان وثقافة الاستهلاك الطفيلي التي تغزو العالم، وعن الأدب الفيسبوكي كفضاء للحرية ومنهج للاستهلاك معا، بالإضافة إلى حديث عما يوصف بالأدب الاستهلاكي، وعن أساطير المجتمع الاستهلاكي، وعن المسرح الاستهلاكي والفن المبتذل كذلك. ولا يكتفي الملف بنماذج عربية للاستهلاك، وإنما يتوسع ليتناول ظواهره المختلفة، إن في الثقافة العربية ومجتمعاتها، أو في ثقافات العالم ومجتمعاته، في ظل لحظة عالمية توصف بأنها لحظة ما بعد حداثية بامتياز.

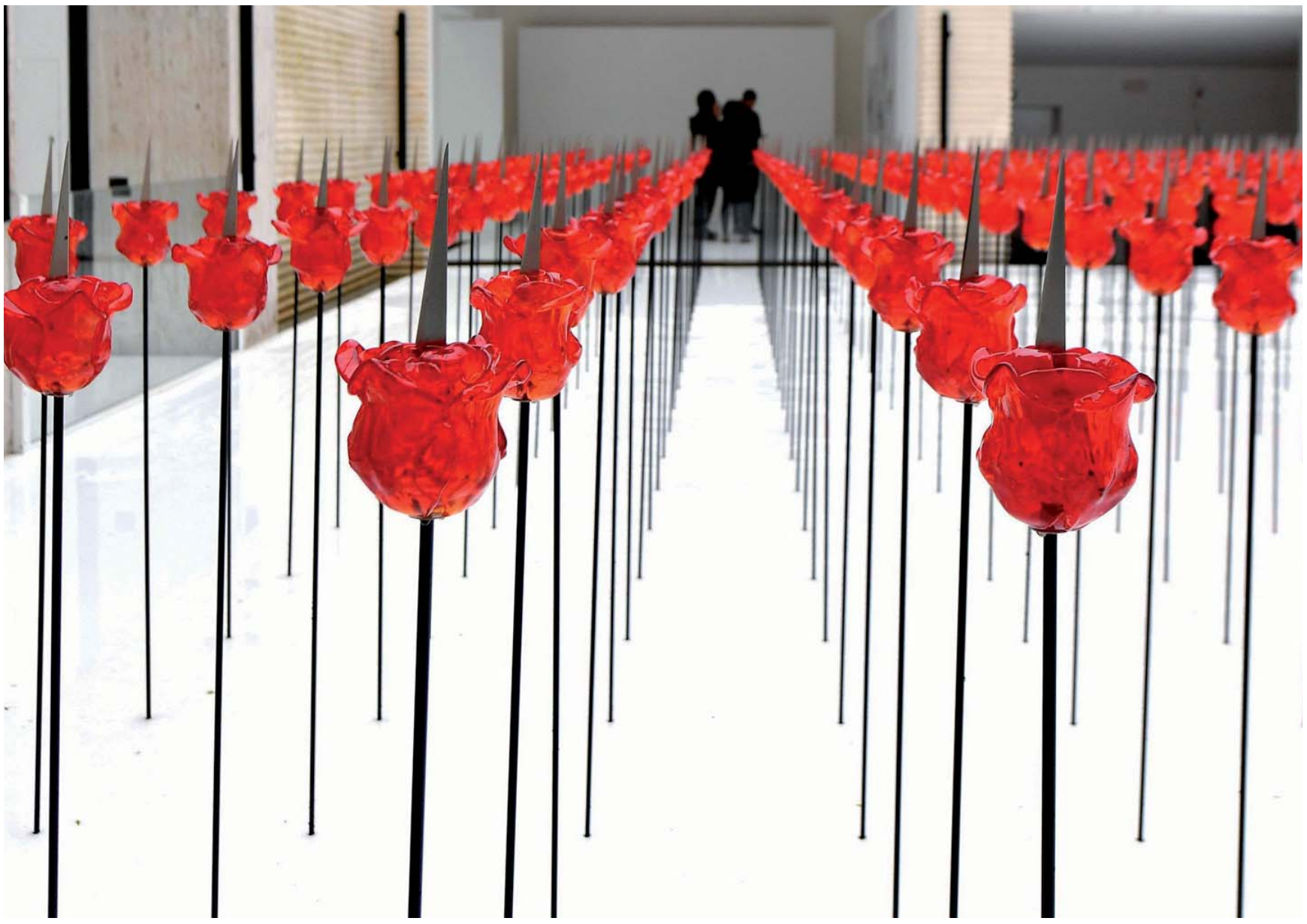

أزهار الاستهلاك (عمل فني تركيبي)

السعادة الزائفة

النزعة الاستهلاكية والوعود الفارغة

لطفية الدليمي
كاتبة عراقية

مع نهم الاستهلاك المفرط أصبح ما يهمّ الناس في المجتمعات الحديثة اغتراف كل ما يمكنهم اغترافه من الأشياء والأموال، غير عابئين بما يتبقى لسواهم. وقد أدى هذا النمط الجشع من الاستهلاك إلى انزواء جميع الأفكار المتعلقة بمعنى الحياة ومفاهيم العيش المشتركة من عقول المجموعات المستهلكة، وصار النهم لاقتناء السلع من ملابس وإلكترونيات وسيارات يغيّب الإحساس الإنساني بالواجب الاجتماعي، وما يجب أن ينهض به المرء إزاء الحياة وتطورها وآفاق غدها، واقتصر النشاط البشري على الإشباع السريع للمتع المتاحة، فأصبحت الحياة كأنها "اللحظة" المعاشة حسب، وبات ما يعني الجموع النهمة عيش "الآن"، وما يوفره النمط الاستهلاكي من خداع توفير السعادة المضللة والاكتفاء الذي لن يحصل قط.

أنجبت الليبرالية الجديدة والتداول الإلكتروني للسلع والعلاقات البشرية مظاهر مترابطة تقوم على تشجيع فرط الاستهلاك لحماية حرية الأسواق الاقتصادية وحرية التجارة وتعزيز أرباح الشركات العملاقة الداعم للنظام. كما أدت تفاعلات هذه الحريات الاقتصادية إلى تفشّي نزعة التملك والخضوع لمغريات القصف الإعلاني وفتنة المتع المتحصّلة من هوس الشراء.

وعملت المؤسسات التجارية ما بعد الحداثية، في مقدمتها صناعة الإلكترونيات ووسائل التواصل ودور الأزياء، على ترسيخ القوة الجائحة لليبرالية الجديدة، منجبة النزعة الاستهلاكية والحرية الفردانية ووعد السعادة المتاحة، فخاطبت وسائل الإعلان المغرية التي يروّج لها المسّوقون البارعون الجانب الرغائبي الخفي لدى الناس: رغبة الظهور بصورة أفضل عبر الأزياء، ورغبة الرضا عن النفس عبر عمليات نحت الأجسام، وتجميل الوجوه حسب المعايير السائدة المفروضة من قبل الإعلام، وهيمنت الشهوات القائمة على جوع للتملك على نمط تفكير المستهلك الذي يظن واهماً أن سعادته سوف تتحقق إذا قلّد "النموذج" السائد جمالياً، وأن يتماثل مع نموذجه المشتهى من نجوم السينما والإعلام ومغني البوب والشخصيات المشهورة على وسائل التواصل.

وقد تركت الأفكار الموجهة، التي تسوّقها برامج التوك شو كبرنامج "أوبرا وينفري" وبرنامج "ايلين ديجينيرس" وبرامج المسابقات العربية، آثارها في الذائقة العامة والسلوك الإنساني، وعملت على إزاحة قيم وأعراف تقليدية مستتبة معينة، وإحلال قيم الفردانية ما بعد الحداثية محلها.

وترافق هذا الاستبدال اللاواعي بالهدايا الثمينة والفوز في التنافس اللاهث، مما سهل عملية خداع الجمهور وتوجيه أفكاره وعواطفه نحو اتجاهات استهلاكية وسلوكية محددة، فالكل يعمل من أجل الفوز، ودحر كل آخر، ومصادرة القيمة الإنسانية لدى الأفراد من جانب، وتحقيق المزيد من الأرباح للمؤسسات من جانب آخر، وهي أرباح طائلة تتقاسمها البرامج مع الشركات المصنّعة التي توهم سذاجة المستهلكين -المأخوذين بنشوة الفوز- بسخائها، وكرم مقدمي البرامج، مثلما توهمهم بأهميتهم اللحظية حال ظهورهم في البرامج الشهيرة.

> **تعمل وسائل التواصل، بما تبثه من سيل الإعلانات المثيرة، على تدجين مستخدميها وتعويدهم على ملاحقة إعلاناتها عن موديلات السيارات، وآخر أجهزة الموبايل**

وسائل التواصل وتدجين المستهلك

تعمل وسائل التواصل، بما تبثه من سيل الإعلانات المثيرة، على تدجين مستخدميها وتعويدهم على ملاحقة إعلاناتها عن موديلات السيارات، وآخر أجهزة الموبايل، وبرامج التجسس على الآخرين، وعروض الأزياء، ومواد التجميل لاستعادة الشباب وصولاً إلى إعلانات تجارة الجنس الإلكتروني.

وقد يحدث أن تتراجع المبيعات في موسم معين، ويتردّى الاقتصاد في عموم المنظومة الاقتصادية خلال فترات دورية، فيختل توازن القوى الاقتصادية الداعمة للنظام الليبرالي الجديد، عندها قد يخفت الاستهلاك في حدود بسيطة، وتتصاعد وتيرة طرح النماذج القابلة للتقليد لتسويق الممارسات الاستهلاكية على نحو يحقق أرباحاً معقولةً لأرباب الصناعة والمال، وهم المؤثرون في سياسات الدول الليبرالية.

وعندما لا تجدي هذه الوسائل ولا تصل إلى غاياتها المرسومة لترويج الإدمان الاستهلاكي.

الحصول على كل ما هو جديد ينعكس على العلاقات الإنسانية (غرافيك الجديد)

الأدب الاستهلاكي

نهلة راحيل
كاتبة مصرية

الـ"استهلاكي"؛ اسم منسوب إلى "استهلاك"، ومصدر الفعل السداسي "استهلك" الذي يفيد -كما ورد في لسان العرب- معاني الإنفاق والنفاد دون تحقيق منفعة مباشرة للفرد أو للمجتمع، من هنا أصبحت الصفة لصيقة بكل ما يتم إنتاجه من سلع، مادية وفكرية، تفي بحاجات الإنسان ورغباته المتزايدة دون الاهتمام بجودة ما يُقدم أو بكيفية إنتاجه، ثم أصبحت "الاستهلاكية" كلمة تشير إلى أن المستهلك/ المتلقي هو صاحب القرار وهو الجهة المسؤولة عن تحديد كل ما هو رائج أو غير رائج في الأسواق.

يمكننا تعريف الأدب الاستهلاكي بأنه "ذلك النمط من الكتابة الذي يراعي فيه المبدع رغبات القراء ومتطلبات السوق"، كما يمكننا اعتباره أيضا "صيغة قرائية" في المقام الأول يفرضها المتلقي على النص وكاتبه، بعد أن قدم تصورا خاصا للأنماط الإبداعية وفق ذائقته القرائية أو انتباهه النقدي الذي قد يتركز -في كثير من الأحيان- على المؤلِف أكثر منه على المؤلَف.

من هنا يمكن القول إن "النزعة الاستهلاكية" (Consumerism) في النص الأدبي قد ترتبط بكاتب النص ذاته، وذلك عندما يسعى إلى محاولة خلق أدب جديد يكسر السلطات المعتادة؛ اللغوية أو الاجتماعية، ويخرج على المحددات النوعية الحاكمة للشكل الأدبي عموما. وقد يحكمه في ذلك أمران:

الأول، هو الرغبة في الانتشار السريع والشهرة الواسعة والربح المادي، وحينها يعد النص سلعة تجارية تخضع لآليات السوق وذائقة فئة محددة من الجمهور، فتصبح مفاهيم مثل المتعة والتسلية والإبهار من السمات التأسيسية والأصيلة في العمل.

والثاني: هو الرغبة في كسر الشكل الكلاسيكي التقليدي وتمثل طرائق إبداعية مغايرة تنفصل عن المرجعيات الفكرية للأجيال السابقة وما تمثله من سلطة رقابية على شباب المبدعين، وحينها يعد النص ممارسة تجريبية تخضع لقدرات الكاتب على الابتكار السردي وحريته في تجريب الجديد من التقنيات، فتصبح مفاهيم مثل ثقافة الصورة والعناوين الجاذبة وتشكيل الأغلفة وتوظيف اللغات الأجنبية وإعادة تمثل المقولات التراثية، من الانشغلات الأدبية المشتركة في إبداعات الأجيال الجديدة من الأدباء والتي تسهم في رواج العمل واسم صاحبه.

أما إذا انطلق هذا التحديد من موقع القارئ، فإن تسويق بعض الأعمال الأدبية تجاريا قد يكون منوطا بميول القارئ لبعض النصوص القائمة على اسم مؤلفيها، مما يخلق لها شهرة زائفة ويضفي عليها بعدا استهلاكيا، فتتنافس على قراءتها شريحة كبيرة من القراء وتحصد نسبة عالية من المبيعات رغم بساطة قيمتها الأدبية. وهنا تؤدي "ثقافة الصورة" دورا في تحديد التذوق الفني للمتلقي، وبالتالي في دعمه لبعض النصوص دون غيرها (رغم ضآلة المضمون)، أو لبعض المؤلفين دون غيرهم (رغم تواضع الموهبة)، فيرتبط رواج العمل بانتشاره.

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

التلاعب بالعين وكذلك بالصورة

محمد السيد إسماعيل
كاتب مصري

تعد موضوعة الاستهلاك مبحثا من مباحث علم الاقتصاد، فهي تمثل الضلع الثالث في مثلث البحث الاقتصادي: الإنتاج – التوزيع – الاستهلاك. وظل الاقتصاديون يعتبرون وفرة الإنتاج ومعدلات الاستهلاك من علامات الانتعاش الاقتصادي، الذي ظل لفترات طويلة طامحا – فحسب – إلى تحقيق حد الكفاية، وتلبية احتياجات المستهلك الأساسية، الترفيهية في الحدود المناسبة.

لكن هذا التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، لم يستمر مع دخول الدول الغربية ما يسمّى بعصر الأنوار بعقلانيته الحديثة، التي تشبّعت بالنظرة الاستغلالية للطبيعة والإنسان الذي استنزفت الرأسمالية "قوة" عمله ثم قدراته المالية القليلة – مع غيره من الطبقات الأكثر ثراء- تحت إغواءات الاستهلاك التي لا تنتهي.

ومع توالي الثورات الصناعية، منذ كوبرنيكوس إلى ما يتردد الآن عن دخولنا عصر الثورة الرابعة، لم تعد الأسواق الوطنية قادرة على استيعاب كل هذه المنتجات الضخمة والمتنوعة. وقد نتجت عن ذلك ظاهرتان: ظاهرة الاستعمار التي تهدف إلى فتح أسواق جديدة بالقوة. وظاهرة "عولمة" الاستهلاك، وتسييد ثقافة استهلاكيّة، تقوم على تسليع كل شيء، فبعد أن كان فتح الأسواق يتم بالقوة، أصبح يتحقق بتغيير أنماط الوعي والسلوك.

وهذا ما تعنيه الثقافة في أبسط معانيها الأنثروبولوجية، فهي "أساليب حياة تتضمن معاني ودلالات يعيش الناس بمقتضاها ويتشبثون بها ويتواصلون من خلالها" ("ثقافة الاستهلاك في المجتمع المصري" د.سعيد المصري موقع قضايا). وهو تعريف يمزج بين الجانب الرمزي للثقافة والجانب المادي للاستهلاك، وتصبح ثقافة الاستهلاك، المراد تسييدها هي كافة المعاني والرموز والتصورات الدافعة للاستهلاك والمصاحبة له.

ولا شك أن ثورة المعلومات، وتدفقها اللحظي على مستوى العالم قد ساعد على ما يسمّى بعولمة الحياة اليومية القائمة على هذه الثقافة الاستهلاكية، وهو ما يؤدي إلى ظاهرتين متناقضتين في الظاهر لكنهما متماهيتان في الحقيقة وهما: الإحساس الزائف لدى المستهلكين بأنهم قد أصبحوا قادرين كغيرهم، أو الاغتراب بسبب ما يمكن أن نسمّيه البؤس الاستهلاكي القائم على الفجوة الواسعة بين التطلعات الاستهلاكية، والقدرات الفعلية.

حيث يقع الفرد فريسة "تقليد" الآخرين تحاشيًا للشعور بالنقص وهو ما يأتي على حساب تنمية الذات واستثمار ملكاتها، هناك إلهاء عن حقيقة "الذات " –رغم ما هو شائع عن تأكيد قيم الفردية- يتوازى مع الإلهاء عن حقيقة "الأشياء" المستهلكة التي يتمّ التركيز فيها على الجانب الجمالي لا الوظيفي، وتقديم التجديد الشكلي على الجودة الحقيقية، وهو ما تتسم به ثقافة ما بعد الحداثة التي تتغلب فيها الصورة على الواقع، والتلاعب بالعين والحواس الأخرى لإغواء المستهلك، ويقدم التظاهر بالقدرات الاستهلاكية بوصفه علامة على التمايز الاجتماعي بغض النظر عن الأعباء المادية المترتبة على ذلك.

فالمستهلك –هنا- واقع تحت ضغوط اجتماعية مستسلمة بدورها لثقافة إشهارية إعلامية، تصنع الذوق الاستهلاكي على مستوى العالم وتوحيد السوق. ومما يزيد الأمر تعقيدا الانتقال من الإنتاج كثيف العمالة إلى الإنتاج كثيف المعرفة، ومن إنتاج الوفرة إلى إنتاج السرعة وبهذه الاعتبارات أصبح المستهلك هو المحرك الأساسي للإنتاج. ومن هنا أصبح استهدافه، والتأثير عليه أمرا محتوما من خلال تفعيل آلية الدعاية والإعلان والتسويق عبر مواقع الإنترنت، وتوظيف الجنس ومغازلة أحلام الحظ عن طريق الاندماج في الاستهلاك وشيوع شعارات من قبيل: "تشتري أكثر تزيد فرصك في المكسب أكثر".

وكان لا بد أن تترك هذه الظاهرة آثارها السلبية على الأدب، الذي أصبح سلعة تقاس أهميتها بدرجة الانتشار، وتحقيق أعلى أرقام التوزيع وتراجعت معايير العمق والإجادة وجماليات النوع الأدبي، وتخلت دور النشر الخاصة عن طباعة الشعر بسبب عدم الإقبال عليه. وعلى الرغم مما يقال عن زمن الرواية فقد شاعت منها نوعيات معينة تتسم بالتبسيط الذي قد يصل إلى درجة التسطيح والإثارة الفضائحية سواء كانت جنسية أو سياسية.

> **الروائي المصري صنع الله إبراهيم أكثر الروائيين تمردًا على هذه الظاهرة وتصويرا لآثارها المدمرة منذ رواية «اللجنة»، التي عرّت بشاعة النظام الرأسمالي**

بل إن دار نشر مصرية قد طرحت عدة روايات تحمل هذه العناوين المثيرة "لا تظلموا الملبن" والمقصود "جسد المرأة" لحسناء الحسن، الذي يبدو أنه اسم مستعار. و"لست عذراء" لرضوى رأفت و"متاهة المحرمات" لأحمد سلام. وهو أمر لا يختلف عن أغاني الفيديو كليب المعتمدة على الإثارة الجنسية، وتوظيف جسد المرأة وتصديره كأداة للمتعة.

وهكذا يلتقي عصر ما بعد الحداثة مع عصور الرق في تسليع جسد المرأة. إن أجيالا متعاقبة من الأدباء، لم يقعوا في هذا الابتذال رغم طموحهم الطبيعي إلى الانتشار لكنهم لم يهدفوا إلى تلك الأرباح الخيالية التي أصبحت تحققها حفلات الشعر مدفوعة الأجر مثلا، حيث لم تكن العولمة وثقافة الاستهلاك، قد أدت إلى تسليع كل شيء بعد. ومع ذلك ينبغي أن نقول إن هذه الظاهر "الأدبية" السلبية لا تمثل – مهما بلغت درجة انتشارها – متن الأدب العربي الجاد الذي كان – ولا يزال – ضد هذه النزعة الاستهلاكية سواء على مستوى الكتابة الأدبية أو على المستوى الاجتماعي.

وقد كان الروائي المصري صنع الله إبراهيم أكثر الروائيين تمردًا على هذه الظاهرة وتصويرا لآثارها المدمرة منذ رواية "اللجنة"، التي عرّت بشاعة النظام الرأسمالي وهيمنته على العالم.

وفي رواية "ذات" يتعرض الكاتب لهذه الظاهرة بأساليب مختلفة منها "الوصف الخارجي لبعض الأماكن التي تظهر فيها الأضواء الحمراء، لمحلى الويمبي وكنتكي فراي تشيكن والمطعم الفخم ذي النجوم... والوصف الداخلي لمنزل أحد الأثرياء، الذي بدا مثل سوبرماركت كبير للأدوات المنزلية" أو تفسير "ذات – صادقة لا ساخرة – لخروج إحدى السيدات بمفردها في منتصف الليل وتلويحها بيدها في انفعال وهياج شديدين بأنها "لازم عاوزة موكيت" ("الرواية والسلطة" د.محمد السيد إسماعيل ص83).

الأمر الذي يصور مدى استحكام نزعة الاستهلاك عند"ذات" وغيرها منذ مرحلة الانفتاح الاقتصادي في مصر.

تسييد ثقافة استهلاكيّة تقوم على تسليع كل شيء (غرافيك الجديد)

الأدب الفايسبوكي

محمد صابر عبيد
كاتب عراقي

أسهمت وسائل التواصل الحديثة (السوشل ميديا) في تسهيل نشر النصوص الأدبيّة على أوسع نطاق ممكن وبأسهل السبل وأيسرها وأسرعها، وفي الوقت الذي كان الكثير من الأدباء فيه يعانون من النشر في المجلّات الأدبيّة والصفحات الثقافيّة في الصحف اليوميّة والأسبوعيّة لأسباب كثيرة ومتنوّعة، صار بوسع أيّ راغب بنشر نصّه على حسابه على الفايسبوك أو الأنستغرام أو أيّ وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعيّ أن يفعل ذلك كما يشاء، بلا رقيب، ولا حسيب، ولا مسؤول أدبيّ يقرّر صلاحيّة المادّة للنشر من عدمها، وهو ما يوفّر عاملَ الحريّة المطلقة في النشر، واتساع حجم الاستهلاك النشريّ بحسب عدد الأصدقاء على الصفحة الفايسبوكيّة، ولا شكّ في أنّ عاملَي الحريّة والاستهلاك يمثّلان صفحةً بالغةَ الأهميّة من صفحات التطوّر نحو الأفضل باتجاه إشاعة الحريّة والديمقراطيّة في أوسع شريحة بشريّة على مستوى العالم، لكنّ هذه الحريّة محاطةٌ بشبكة هائلة من الأخطار التي قد تقلّل من أهميّة هذه الحريّة وتحطّ من قيمتها الاعتباريّة التقليديّة الماكثة في الأذهان، بسبب طبيعة المادّة التي قد تنطوي عليها هذه المنشورات على صعيد القيمة الأدبيّة والفنيّة والجماليّة والأخلاقيّة في جوهرها وصلتها بالمتلقّي.

الاستهلاك والاستسهال سمتان جوهريّتان مركزيّتان في الأدب الفايسبوكيّ بوصفه بضاعةً لا تختلف عن بقيّة البضائع الأخرى التي يعرضها السوق دائماً، وهاتان السمتان –نظريّاً– هما أبعد ما يكون عن عالم الأدب بمرجعيّاته وخصائصه وتمثّلاته وعناصر تشكيله بالغة الدقّة والفنيّة والإبداع، لذا يحصل هنا أوّل تقاطع بين نموذج الحريّة الذي يتيحه هذا الفضاء الافتراضيّ المتاح على نحو شاسع وبلا حدود، وطريقة استثمار هذه الحريّة بما يجعل منها وسيلةً ناجعةً لتحقيق أفضل صورة من صورها لاحتضان المواهب الحقيقيّة وإطلاقها نحو الفضاء الأدبيّ، وهو ما ينتج أحياناً مفارقةً ذات طابع سلبيّ لا يمكن أن تؤدّي إلى نتائجَ مرضية على صعيد الأهداف والغايات والمقاصد العليا، في الوقت الذي تستغلّ العولمة فيه كلّ ما هو متاحٌ من إمكانات وتقانات وحيل لخدمة منهجها الانتهابيّ في إشاعة ثقافة الاستهلاك، وهي تعمل على صناعة أسواق كبرى لتصريف منتجاتها في سياق استغفال العقول الهشّة الضعيفة التي لا تجيد سوى الاستهلاك.

حركة الاستغفال التي يشتغل عليها فكر العولمة في طريقة استثمار مخرجات الميديا على اختلاف أنواعها ونماذجها، تنطلق من بؤرة استغلال غياب الوعي الفرديّ والجمعيّ وانحدار مستوى التعليم في مراحله كافّة عند جمهور المستهلكين، ما يدفعهم نحو تقديس هذه المخرجات وقد تحوّلتْ في فضائهم إلى ما يشبه ديناً يتعبّدونَ طائعينَ مستلبينَ في محرابه، ما يجعل هيمنةَ العولمة طاغيةً على مقدّرات الشعوب بلا حَول ولا قوّة.

> **الاستهلاك والاستسهال سمتان جوهريّتان مركزيّتان في الأدب الفايسبوكيّ بوصفه بضاعةً لا تختلف عن بقيّة البضائع الأخرى التي يعرضها السوق**

السرعة التداوليّة التي تغري بالانسياق وراء تحقّق الأهداف والغايات كما يتوهّم أولئكَ السائرونَ وراء سراب فضاء افتراضيّ لا يشبع من جوع ولا يغني من خوف، هي العامل الأكثر حسماً في الانصياع الذاتيّ والطاعة العمياء لجنود السوشل ميديا المنتشرين في كلّ حدب وصوب كالجراثيم المنتشرة على بقايا الصحون، وهم يقودونَ حراكاً لا يهدأ لأجل فرض أجندات تسويقيّة لأفكار وقيم وتمثّلات وصيغ ضاغطة على جمهور المستهلكين الخانعين، فالسرعة بطبيعتها تنطوي على إغراء بالغ يتناسب وهوس المستهلك بإشباع رغباته في أقصر مدّة ممكنة، لذا فهي آلةٌ تسحق ما يعترضها وتحوّله بزحفها الصاعق إلى هشيم تذروه الرياح.

النصوص حافلةٌ بكلّ أنواع الأغلاط الإملائيّة والنحويّة واللغويّة والأسلوبيّة والثقافيّة بحيث لا يوجد غلطٌ عرفته البشريّة إلّا وحطّ كغاسق إذا وَقَبَ على هذه النصوص كي يهدّمَ فيها كلّ شيء، أخطاءٌ تميت لغةَ الكتابة لتحوّلها إلى لغة أدنى من سوقيّة لا أثرَ فيها لأيّ فكرة أو جمال أو رؤية يمكن تلقّيها، ومع ذلك ثمّة من يدلي بإعجابه المتكرّر وتعليقه الذي يشيد بهذا الفتح الأدبيّ الكتابيّ المبين، فضلاً عن ثقافة الصور الشخصيّة التي ترافق هذه النصوصَ وتعمل على مضاعفة سوئها وضعف خيالها وسخافته.

منصة للنشر

العودة إلى الإنسان العاري

عبدالناصر عيسوي
كاتب مصري

يقوم السلوك الإنساني الطبيعي على استهلاك ما ينتفع به الإنسان، وما يشعر باحتياجه إليه، حتى لو كان من باب الرفاهية واللعب، لكنّ الترويج الذي يعتمد على المغالطة يقع في فخّه الأغنياء والفقراء معًا. وهو قادر على استنزاف موارد الأفراد والدول، حتى لو كانت البضائع المعروضة لا نفع لها، أو تأتي بنتيجة سلبية على الإنسان المستهلك. فالترويج يقوم على التضخيم أكثر من تلبية الحاجات الإنسانية للبشرية، وصارت تقاليده المبتكرة تقوم على كيفية التأثير على نقاط الضعف الإنساني، حيث يستطيع المُروّجون إقناع أنواع من البشر بالرجوع إلى عصر الإنسان العاري.

يمكن لعامل الترويج أن يجعل الإنسان يشتري ما يخالف الذوق الرفيع، من خلال تمرير فكرة أنه أعلى من الذوق الشخصي وأعلى من متطلبات المجتمعات التي تبدو ذات اختيارات ضيقة. ويحتفظ تراثنا الأدبي ببعض ما يمكن تلفيقه من أجل المغالطة في بيع سلعة كاسدة، وأقرب ما يمكن انطباقه على ما أريد قوله، على الرغم من طرافته، هو ما رواه الأصفهاني في "كتاب الأغاني" (ج 3) عن الشاعر المَكّي والمُغنّي الظريف سعيد الدارمي، الذي كان في أيام عمر بن عبدالعزيز، حيث روى الأصفهاني "أن تاجرًا من أهل الكوفة قدم المدينة بخُمُر، فباعها كلّها وبقيت السُّود منها، فلَم تنفُق، وكان صديقًا للدارمي، فشكا ذاك إليه، وقد كان نسك وترك الغناء وقول الشعر، فقال له: لا تهتم بذلك، فإني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع. ثم قال:

قل للمَليحة في الخِمَار الأسودِ
ماذا صنعت براهبِ متَعبّدِ
قد كان شَمَّر للصلاةِ ثيابَهُ
حتى وقفتِ له ببابِ المسجدِ

وغنّى فيه، وغنّى فيه أيضًا سنان الكاتب (المغنّي المدني)، وشاع في الناس، فقالوا: قد فتك (أيْ: مَجَنَ) الدارميُّ ورجع عن نسكه. فلم تبقَ في المدينة ظريفةٌ إلا ابتاعت خمارًا أسود، حتى نفد ما كان مع العراقي منها. فلما علم بذلك الدارميُّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد".

تمتد تلك الحيل إلى عصرنا، حيث يكفي أن ترتدي إحدى الفنانات شيئًا من الملابس أو المجوهرات، لتنفد الكمية المطلوب نفادها، حيث تقوم الظريفات بإنجاز ذلك. لكنّ فنون الدعاية الجديدة تتعدّى الظريفات وغيرهن، لأن الثمن المدفوع يمكن أن يجبر خواطر آلاف البشر المحيطين بتلك الظريفات، ومع ذلك فإن من حقها أن ترتدي أغلى الملابس وأكثرها إثارةً للبهجة.

المرأة ليست المثال الوحيد لذلك المستهلك

العرب الثقافي
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

الاستهلاك والهلاك صور من المجتمع العشوائي

حين يتحول المثقف إلى مستهلك لثقافة التدمير والهُويات الضيقة

ثقافة الاستهلاك، سمة العصر بلا أدنى منازع، فقد توسعت قائمة الطلبات للفرد، حتى أصبح الجشع سمة الأفراد والمجتمعات؛ لا الشركات فقط. الجشع بمعناه الواسع؛ حين تؤمن أن الإقبال على هذه الثقافة حق طبيعي لك. وإذا كانت ثقافة الاستهلاك في ما يخص أنواعًا من المشروبات الغازية والعصائر وأنواعًا من الأطعمة التي لا يتم استهلاكها بإفراط؛ فهذا أهون الشرور، قياسًا بثقافة المعلوماتية التي لا تقف وراءها جهات مختصة، مثل الأدوية وغيرها، والتي تؤدي إلى الإدمان وتسبب أمراضًا خطيرة.

باسم فرات
كاتب عراقي

إن أخطر أنواع الاستهلاك هو ذلك النوع من حب التباهي والظهور بمظهر المثقف والعالم، حين تَلوك النخبة المثقفة معلومات خطيرة ظاهرها الدفاع عن مجموعة أو مجموعات سكانية، وباطنها إدامة الحروب والكراهية والبغضاء بين البشر بعامة، وبين أبناء الوطن أو المنطقة بخاصة. نعم، أخطر أنواع الاستهلاك حين تقود الدعايات ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي النخب إلى ترديد معلومات خاطئة فيتلقفها الناس الأقل حظًا في الشهرة والمكانة الاجتماعية و"الثقافية" فيحيلونها إلى ثقافة مقدسة؛ ظنًا من الناس أن قائليها من ذوي الاختصاص وأن معلوماتهم التي رددوها دقيقة للغاية.

معلومات تُسوّق لها شركات تريد جني الأموال الطائلة من خيرات المنطقة، فتشيع وتركز في إعلامها على أنواع من الثقافة يتبناها المثقف ويؤدي دورًا في إشاعتها، أي يتم استهلاكها عشوائيًا وبلا تمحيص ونقد وتحليل وتفكيك لنواياها، فيتساوى المثقف مع الشخص العادي، بل إن خطورة المثقف أكبر بكثير، لأن الفرد يُحطّم حياته، وإن كان هو نواة المجتمع، لكن أن يتحول المثقف إلى مستهلك لثقافة التدمير والهُويات الضيقة، فجريمته هنا أنه يقوم بتدمير مجتمعات، لا نفسه فقط. إنه يسحب المجتمع إلى الهاوية.

لم تتسبب ثقافة الاستهلاك بفقدان الناس لصحتهم فقط، بل كرست ثقافة سطحية ومعلومات مغلوطة يتبناها "المثقف" مهما كانت درجته العلمية -إلّا ما رحم رَبّي- ووعيه بها، ويُسهم فيها ويكون فاعلًا ومبشرًا؛ ثقافة سمحت لأن تتصدر واجهة المعارض والحوانيت والمحلات التجارية أردأ أنواع المنتجات، وفي الوقت نفسه تتصدر واجهات القنوات الفضائية ووسائل الإعلام أردأ أنواع النخب، ثقافية وسياسية ودينية على السواء.

ثقافة تراجع فيها العلم والعمق المعرفي، وأخلاقيات المثقف المبني على البحث والتدقيق في المعلومة وصحتها؛ ومن ثم تفكيكها قبل أن يتفوه بها أو يكتبها؛ وتساوَى فيها ما هو معروض في واجهات الأسواق، وإعلانات البضائع واطئة الجودة، سيئة الصنع، والتعليم في عموم منطقتنا، وكان قد سبقه ومَهّدَ له قبل بضعة عقود صعود دكتاتوريين جهلة إلى قيادة بلدان المنطقة، ليعمّ الخراب الروحي والجسدي والنفسي والثقافي مجتمعاتنا قاطبة، حتى أصبح الكفاح الحقيقي أن لا نتلوث بهذه الأوبئة التي تلاحقنا. أوبئة مثلما لوّثت الهواء كذلك فعلت مع الأجساد والنفوس والعقول على حدّ سواء.

قبل ثلاثين عامًا وأكثر، كانت لدينا تقاليد راسخة في المجتمع، قبل أن تهجم علينا ثقافة الاستهلاك، ومعها ثورة التواصل الاجتماعي؛ ومن هذه التقاليد كان الناس؛ من البسطاء والصفوة؛ حين يتحدثون إلى المجتمع عبر مكبرات الصوت أو الإذاعة أو التلفاز (قبل ظهور الفضائيات) يخففون من لهجاتهم المحلية، ويحاولون أن يستعينوا ببعض الجمل العربية الفصيحة، بما يجعل المواطن العربي البسيط قادرًا على فهم ما يتكلم به المواطن عبر الإذاعة أو التلفاز مهما كانت لهجته ومن أي بلد عربي كان. لكن مع تنامي شيوع ثقافة الاستهلاك، ومفاهيم الحداثة وما بعدها؛ صار بعض الناس -حتى الشعراء والأدباء- يتحدثون بلهجة عامية مغرقة في محليتها، وكذلك مقدمو البرامج في الإذاعات والفضائيات.

> **ثقافة سمحت لأن تتصدر واجهة المعارض والحوانيت والمحلات التجارية أردأ أنواع المنتجات، وفي الوقت نفسه تتصدر واجهات القنوات الفضائية ووسائل الإعلام أردأ أنواع النخب، ثقافية وسياسية ودينية على السواء**

تحفل مجتمعاتنا بأنواع متعددة من المشروبات النافعة مثل العرقسوس وبذور الريحان والكركديه وغيرها من المشروبات التي يمكن احتساؤها باردة وبعضها ساخنة، وبعضها يصلح في الحالتين، لكننا نتركها جميعًا ونترك أبناءنا فريسة للمشروبات الغازية المدمرة للمناعة، والتي تعطي نتائج كارثية مستقبلًا. وكذا الحال في مجال الثقافة؛ التي تستحق أن نصرخ في وجه حكوماتنا التي فشلت فشلًا ذريعًا في إدارة التنوع اللغوي والعقائدي، وأساءت إساءات بالغة لإحدى أهم خصال مجتمعاتنا؛ ألا وهي التعايش، ولم تستفد من تجارب شعوب وحكومات حاولت تذويب المختلف لغويًا أو عقائديًا أو كليهما معًا، وكانت النتيجة الفشل الذريع والجلوس إلى طاولة المفاوضات والإقرار بالتنوع والتفنن بإدارته والاهتمام به، على شرطي الإيمان المطلق بوحدة التراب الوطني واحترام اللغة الوطنية الأولى وعقيدة الأغلبية.

لكننا في الوقت نفسه نشيح بوجوهنا عن آلاف الأمثال والوقائع التي تحتفظ بها الذاكرة الجمعية عن تكافل مجتمعاتنا وتعايشها وتسامحها، ونصرّ على الاستمرار في تجاهل دراسة هذا التنوع وتفكيكه والوقوف عنده بما يُقوّي من أواصر التعايش والسلم الأهلي في أوطاننا ويثريها، عبر التعريف بثقافة التنوع ودوره في رفد ثقافتنا العربية والإسلامية. ليس هذا فقط؛ بل ثمة ظاهرة منتشرة فضحتها وعرّتها وسائل التواصل الاجتماعي، ثقافة استهلاكية سطحية ومدمرة وتضع حواجز خطيرة بين المثقف والمجتمع؛ حين يستعين كثير من "المثقفين" أمام أيّ عملية إرهابية بجمل جاهزة يُثبت مستخدموها أنهم صورة أكثر بشاعة من عسس الأنظمة الدكتاتورية ومن الإرهابيين أنفسهم، ومن هذه الجمل على سبيل المثال "هذا هو دين محمد" و"الإسلام الداعشي هو الإسلام الصحيح"، و"الإسلام دين صحراوي مناهض للمدنية والحضارة" جمل قد تتقبلها من أشخاص لا حظ لهم من الثقافة بمفهومها المتعارف عليه، لكنها لا تُقبل حين يتلفظها شعراء وأدباء وكتاب وحملة دكتوراه بالتاريخ وعلم اللغة والأدب وغير ذلك من المواد العلمية الإنسانية التي تُحتّم على حاملها تضلعًا باللغة وأصولها وبالتاريخ.

تؤدي البيئات الأولى دورًا عظيمًا لو أحسن استخدامها في كبح جماح ثقافة الاستهلاك، والبيئات الأولى تتمثل في الأسرة ورياض الأطفال والمدرسة، حيث يجب أن تستفيد المؤسسات التعليمية من الطرق العلمية الحديثة، وأن تسير في طريقين: خلق نزعة الاحتياجات الضرورية وذات المنفعة الصحية والاقتصادية، وزرع ثقافة التفكير النقدي ونزعة التدقيق المعرفي، أي التدقيق في مصادر وصحة سيل المعلومات المتوفرة مجانيًا في الشبكة المعلوماتية وما تضخّه وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي.

زوجتي مديرة مكتبة (أمينة مكتبة) تحرص على تعليم طلابها أن موسوعة ويكيبيديا وسواها من المواقع ليست مواقع علمية آمنة، وترفض أيّ وصفة طبية ومعلومة علمية وتاريخية تأتي منها، وتؤكد على البحث في مواقع الجامعات الأولى في العالم ومواقع المجلات العلمية المُحَكّمَة الدولية، أي المجلات التي تنشر بحوث الترقية لأساتذة الجامعات، ويتمثل تشدد زوجتي هذا فيما ذكرت أعلاه وفي عدم الانصياع أمام مغريات الإعلانات والثقافة الاستهلاكية، وحرصها على قراءة محتويات أيّ مادة غذائية نود شراءها، وحين تخلو من المحتويات تتركها.

هذا الوعي الذي يجب أن تكون عليه المؤسسات التعليمية كافة. لننجو بصحتنا ومدخراتنا وتنجو مجتمعاتنا من الإسراف في المأكل والملبس وسيل الفتاوى في التاريخ والسياسة والطب والفقه والعقائد، وكي لا يظهر عندنا أساتذة جامعات مختصون بالنقد وعلوم اللغة وهم يهرفون بمثل هذا الكلام "إن في القرآن خطابين، خطاب مختص بالعرب، وآخر مختص بالأمم الأخرى، فأما الذي يخص العرب فهو حديث الله عن الجنة والحور العين والقصور والولدان المخلدين، وأما المختص بالأمم الأخرى فهو حديث الله عن العلم والتعلم".

قديسو الاستهلاك وشياطينه

محمد الحجيري
كاتب لبناني

عام 1993 سأل الصحافي والناشر رياض نجيب الريس في مفتتح مجلة "الناقد" المحتجبة "لا أدري كم موظفاً عربيا أمسك في حياته ورقة الدولار الأميركي ولاحظ أو قرأ ما هو مكتوب تحت 'ختم الولايات المتحدة العظيم' الكلمات اللاتينية التالية ordo seclorum novus (نوفوس أوردو سيكالورم) والتي تعني حرفياً 'نظام العصور الجديدة'..."، ويجيب الريس "أعتقد لا أحد".

والحق أنّ الأمر لا يقتصر على عبارة "نظام العصور الجديدة"، وهو جوهر العولمة والإقتصاد الحر والنيوليبرالي، بل هو تحكّم الدولار بمسار العالم ورقاب الشعوب، فقد لاحظ الفيلسوف الألماني فالتر بنيامين، وهو أحد رواد مدرسة فرانكفورت، أنه في "المقارنة بين صور القدّيسين في مختلف الديانات والأوراق النقديّة في مختلف الدول". حيث يكون المال، المتعيّن في شكل ورقة نقديّة، موضوع عبادة مثله مثل القدّيسين في الديانات "العاديّة".

ورغم استلهام بنيامين أعمال عالم الاجتماع ماكس فيبر، وخصوصاً منها عمله حول التوافق الانتقائي بين الأخلاق البروتستانتيّة وروح الرأسماليّة، إلا أنّ بنيامين يتجاوز أطروحة عالم الاجتماع؛ فالرأسماليّة في نظره لا تحمل جذوراً دينيّة فحسب، بل هي نفسها دينٌ، وعبادة لا تنقطع، دون رحمة ولا هوادة، تقود المعمورة البشريّة نحو "منزلة اليأس".

وما تفعله الرأسمالية يتقاطع مع الأنظمة الاستبدادية (العربية والشيوعية) التي تكرّس عبادة الفرد من خلال وضع صورة "القائد" و"الزعيم" و"الوالي" على الورقة النقدية.

ومردّ اعتبار الرأسمالية دينا بحدّ ذاتها، هو وقائع على الأرض، فقد لاحظ الكاتب مايكل لوي في مقاله "الرأسماليّة بوصفها ديناً: بين فالتر بنيامين وماكس فيبر" إن الرأسماليّين ألغوا غالبيّة أيّام العطل الكاثوليكيّة، حيث اعتبروها حافزاً على الكسل. بذلك، تشهد جميع الأيّام، في إطار الدين الرأسمالي، انتشار "الفخامة المقدّسة"، أي طقوس البورصة والمصنع، في حين يتتبّع المتعبّدون، بقلق و"توتّر شديد"، صعود الأسهم وهبوطها.

ولا تعرف الممارسات الرأسماليّة انقطاعاً، حيث تهيمن على حياة الأفراد من الصباح إلى المساء، ومن الربيع إلى الشتاء، ومن المهد إلى اللّحد، حتى سلسلة المطاعم الضخمة والمقاهي وماركات الثياب المزيفة والمشروبات الغازية والروحية وبعض كتب "الباست سيلر"(هاري بوتر، قصص الرعب، دان براون) فرضت أصنامها الاستهلاكية ورموزها المنتشرة في الشوارع وعلى الشاشات والثياب، بل وفي التعليقات الصحفية وكتب "فلاسفة اليوم".

وإذا كانت أنماط الاستهلاك فرضت أنماطاً في التعاطي مع كل السلع والثياب فهي جرّدت الفنون والثقافة من هالتها، والهالة قديما كانت تعطي الفنيّ بعداً رمزياً واجتماعياً في كونه يعبرُ عن المقدّس وعن كلّ ما يرتبط بالطّقوس والعادات، لهذا صُبغت الأعمال الفنيّة قديماً بهالَة حضوريّة.

إلاّ أنّ هذا التّصوّر سيتلاشى تماماً مع ظهور الفوتوغرافيّة الّتي ستشكّل أزمة الفنّ الحديث، إذ فجّر العلاقة الطقسية بين الفنان وعمله، وأضحت الصّناعة الثّقافيّة رديفة الآلية والفنّ السّهل. الفنّ الذي يخرجُ عن كلّ روح إبداعيّة ويرميها في الظّل. الفنّ في المجتمع الاستهلاكيّ يعيدُ إنتاجَ فنّ بناءً على مقاسات السّوق و"الصّناعة الثّقافية على وجه الحقيقة لا تهتمُ بالإنسان، إلّا باعتباره زبونا وموظّفاً"، بحسب أحد قارئي فالتر بنيامين.

> **بتنا نعيش لكي نستهلك، وإذا لم نقدر على ذلك نشعر بموتنا أو نتعرض للإقصاء، حتى في الثقافة انجرّ الكتّاب إلى مستنقع الاستهلاك، فالكثير من الكتّاب يشعرون بالبؤس إذا لم تتحول كتبهم إلى سلعة، أو لم تلق مقالاتهم المزيد من المشاهدات واللايكات**

واعتبر زميل فالتر بنيامين هربرت ماركيوز أن نزعة الاستهلاكية أصبحت شكلاً من أشكال السيطرة الاجتماعية. فبدلاً من السعي خلف الحرية الحقيقية اقتصر الاختيار على قرارات الشراء، ما أدى إلى إنتاج "إنسان أحادي البعد" لكنه انتقد في الوقت نفسه بيروقراطية الاقتصادات السوفياتية (الشيوعية الأفلة)، معتبراً إياها ذات حرية محدودة.

وحاول ماركيوز متأثراً بمشاهداته للمجتمع الأميركي استكشاف الحلقة الجديدة في استغلال الإنسان، فأسّس لمفهوم الهيمنة لتوضيح كيفية استعباد الإنسان في مجتمع التقنية والعقلانية الأداتية؛ فالسلعة تصبح هي البداية والنهاية وهي مركز الوجود وبوابة السعادة، إذ يلعب النظام الرأسمالي على وتر الحاجات وتغدو فكرة السعادة، بحسب الفرنسي جان بودريار، هي "المرجعية المطلقة للمجتمع الاستهلاكي" أو "معادل الخلاص"، وشعار "أنا أستهلك إذن أنا موجود"، والوجود هنا اللاوجود، فالسلعة تزيح الإنسان من مركز الكون لتحلّ محله.

، وهذا نتجت عنه مصطلحات مثل التوثن (fetishism)، وهي تعني أن الأشياء (بما في ذلك السلع) تتحول إلى أوثان يتعبد الإنسان في محرابها بعد إزاحته من مركز الكون. وكان ماكس هوركهايمر وتيدور أدورنو، المنتميان لمدرسة فرانكفورت الألمانية التي ألقت على عاتقها نقد التجربة الحداثية، ونقد مجتمع الاستهلاك، يردّدان أن "كل تشيؤ عبارة عن نسيان ..."، فلما نسي الإنسان نفسه صار شيئاً يقذف به هنا وهناك، إنه ميت حتى وإن كان ما زال يتنفس، ذاك هو الوضع الذي كان يشخصه ويحلله عالم النفس الألماني الأميركي إريك فروم أيضاً، وكأنه يعني أن "اغتراب الإنسان عن ذاته هو انفصاله عن الطبيعة المثالية".

صار الاستهلاك صنماً ووثناً جديداً، وهو ما دفع إريك فروم إلى الظن بأن المجتمع الحالي بحاجة إلى "علم للأصنام"، ففي هذا المجتمع لم يعد هناك بعل أو عشتروت بل إن الأمر اختلف تماماً، فالسلع والمنتجات وأدوات الرفاهية هي الأصنام الجديدة التي توهمنا بالسعادة وتدفعنا نحو الملل. إن إريك فروم يؤكد على أن حقيقة حضارتنا الحالية هي: أن الناس ليسوا سعداء. ليس لأنهم لا يملكون أو لا يتوفرون على الأشياء، بل لأن الملل يخترق حياتهم.

على أن النظام الرأسمالي "العاهر Obscene" -والتعبير لماركيوز- لم يتوقف عند هذا الحد، بل انه انطلق، وعبر مؤسساته الإعلامية الضخمة، ليذكر الزبائن باستمرار عن طريق الشاشة أو وسائل الإشهار المختلفة بمآثر الحياة الاستهلاكية التي يحيون في كنفها. ومؤخرا نشر سلافوي جيجك مقالة في صحيفة "الغارديان"، بعنوان "شوكولاتة خالية من الدهون، ومنعٌ تامٌ للتدخين: إحساسنا بالذنب من الاستهلاك، لماذا يستهلك عقولنا؟"، يحاول من خلالها تحليل مأزق استهلاكيّة عصرنا الحاضر، حيث تحوّل هدف الاستهلاك من ضرورة إشباع الحاجات الأساسيّة إلى الاستهلاك لغايات الانضمام إلى نمط حياة عصريّ. ويقول جيجك ما نشهده اليوم هو التسليع المباشر لخبراتنا (الحياتيّة): ما نشتريه من السوق لم يعد منتجات (أشياء ماديّة) نريد امتلاكها، بقدر كونه "خبرات حياتيّة"، خبرات في الجنس، الأكل، التواصل، استهلاك ثقافي أو المشاركة في نمط حياة. فكرة ميشيل فوكو عن تحويل ذات الفرد ذاتها إلى "عمل فنّي" يحظى هنا بتأكيد غير متوقّع: (فمثلا) أنا أشتري لياقتي البدنية عن طريق زيارة نادٍ للّياقة البدنية؛ أنا أشتري استنارتي الرّوحيّة بالالتحاق في دورات للتأمّل الروحيّ، أنا أشتري "شخصيّتي العامة" عن طريق الذهاب لمطاعم يرتادها أشخاص أطمح بالانتساب إليهم.

والسؤال هل من جدوى لمقاومة إغراءات الاستهلاك التي تصنع موتنا وبؤسنا وبلاهتنا؟ هل من جدوى لنكون شياطين ضد الاستهلاك في زمن طوفان الفايسبوك ونظام العصور الجديدة الذي انبثق عن الدولار، بتنا نعيش لكي نستهلك.

الاستهلاك صار صنماً ووثناً جديداً

أنا أستهلك إذن أنا موجود

خلق مستهلكا من أجل سلعة

ذات يوم ليس ببعيد عبّر المدير العام لأكبر قناة تلفزيونية فرنسية، هي القناة الأولى، أحسن تعبير ومن دون قصد عن تحوّل المواطن الفرنسي إلى مجرد كائن مستهلك في نظر المؤسسات الصناعية والتجارية والإعلامية المروجة لمنتوجاتها "يوجد عدة طرق للحديث عن التلفزيون بقول، ولكن يجب أن نكون واقعيين فالمنظور التجاري هو الأساس. في الأصل مهنة قناتنا هي مساعدة شركة كوكاكولا مثلا في بيع سلعتها. ولكن من أجل أن تصل الرسالة الإشهارية جيّدا، ينبغي أن يكون دماغ المشاهد جاهزا. تهدف برامجنا المتنوعة إلى جعل ذهن هذا المشاهد متاحا بتحضيره بين إعلانين عن طريق الترفيه والاسترخاء. ما نبيعه لشركة كوكاكولا هو زمن الدماغ البشري المحرّر، المتاح". ذلك هو التطبيق العملي للتعريف الذي قدمه ستيفن بتلر ليكوك للإشهار "يمكن وصف الإشهار بأنه علم اختطاف عقل الإنسان لفترة كافية لاستنزاف المال". عن طريق محاولة تحويل غير النافع إلى ضروري في وعي ولاوعي المستهلك، يمكن أن نضيف.

حميد زناز
كاتب جزائري

يدغدغ الهجوم الإشهاري رغبات الأفراد ليدفعهم إلى الشراء. وقد وجد فيه مجتمع الاستهلاك سلاحه المثالي. ويبدو أن الشركات الكبرى قد نجحت في "إغواء العقل الباطن" ومن هنا كاد مجتمع السوق المهاجم أن يتفوق على المجتمع المدني المنكمش باستمرار في أغلب المجتمعات الغربية.

من تحصيل الحاصل القول بأن مجتمع الاستهلاك غزا كل المحيط الذي يتحرك فيه الأفراد. الإعلانات في كل مكان حتى كادت الحيطان أن تغدو شاشات تدعو من خلالها بشبق شقراوات شبه عاريات إلى اقتناء السلع الجديدة والخدمات والتخفيضات ليل نهار، وتتحول المرأة جراء التكرار من ذات إلى موضوع في ذهن متابعي الموضة. وليس هذا فحسب بل تهاجم الإعلانات الهواتف الخاصة عن طريق الإنترنت فيجد أصحابها أنفسهم مستهدفين بنوعية خاصة من السلع والخدمات مختارة خصيصا لهم جُمعت أوتوماتيكيا أو خوارزميا انطلاقا مما خلفوه من آثار رغبات افتراضية أثناء بحثهم وتجوالهم على الشبكة العنكبوتية.

استنفرت كل الوسائل من أجل تحفيز الناس على الشراء والاستهلاك وإيهامهم بأنهم سيجدون سعادتهم في السوبرماركت. فهل "الحياة الطيّبة" كما كان يقول قدماء فلاسفة اليونان هي في الوفرة؟ ألا تطرح هذه الوفرة على الإنسان اليوم مشكلة وجودية؟ كيف يجب أن تكون حياته؟ هل يجب عليه ملء خزاناته بمنتجات متنوعة ومختلفة وتغيير ديكور منزله باستمرار واقتناء آخر جهاز تلفزيون أو موبايل أو لوحة إلكترونية؟

على أي حال، تلك هي الدعوة الموجهة لوعي المواطن ولاوعيه عبر خطاب إشهاري مركّز لا يرمي إلى بيع السلعة فقط بل الفكرة أيضا: في القناة الثانية الفرنسية يمكن للمتفرج أن يشاهد ويسمع هذه الأيام إعلانا غريبا يروّج لنوعية من الملابس الداخلية يقول: قبل أن تفكر في تغيير العالم، فكّر في تغيير سروالك التحتي الداخلي أولا! بمعنى لا داعي للتفكير، اهتمامك بنفسك ولباسك أولى!

آلة دعائية لا تهدأ ترسل وابلا من الخطابات المدروسة لتغرس بين أضلع المواطن- المستهلك حمى الاستهلاك وإقناعه بأنه ضرورة حيوية لا مفر منها وأنه الطريق الأقصر لبلوغ السعادة.

ولكن مهما كان مستوى دخل الفرد، فلا يمكنه تلبية كل رغباته الاستهلاكية، فهناك دائما شيء آخر جديد أو سلعة يرغب فيها ويوّد اكتسابها ولكن ظروفه وإمكانياته المالية لا تسمح بذلك فورا فتبقى الرغبة حية معلقة قد تتحقق وقد لا تتحقق أبدا. وهذا يمكن أنّ يولد إحباطا. وحتما سيكون هذا الإحباط شديدا حينما يكون دخل فرد أو أسرة ما ضعيفا أو في وضع من عدم الاستقرار.

يزداد الكثير من المحبطين تناسبا مع ازدياد السلع الجديدة المسيلة للعاب المراهقين وحتى الكهول وخاصة الإلكترونية منها. وتدلّ الكثير من الإحصائيات الأوروبية على أن عدد المستبعدين من المجتمع الاستهلاكي هو في ازدياد مطرد نظرا لاستفحال ظاهرة البطالة جراء الأزمة الاقتصادية التي تضرب بقوة جل البلدان الأوروبية. ويمكن ملاحظة ذلك في مواسم التخفيضات، حيث يتهافت الناس على السلع بشكل يكاد يكون جنونيا. وقد وصل الأمر في فرنسا منذ شهور إلى اشتباكات بالأيدي والأرجل بين الزبائن، نساء ورجالا، من أجل الفوز بعلبة شوكولاطة "نوتيلا" بسعر زهيد. وتقدم مشاهد الفيديو على يوتوب منظرا بائسا كله صراخ ودفع وعنف يدل على حالة جوع ومرض بالاستهلاك. وكان ذلك ضمن حملة دعائية قامت بها إحدى العلامات التجارية الفرنسية التي اضطرت إلى إيقافها في يومها الأول تجنبا للمعارك الدامية التي قد تحدث داخل مراكزها التجارية.

ولا يجب أن يكون المرء متخصصا في علم النفس ليعرف أن هذا الحرمان المتراكم سيولد حتما الحسد والغيرة ومختلف التشنّجات في المجتمع. فعدم التمكّن من المشاركة في وليمة الاستهلاك ليس استبعادا اجتماعيا فحسب بل يعتبر كموت اجتماعي. فهذا النمط الاستهلاكوي سيهدد "العيش المشترك" والمحيط البيئي معا إذا لم يعاد التفكير بطريقة أخرى في علاقة الإنسان بالأشياء والمواد السلعية. فنوعية العلاقة بالأشياء هي التي تحدّد علاقة الناس ببعضهم وبالطبيعة. يقارن الناس بعضهم ببعض وتستحوذ عليهم الرغبة في محاكاة من يستهلك أكثر. فالمقارنة الاجتماعية كثيرا ما تقود الفرد إلى مقارنة نفسه بأقرانه والحاجة إلى تكوين صورة ذاتية إيجابية تضاهي من يقارن بهم نفسه ومن المستحسن أن تكون أرقى. ولكن فهو من جهة يريد أن يشبههم ومن جهة أخرى يريد أن يكون متميزا. وهو دور تؤديه نوعية وأثمان البضائع التي تمكّن من اقتنائها. وإن لم يتمكن الشخص من توفيرها، فهذا يمكن أن يفضي إلى إحباط إذ كثيرا ما لا يعترف الفرد في هكذا حالات بمبدأ الواقع. فالرغبة في محاكاة الآخر مستفحلة بسبب التباري الذي يخلقه الخطاب الدعائي والحرب النفسية التجارية التي تخلق أفرادا مشترين لكل جديد ويتحولون دون أن يدروا إلى لافتات إعلانية متنقلة تحرك في نفوس الآخرين رغبة التشبّه بهم ومن ثم السير في طريقهم الاستهلاكي واتباع ملتهم كما تقول عبارة ابن خلدون.

وعلى العموم، فمجتمع الاستهلاك هذا الذي يتميّز بالرخاء والبذخ هو عنيف أيضا، رمزيا وماديا. يفرض منطقه على الناس بطرق عديدة ويغيّر حتى من نظرتهم للسعادة كما يستبعد الكثير منهم ويغدون على الهامش حاقدين ينتظرون أول فرصة للثأر من المجتمع الاستهلاكي فيندسون بين صفوف المتظاهرين السياسيين كما يحدث في باريس هذه الأيام ليهجموا على المتاجر وينهبوا السلع التي طالما أسالت لعابهم. وهو رد فعل انتقامي ضد الاستهلاك التفاخري الاستعراضي الذي يبتغي بعض الأفراد من خلاله إظهار طبقتهم الاجتماعية وتفوقهم على الآخرين.

ومع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وجد إنسان الجموع المشترية عالما افتراضيا يمارس فيه تفاخره وبات يراقب ما أنجز غيره من بطولات شرائية على الشاشة الزرقاء ويستعرض مظهره ومقتنياته الحقيقية والوهمية لجذب الانتباه والتباهي واصطياد "الإعجابات". وتكفي إطلالة سريعة على ذلك العالم الافتراضي لنعرف أن المظهر قد تفوق على الجوهر بالضربة القاضية.

وربما تلعب هذه الحياة الافتراضية المفبركة دورا إيجابيا ما في اتزان شخصية هذا الفرد إذ دونها سيعيش حياة مملة سخيفة وسط تسونامي السلع المتجددة بجنون التي تحاصره من كل جانب. ولا يغدو التمثيل هروبا من الواقع فحسب بل تعويضا له مثلما الشراء التعويضي بديلا عن الحب والجنس. "إذا كان الرجل والمرأة سعيدين، فلا يستهلكان"، يكتب ميشال بيكيمال في "رسول الليبرالية"، "فالإحباط هو مصدر الرغبة في الاستهلاك. ولذلك فمن الضروري تقديم نماذج من الجمال والثروة يستحيل الوصول إليها وهكذا يضعهم الإحباط في طريق التبضّع والمشتريات".

يبدو أن التراتبية الاجتماعية باتت مقترنة بالنزعة الاستهلاكية فغدت تتمظهر أساسا في نوعية المواد والسلع المستهلكة أو المرغوب في استهلاكها. كلما كان سعر حذاء الشخص الرياضي أو أيفونه أغلى كلما اعتبر أن مرتبته الاجتماعية أرقى وهكذا. كل فرد في المجتمع الاستهلاكي تحركه الغيرة والتنافس مع من هم أعلى منه في السلم الاجتماعي ولا يقارن نفسه سوى بهم ولا يعير اهتماما لمن هم أدنى منه.

وهي الحالة التي وصفها وتوقعها المفكر الفرنسي غي ديبور في كتابه "مجتمع الاستعراض" الصادر سنة 1967 والذي حاول فيه تحليل ونقد ثقافة الاستهلاك الطاغية التي يفرضها النظام الرأسمالي وخُدّامه والمستفيدون منه كشركات الإعلان والدعاية والتلفزيون وحتى نجوم السينما.. فالاستعراض حسبه هو اللحظة التي تحقّق فيها السلعة احتلالها الكلي للحياة الاجتماعية، فهو ليس مجموعة من الصور بل علاقة اجتماعية تتوسط فيها الصور.

وهو الكتاب الذي أصبح بمعية "الإنسان ذو البعد الواحد" لهربرت ماركوز في السنة الموالية إنجيل انتفاضة الطلاب في باريس وأغلب العواصم الغربية (1968).

لقد نشأ مجتمع الاستهلاك أو بالأحرى بداية الانتباه الإعلامي والسوسيولوجي والفلسفي للظاهرة في نهاية خمسينات القرن الماضي ومنذ ذلك الوقت والنقاش دائر: هل سيخلق هذا المجتمع الاستهلاكي الرفاهية أو ينبغي تجاوزه بما أنه مرادف للسقوط في عبودية الأشياء؟

وكالعادة كما في كل أوروبا كان الصراع في فرنسا بين البراغماتيين المدافعين عن العصرنة والإنسانويين المتشائمين والمرتابين من الحداثة. هؤلاء الذين لم يتوقفوا عن نقد حضارة البضائع التافهة، التبذير، الإعلانات المبلّدة، الاغتراب، سلطة السلع والمادية المهينة.

في السبعينات من القرن العشرين كان انتقاد مجتمع الاستهلاك في أوجه وكانت مجلات اليسار تنشر ملفات دورية تحلل فيها عواقب ثقافة الاستهلاك المتصاعدة وتطالب بتجاوزها. أما صحف اليمين ومثقفوه فكانوا يعتبرون أن التمتع بالوفرة هو عامل مهم من عوامل اتزان شخصية الفرد وازدهارها وأن النقد الموجه لحضارة الاستهلاك والتأسف على التأحيد الاستهلاكي وتكييف الذوق ما هي سوى الدليل على رومانسية توجه أنظارها نحو الماضي.

استنفرت كل الوسائل من أجل تحفيز الناس على الشراء والاستهلاك وإيهامهم بأنهم سيجدون سعادتهم في السوبرماركت. فهل «الحياة الطيّبة» كما كان يقول قدماء فلاسفة اليونان هي في الوفرة؟

ويمكن ذكر مفكري الاغتراب ومنهم الفلاسفة ليوتار، غولدمان، نافيل لوفور وغورز.. وهم من قراء مخطوطات 1844 والذين وظفوا مفهوم الاغتراب لدى ماركس الشاب توظيفا جديدا بنقله إلى دائرة الاستهلاك، فغدا الاغتراب معهم ليس حرمان المنتج من ثمار عمله وإنما حرمانه من رغباته الخاصة.

يبيّن المفكر الفرنسي جان بودريار في كتابه "مجتمع الاستهلاك"، أن هذا الأخير هو عامل يهيكل العلاقات الاجتماعية. فالاستهلاك أصبح وسمة اجتماعية إذ يشتري الفرد غالبا وفقا للموضة الآنية، ووفق الرمز الهندامي المهيمن، كي يكون "أنيقا، في قلب الموضة، وليس مبتذلا قديم الطراز". يقوم مجتمع الاستهلاك بتأحيد الأفراد، ويهدم كل شكل من أشكال الفردية. حينما يريد الفرد أن يكون كل الناس سوف لن يكون أحدا، يغرق وجوده في مظهره، يفقد ذاتيته. يتحول "السمارتفون" إلى امتداد لكينونته إذ لا يفارقه أبدا، فهو يحمله في يده متبخترا كأنه حبله السري.

ولئن كان بديهيا أن كل إنسان بحاجة إلى إرضاء حاجاته ورغباته.

الهجوم الإشهاري يدغدغ رغبات الأفراد ليدفعهم إلى الشراء

تنشر مقالات الملف بالإتفاق مع المجلة الشهرية اللندنية «الجديد» والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني.

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

مولع بالشرق عربيا وهنديا وأدين بظهوري الفني للجزائر

المصور الإيطالي ماسّيمو باتشيفيكو: أنا مصور أنثروبولوجي

"مولع بالشـرق"، كفنان إنساني النزعة، وليس على طريقة المرسلين من قبل الجمعيات والمؤسسات الاستشراقية، الذين طالما كانت لهم أهداف وتطلعات مرتبطة بتلك المؤسسات المنتشرة في الغرب منذ قرنين على الاقل. هذا هو المصور الإيطالي ماسّـيمو باتشـيفيكو الذي أقام مؤخرا معرضا جديدا له في فلورنسـا، وحضره حشـد كبير من عشاق فن التصوير، والرحالة، والصحافيين والأدباء الإيطاليـين والقليل من العرب المهتمين بالثقافة وفن التصوير.

ماسّيمو باتشيفيكو: البطل الرئيسي لأعمالي هو الإنسان وفي معرضي الأخير صورت زائري المعارض في حالات مختلفة

عرفان رشيد
كاتب عراقي

"هنـاك صورة التقطتهـا ذات مرة في سـوق شعبي في الجزائر، تحولت في ما بعد إلى واحدة من أهم الصور في مسيرتي المهنية، وكانت بالنسـبة لي مُفتتحا في مسار طويل لمهنتي كصحافي ومصوّر". لقـد انقضـت أربعون سـنة تقريبا على التقاط تلك الصورة في السـوق الشعبي لمدينة غرداية الجزائريّة الجنوبيّة، لكن ماسّيمو باتشيفيكو لا ينسى أهميتها في حياتـه المهنيّة "كان عـام 1982، وكنت قد أقمت معرضا عنوانه 'ساحة غاريبالدي' وعن النُصب والتماثيل المُقامة في إقليم توسـكانا، والتـي تتنـاول شـخصيّته وتاريخـه ودوره في الوحـدة الإيطالية، وجـاء المعرض للاحتفاء بالذكرى المئوية لوفـاة غاريبالـدي، فطلـب منّـي مدير المعهـد الثقافـي الإيطالي فـي الجزائر حول إمكانيـة نقل المعرض إلى الجزائر، وأعلمنـي بـأنّ شـخصية غاريبالـدي تحظـى بالاهتمام في ذلـك البلد، فقبلت تلك الدعوة بسـرور كبير ونقلنا المعرض إلى العاصمة الجزائرية".

الرحلة الجزائرية

عندما وصل باتشيفيكو إلى العاصمة الجزائريـة، دُعيَ إلى زيارة واحة غرداية وأربع مدن أخرى "كانت تلك مدن جنوب الجزائـر التـي تُعتبـر بمثابـة بوابات للصحراء الأفريقية"، كما يقول ماسّـيمو باتشيفيكو "وكانت غرداية أيضا المدينة وعمارة المسـاجد فيها، ما ألهم المعماري السويسري الفرنسي لو كوربوزييه الذي توقّف كثيرا في مسـجد المقبرة المحلية. وفـي غرداية، وبالإضافـة إلـى البنى المعمارية الصغيـرة والجميلة، انجذبت كثيرا إلى السـوق الشـعبي في المدينة والـذي كان الفضـاء الجامـع لبشـريّة واسـعة ومنوّعة، والتقطـت العديد من الصور. وصـادف أن قـرّرت مجلّة 'ويك إينـد الرحلات' بعد ذلـك بفترة قصيرة، نشـر ريبورتاجات تحقيقيّة عن الأسواق العربية.

> رغم أنني عملت كثيرا في الغرب، وخاصة في أميركا الشمالية، فقد كنت دائم الانجذاب إلى الشرق بدلا من الغرب، وكان الشرق الأوسط في صُلب اهتماماتي خلال الدراسة الجامعية

كنـت أتعـاون مـع المجلة فـي ذلك الوقـت، وكانت واحدة مـن أهم المجلات المتخصّصة في مجال السياحة، فسألني مديرهـا مـا إذا كنت أمتلك صـورا عن موضـوع التحقيـق، وكانـت الصـور موجودة لديّ، فقـد التقطتها في غرداية بالذات، ونالـت إعجاب محرّري الجريدة واختيـرت لتكون مُفتتحـا للعدد والمادة الأساسية فيه. وأتاح لي ذلك، خلال وقت قصيـر أن أُصبـح الموفد الخـاص لتلك المجلة، واستمر التعاون ما بيننا لما يربو على عشـر سـنوات، ولذا فأنا مدينٌ إلى تلك السـوق الجزائرية بقسـط كبير من مهنيّتي الاحترافيّة".

العالم العربي والهند

يقول ماسّـيمو باتشيفيكو إنّ العالم العربي والهند وألمانيا هي الأماكن التي هيمنت علـى اهتمامه لأسـباب جمالية وعاطفية (بإتشـيفيكو متزوجٌ من سيّدة ألمانية) يقـول "امتلكت هذه البلاد دائما حضورا بارزا في مسـيرتي المهنية، لكن شـبه القارّة الهندية تظل المكان الذي لن أتعـب أبدا مـن زيارتـه وتصويره، فأي ركـن من أركان هـذه الأرض يكتنز دائما مفاجـأة رائعـة كما لـو أنّ هنـاك يدين تُمسـكان بوجهك لتُديراه صوب صورة شـخصية أو شـيء ما، وأنت، كمراقب، ليس عليـك إلاّ الضغط على زر التصوير لتخليد تلك اللحظة في الأبدية".

وعن ولعه بالشـرق، يقول ماسّـيمو باتشـيفيكو "رغم أننـي عملت كثيرا في الغرب، وخاصة في أميركا الشمالية، فقد كنت دائم الانجذاب إلى الشـرق بدلا من الغرب، وكان الشـرق الأوسـط في صُلب اهتماماتـي خـلال الدراسـة الجامعية، وأعددت أطروحتي للتخرّج من الجامعة عن التحالفات العسكرية والاستراتيجيّة فـي المنطقة، بدءا مـن 'حلف بغداد'، لكن الخطـوة الأهـم بالفعل تحققـت عندما اتسـع فضاء اهتمامي بالشرق الأوسط ليشمل الشرق بأسره".

وعـن الهنـد بصورة خاصـة، يقول باتشـيفيكو "إنّ هذا البلد الاسـتثنائي، أي الهنـد، شـبه القـارة الحقيقية التي زرتهـا عدة مرات، ربّما لأكثر من 12 مرّة، فـي محاولة لفهم الفلسـفة التـي يقوم عليها، بدءا من الشـمال البوذي، وصولا إلـى أقصى الجنـوب الهند فـي مناطق تاميل نادو".

مصوّر أنثروبولوجي

الأماكـن والأشـياء، وقبل كل شـيء الكائن البشـري هـو ما يجـذب انتباه باتشيفيكو "نعم، إنه الكائن البشري، موضوعـي المفضّل"، يقول الفنان "وبالـذات ما يختـصّ الآصرة مـا بـين الإنسـان وحواياته، وهـي مـا أعني بهـا الأماكن التي يقطنها الإنسان والمدن"، ويُضيف "لقد أنجزت خدمات وريبورتاجـات فـي الصحارى وريبورتاجات عـن الطبيعة في أفريقيا وآسيا، لكـن جميـع تلـك الخدمات أُنجزت بناء على تكليـف مهني، فـي حين أن ما أفعلـه تلقائيا هـو محاولةٌ، إنْ صـحّ التعبيـر، لتخليـد الحالات والأشياء في لحظة ما من حياتهـا، ويدور كلّ ذلك حول الإنسـان الذي لـه أهميـة أساسـية بالنسبة لي".

الإنسـان عنده هو ذلـك الكائن المرتبـط بلحظات جميلة في تاريخ البشرية، وهو، بالتالي، البطل الرئيسـي في آخر معرض للصور الفوتوغرافية لماسّيمو باتشيفيكو والمقام في متحف «مارينو ماريني» في فلورنس. يقول باتشـيفيكو عن أعماله المعروضة "اختـرت أربعـين صورة من بـين الآلاف التي التقطتها في السـنوات العشـرين الأخيـرة خـلال زياراتـي للمتاحف في العالم". ويُضيـف "هناك صورٌ موجودة في معرضي اليوم التُقطت للمتفرجين في عدد من أهم المتاحـف على هذا الكوكب، كالمتحـف الوطنـي، ومتحـف فيكتوريا وألبرت في لنـدن، ومتحف الپيرغامون في برلين، والمتاحف الرومانية، ومتحف ريجكسـميوزيم في أمسـتردام، وغيرها الكثير".

وتُثبّت الصور المعروضة آصرة زائر المُتحف مع ما هو معروض أمامه. وليست الآصـرة التي يعرضها باتشـيفيكو في صـوره الأربعين بالضـرورة تلك المعنيّة بمشاهدة العمل المُعلّق على جدار المتحف أو المعـروض في صالة مـن صالاته، بل مـا ينتج عـن الوجـود في المـكان وعن التعامل مع ذلك المكان. إنّه أشبه ما يكون بـ«مشاهدة من يُشاهد عملا ما ويتعايش معه".

أماكن مقدسة

يقول باتشـيفيكو "يهدف المعرض إلـى أن يكون مناسـبة للتفكيـر في ما يحدث في هـذه الأماكن التـي أعتبرها مُقدّسـة، وهـي أماكـن ترقـص فيهـا الموسـيقى حيـث يقتـرن الفـن بطاقة متحرّرة، لا شبيه لها".

لا يقتصر وجود الإنسـان على منح فقط الحركة إلى الأشـياء السـاكنة، بل يُعطيهـا البعـد والعمق أيضـا، "وهذا أمـر أساسـي للغايـة" يقول ماسّـيمو باتشـيفيكو، "مـا أتحـدث عنـه هو ما أدركـه المصـورون الفوتوغرافيـون في النصف الأول من القرن التاسـع عشـر، عندما سـمحت لهـم التقنيـات بإدخال الكائن البشري في الصور الفوتوغرافية، فأعطى هـذا الكائن البشـري الانطباع الحقيقـي عـن حجـم ومسـاحة وعمق المكان الذي التُقطت فيه تلك الصور".

وحين نسـأل ماسّـيمو باتشيفيكو أن يُعـرّف لنـا مهنتـه، ومـا إذا كان يعتبـر نفسـه مُصـوّرا أم صحافيا أم أنثروبولوجيًا يُجيب "أنا أعتبر مهنتي بمثابـة أنثرو-تصويـر.. وهـي عملية بحـث أنثروبولوجيـة لـن تنتهي ولن تتوقّف أبدا".

مشروع «نقل المعارف»

ترجـم 30 كتابـا منـذ انطلاقتـه.. ويهـدف إلـى التبادل الفكـري والثقافي بـين البحريـن والعالم "مشـروع تبادل ثقافـي اسـتثنائي"، هكـذا يمكن وصف مشـروع (نقل المعارف) الذي بدأت نواته الأولى في العـام 2014، مسـتهدفا بذلك ترجمـة 50 كتابا، من منطلق الحاجة إلى نقل المعـارف الإنسـانية والانفتاح على الحضارات المتعددة، وذلك في مبادرة من المفكر وعالم الاجتماع التونسي الدكتور الطاهر لبيب وتبنّي معالي الشـيخة مي بنـت محمـد آل خليفة للمشـروع الذي ساهم في إثراء المكتبة العربية.

في سيره نحو تحقيق ما يصبو إليه المشروع، تمت حتى الآن ترجمة 30 كتابا متنوعـا، وذلك بدعم مـن هيئة البحرين للثقافـة والآثـار، التي تؤمن بـأن هذه الترجمـات تأتي في صيغة اسـتمرارية لطبيعـة البحرين ذات الأبعاد التاريخية والثقافيـة. ومشـروع نقـل المعـارف حسـب توصيف الهيئة هو: تثبيتٌ لقيم حضاريّة بحرينيّـة، كما هي دعوةٌ، على الصعيـد الدّولـي، إلى تبـادل المعارف والخبـرات وإلى الحوار بـين الثقافات وبين أجيالها.

العلـوم الاجتماعيـة والفنـون، والـذي بـدأ في دورتـه الأولى عـام 2015. جمع الملتقى عددا من الشباب الباحثين العرب والأوروبيـين من مسـتوى الماجسـتير والدكتـوراه والذيـن لهـم مشـاريع بحـوث أكاديمية يرغبون في مناقشـتها وتطويرها وفـي تبادل الخبرات المعرفية حولها، وذلك بإشـراف باحثين وأساتذة جامعيـين من العـرب والأوروبيين، ومن ذوي الخبرة في الإشراف على البحوث.

فـي العام 2016، أقيمـت على هامش المشـروع، النـدوة الدوليـة التي حملت عنوان (صـورة الآخر: نظرات متقاطعة). وقـد هدفت الندوة إلى معرفة التصورات والأحـكام والمواقـف التـي تتبادلهـا الثقافات والشـعوب، وخاصة بين العرب والآخريـن، وبالتالـي معرفـة العوامـل الثقافيـة التي تحـول دون تفهّم حقيقي ومتبـادل بينهـم، ودون بنـاء حوار بين الثقافـات يقوم علـى الرغبـة الحقّيقية في تخليـص هذه التصـورات والأحكام والمواقـف مـن التشـويه وعلـى رغبـة حقيقية في معرفة الآخر.

وقد شـارك فـي هذه النـدوة حوالي 60 باحثا وأسـتاذا جامعيًا مـن 25 بلدا هي: الجزائر ولبنان وفلسـطين وتونس والأردن ومصـر والمغـرب وسـوريا والسـعودية وليبيا والعراق والسودان واليونان وإيطاليا وفرنسـا وسويسـرا وبوركينـا فاسـو وألمانيـا وجمهوريـة التشـيك وقبرص وإسـبانيا وجمهورية الكونغو وبلجيكيا والكاميرون ورومانيا.

مشـروعٌ رائـدٌ وفريد يندرج ضمن اسـتراتيجيّة هيئـة البحريـن للثقافـة والآثـار فـي الارتقـاء بالعمـل الثقافي الهـادف ووضع اسـم مملكـة البحرين أكثر فأكثر على خارطـة الحراك الثقافي العربـي والعالمـي. الكتـب العشـرون الأخيرة والتي مـن بينها قواميس مهمة وكبيرة هي بأكثريتها في مرحلة متقدّمة من الإعداد للنشر، ومن المنتظر صدورها في الفترة القريبة.

يقول الدكتـور الطاهر لبيـب، مدير مشـروع نقل المعارف "إن هذا المشـروع يهدف إلى المسـاهمة في نقل المعارف من البحرين إلـى العالم والعكس، عن طريق الترجمـة، بالإضافـة إلى المسـاهمة في تبادل الخبرات بين الشباب الباحثين من العـرب والأوروبيين في مجـالات العلوم الإنسـانية والاجتماعية والفنون، وكذلك في تعزيـز الحوار بـين الثقافات وإبراز البعد الثقافـي والفكـري المنفتح لمملكة البحرين".

ويؤكـد أن ترجمـة الكتـب تتـم اعتمادا على مقترحات لجنة استشـارية عربيـة أوروبية، ويقـوم بترجمة الكتب ومراجعتهـا متخصّصون معتَـرفٌ لهم بالكفاءة فـي الترجمة، ومن بلدان عربيّة مختلفة. أما مجالات الترجمة فهي العلوم الإنسانية عموما، ممثلة في خمسة فروع: العقلانيات والعلوم الاجتماعية والفنون والاتصال وتحليل الخطاب.

يركز مشـروع (نقل المعارف) على ما يُحفّز على التفكير الموضوعي والعقلاني في المسائل الفكريّة والظواهر التاريخيّة والاجتماعيّـة، وعلـى مـا يسـاعد على فهـم الفنـون وتذوّقها. وتشـمل القائمة قواميـسَ مهمّة ولها صيتٌ عالمي، مثل "قامـوس أكسـفورد للفلسـفة" وكتـاب "قصـة الفن" الذي ألّفـه غومبرتش، وهو في طبعته السادسـة عشـرة وصدر في سـبعة ملايين نسـخة. ومن بـين الكتب التي تمـت ترجمتهـا حتـى الآن: كتاب تفكر، لغات الفردوس، التحليل النفسـي، الأبجديات الثلاث: اللغة والعدد والرمز، الزمن أطـلالا، نهاية العالـم كما نعرفه، أصـول الفكر الإغريقـي، ومنطق الكتابة وتنظيم المجتمع.

ولأنه مشروع متكامل، فهو لا يقتصر على الترجمة، بل انتقل إلى الجزء العملي أو النقـاش الحـيّ عبر تدشـين الملتقى العربي الأوروبي للشـباب الباحثين في

أم وطفلها في متحف لندني.. الحضور الإنساني هو الشاغل

ماسيمو خلال جولة تصوير في متحف إيطالي

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

أول عمل درامي كبير عن كارثة «تشيرنوبيل»

هل كانت صورة النظام السوفييتي أهم من مصير الإنسان

أثار مسلسل "تشيرنوبيل" الذي يقع في خمسة أجزاء، اهتماما كبيرا عند عرضه مؤخرا بسبب قوة موضوعه وصدقه في نقل حقيقة ما وقع في مفاعل تشيرنوبيل النووي قبل 33 عاما من منظور الإخلاص للتاريخ والوقائع المدونة.

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

انفجار تشيرنوبيل كما صوره المسلسل

هذا أول عمل درامي مصور لكارثة الانفجار الذي وقع في المفاعل الرابع بمحطة تشيرنوبيل النووية في أوكرانيا السوفييتية في 26 أبريل 1986، واعتبر أول كارثة نووية كبرى نتجت عن أخطاء بشرية. وقد نُظر إلى الانفجار الذي كانت له نتائج هائلة على سكان المنطقة والبلدان المجاورة وما زالت تأثيراته قائمة حتى يومنا هذا، باعتباره فشلا للتكنولوجيا النووية السوفييتية، ويرى كثيرون أنه كان سببا رئيسيا في سقوط الاتحاد السوفييتي بعد خمس سنوات فقط من وقوع الحادث.

يمكن التعامل مع هذا المسلسل كفيلم واحد يمتد لخمس ساعات وهي مساحة زمنية جيدة يمكن احتمالها ولا تسمح بالتلاعب بالمشاهد وابتزازه عبر الإطالة والإسهاب والاستطرادات الخارجة عن السياق شأن معظم المسلسلات الطويلة، خاصة وأن هذا العمل تحديدا يعتمد على وقائع حقيقية.

يبدأ المسلسل في الحلقة الأولى بصوت عالم الطبيعة النووية فاسيلي ليغاسوف (الممثل الأسكتلندي جاريد هاريس) وهو يتساءل "ما هو الثمن الذي ندفعه للأكاذيب؟"، ثم يظهر عنوان "موسكو 26 أبريل 1988" أي بعد عامين بالضبط من انفجار المفاعل الرابع في تشيرنوبيل.

تقترب الكاميرا تدريجيا من مطبخ في شقة متواضعة فنرى الرجل جالسا يسجل بصوته.. ويستمر الصوت "المشكلة ليست أننا يمكن أن نكذب ونعتبر ما نقوله حقائق، بل المشكلة الحقيقية أن نستمع إلى الكثير من الأكاذيب بحيث لا يمكننا التفرقة بينها وبين الحقائق. في هذه القصة لا يهم من الأبطال فكل ما نريد معرفته هو على من يقع اللوم؟".

يذكر مباشرة اسم أناتولي دياتلوف كبير مهندسي العمليات في تشيرنوبيل، الرجل المغرور الذي أصدر الأوامر التي أدت إلى الكارثة والذي سيقضي عشر سنوات في معسكر للأشغال الشاقة. يقوم فاسيلي بتسجيل شهادته على جهاز تسجيل عتيق. وما يقوله في البداية هو ما سنسمعه مجددا في نهاية الحلقة الخامسة والأخيرة من المسلسل. وسنعرف بالطبع أن فاسيلي ليغاسوف قد انتحر في تلك الليلة بعد معاناة طويلة مع "الحقيقة" في ظل نظام سياسي محكوم بالأكاذيب.

دراما تسجيلية

ما بين البداية والنهاية يصور المسلسل من خلال أسلوب أقرب إلى الدراما التسجيلية، الوقائع والأحداث التي أحاطت بالانفجار ثم ما أعقبه من عمليات تنظيف المنطقة المحيطة من التلوث النووي، وعمليات إجلاء السكان وقطع الأشجار وقتل الحيوانات، مع قصص متعددة لتلك المأساة وكيف انعكست على حياة الأفراد، وهو ما يضفي على العمل حيوية وجاذبية وسحرا رغم ما يكتنفه من رعب وما يصوره من مشاهد قاتمة تقشعر لها الأبدان، فلو اتبع كاتبه الأميركي كريج مازن ومخرجه السويدي يوهان رينك، الأسلوب التسجيلي في البناء والتسلسل، لجاء العمل، رتيبا مباشرا باردا، لكنهما أضافا الكثير من الأبعاد الدرامية الإنسانية وتعمقا فيها دون مبالغة، بل تمسكا من البداية بالواقعية التي تمتزج بمسحة شعرية حزينة.

يعتمد السيناريو في تفاصيل كثيرة منه على ما جاء من شهادات في كتاب "أصوات من تشيرنوبيل: التاريخ الشفوي لكارثة نووية" للكاتبة سفيتلانا ألسكفيتش (بيلاروسيا) التي حصلت عنه على جائزة نوبل. وهو كتاب مؤثر يفيض بالحزن والألم يمكنك أن تلتهمه في جلسة واحدة.

حقيقة الحادث

وكما يخفي المسلسل خلال حلقاته الأربع الأولى، ما وقع في المفاعل النووي ليلة الانفجار مبقيا التفاصيل إلى الحلقة الخامسة، يخفي أيضا حتى النهاية حقيقة انتحار الشخصية الرئيسية التي نتعاطف معها من البداية، ونرى الكثير من الأحداث من منظورها.

في الحلقة الخامسة يكشف السيناريو الممتاز للمرة الأولى في مشاهد المحاكمة، تفاصيل الحادث، من خلال العودة إلى تصوير ما وقع داخل غرفة التحكم المركزي في المحطة النووية السوفييتية، في ضوء ما يرويه الشهود خاصة الشاهد الأساسي بطل المسلسل أي فاسيلي ليغاسوف الذي يلفت أنظار المسؤولين أيضا إلى وجود 16 مفاعلا في البلاد قابلة للانفجار ويجب عمل صيانة حقيقية لها تفاديا لتكرار الكارثة. ويضطر فاسيلي كما سيكشف لنا المسلسل، لعقد صفقة مع فيكتور شيركوف نائب رئيس "الكي.جي.بي" (يقوم بالدور الممثل الإنكليزي آلان وليامز) بحيث يدلي ليغاسوف بالشهادة السوفييتية الرسمية التي ترجع الحادث إلى أخطاء بشرية (وليس إلى عيوب في التصميم والصناعة أيضا) مقابل الموافقة على صيانة باقي المفاعلات. إلا أن شيركوف يقول في الحلقة الخامسة، أن الأولوية الآن لمحاكمة المقصرين وتحديد الأشرار والأبطال قبل صيانة المفاعلات أي أن العامل الإنساني ليس له وزن عند القائمين على إدارة البلاد!

تكمن براعة المسلسل أولا في الدقة التاريخية التي ترتبط بالأماكن والوقائع والشخصيات، ثم في اختيار عدد من الشخصيات الرئيسية والفرعية التي تروي تفاصيل الكارثة ثم محاولة السلطة السوفييتية للتغطية على الحقيقة ثم محاولات ليغاسوف المضنية لمنع تفاقم الكارثة، بالتعاون مع رئيس لجنة التحقيق بوريس شيربينا نائب رئيس الوزراء السوفييتي كممثل للدولة والحزب. ويصور كيف يبدو شيربينا في البداية متشككا في دوافع ليغاسوف مؤمنا بما يقال له على المستوى الرسمي، ثم يبدأ تدريجيا في إدراك الحقائق وكيف أن النظام الذي يعمل في خدمته ويؤمن به ويصدقه، كاذب لا يقيم وزنا للحقيقة مهما كانت النتائج ومهما كان الثمن الذي يدفعه الأبرياء من دمائهم وحياتهم. سيتغير موقف شيربينا، وتزول الصبغة الرسمية في تعامله مع ليغاسوف، ويتعاون الاثنان للكشف عن حجم الكارثة أمام أعلى مستويات الحزب، بما في ذلك ميخائيل غورباتشوف نفسه الذي لم يكن قد مضى على انتخابه سوى 13 شهرا.

من الشخصيات الكاريزمية البطولية في الفيلم أيضا "أندريه غلوكوف" رئيس عمال المناجم الذين يتم استدعاؤهم ونقلهم للقيام بحفر نفق تحت الأرض بغرض التخلص من المياه الملوثة وهو يعلم مخاطر العمل في ظروف غير إنسانية ستؤدي إلى عواقب خطيرة بالنسبة لعماله لكنه يدرك أيضا أنه بقيادة هذا العمل الشجاع سينقذ عشرات الآلاف من الأرواح.

وهناك الشاب اليافع "بافل" الذي يتم إلحاقه مع مجموعة من المتطوعين الشباب الذين لا يمتلكون أي خبرة، بفرقة يرأسها الضابط الجورجي "باتشو" (يقوم بالدور اللبناني فارس فارس الذي رأيناه في "حادث هيلتون النيل")، تجوب المناطق المحيطة ببلدة بريبيات القريبة من تشيرنوبيل، لقتل جميع الحيوانات الموجودة بالمنطقة التي انتقل إليها الإشعاع النووي وأصبحت تشكل خطرا على البيئة والإنسان.

صورة المرأة

وهناك الشخصية الرئيسية الثالثة في العمل، العالمة النووية السوفييتية أولانا خوميوك (تقوم بالدور إميلي واطسون) التي يختصر صناع العمل في شخصيتها، عددا من العلماء السوفييت الذين ساندوا ليغاسوف ووقفوا إلى جواره وقاموا بالأبحاث وتقصوا الكثير من الحقائق بعد الاستماع إلى شهادات عشرات الأشخاص من شهود الحادث وضحاياه. ولا شك أن المسلسل يحتفي كثيرا بدور المرأة ويعلي من شأنها، فهناك شخصية لودميلا إيغناتنكو زوجة رجل الإطفاء الذي تعرض للإشعاعات المدمرة بعد أن تم الدفع به مع رفاقه لإطفاء الحريق الذي اشتعل في المفاعل دون أي ملابس وقاية خاصة ضد الإشعاعات. وسوف ينقل إلى مستشفى في موسكو وتقوم زوجته الحامل بزيارته، وتصر على الوقوف إلى جواره إلى أن يودع الحياة. وبينما كانت أولانا خوميوك إحدى الشخصيات القليلة المتخيلة التي أدخلت في المسلسل، إلا أن لودميلا هي شخصية حقيقية تحتل شهادتها المؤثرة الفصل الأول من كتاب "أصوات من تشيرنوبيل" الذي اعتمد عليه كاتب السيناريو بشكل حرفي تقريبا.

في أحد المشاهد أثناء عمليات الإخلاء في القرى المحيطة بموقع الكارثة، يحاول جندي دفع عجوز لمغادرة بيتها، لكنها ترفض وتتشبث بالبقاء وتسرد على الجندي كيف أنها ظلت باقية في أرضها وبيتها طوال التاريخ المليء بالرعب الذي عاشته منذ الثورة البلشفية ثم الحرب الأهلية ثم المجاعات التي تعرضت لها أوكرانيا بسبب سياسة ستالين ثم الحرب العالمية الثانية والفظائع التي ارتكبها الألمان، وصولا إلى المحنة الحالية. ومع رفضها النزوح يطلق الجندي الرصاص عليها ويقتلها نزولا عند التعليمات.

يقوم المسلسل على فكرة أن الكذب وإخفاء الحقائق والتواطؤ المخزي في أعلى مستوى من مستويات السلطة كان السبب في فساد النظام السوفييتي ثم انهياره، فقد كان الطموح الشخصي والرغبة في الصعود والترقي عند كبار المسؤولين، أهم من الحقيقة، وكان قرار إنشاء مفاعلات تشيرنوبيل باستخدام الماء العذب الخفيف، قرارا صدر عن القيادة العليا في الدولة، وفرض فرضا على العلماء لأن النظام الضعيف الذي استخدم في بناء المفاعلات كان قليل التكاليف، وكان هناك من العلماء من يعرفون الحقيقة لكنهم صمتوا عن العيوب الكثيرة في تصميم المفاعل مما أدى في نهاية الأمر إلى وقوع الكارثة، كما كانت سيطرة الدولة البوليسية سببا مضاعفا في سقوط النظام.

ويطرح المسلسل سؤالا فلسفيا وأخلاقيا هو: هل من الواجب التمسك بالحقيقة رغم كل ما يمكن أن تؤدي إليه من مخاطر على حياة الفرد ومستقبل أسرته، وألا يعتبر هذا موقفا أنانيا مهما كانت البطولة الكامنة فيه، طالما أنه سيؤدي إلى تعريض سلامة العائلة والأبناء للخطر؟ وما هو واجب العلماء: الخضوع للبيروقراطية الحزبية والإدارية أم الإخلاص لمقتضيات العلم حتى لو تعارضت مع الأيديولوجيا؟

صورة صادقة

المخرج السويدي يوهان رينك ينتقل بهذا المسلسل من مخرج تخصص في إخراج الإعلانات التجارية و"الفيديو ميوزيك" إلى مخرج دراما عملاق؛ إنه يبرع في التصوير الدقيق الواقعي الذي يستغل الأماكن المماثلة للمواقع الحقيقية في تشيرنوبيل (صورت المشاهد الخارجية في منطقة مفاعل نووي مهجور في ليتوانيا مماثل لمفاعل تشيرنوبيل)، مع إعادة تصميم الكثير من الأماكن الداخلية التي تنقل لنا صورة صادقة عن الحياة في الاتحاد السوفييتي، داخل أروقة الإدارة البيروقراطية السوفييتية في تلك الفترة. ويتحكم فريق المساعدين تحكما جديرا بالإعجاب في تحريك المجموعات الكبيرة من الممثلين الثانويين؛ عمال الحفر والإطفاء ومن يقومون برش الشوارع بالمواد المطهرة ويجوبون المزارع مع تحريك المئات من المركبات لنقل السكان، ثم الصورة الواقعية الدقيقة للمستشفى في موسكو، حيث وقفت الشرطة تمنع دخول أقارب الضحايا الذين انتابهم الفزع، ثم كيف تم تخزين الملابس المليئة بالإشعاع، التي كان يرتديها رجال الإطفاء الذين نقلوا إلى المستشفى، في غرفة تحت الأرض. وتقول لنا المعلومات التي تظهر على الشاشة في نهاية المسلسل، أن هذه الملابس ما زالت موجودة في مكانها حتى يومنا هذا.

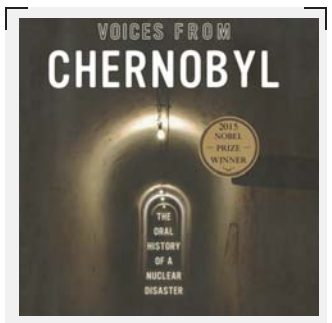

يعتمد السيناريو في تفاصيل كثيرة منه على ما جاء من شهادات في كتاب «أصوات من تشيرنوبيل: التاريخ الشفوي لكارثة نووية» للكاتبة سفيتلانا ألسكفيتش (بيلاروسيا) التي حصلت بفضله على جائزة نوبل

يرجع نجاح المسلسل أيضا إلى الاختيار المثالي لطاقم الممثلين جميعا، الذين كان كل منهم يتحدث بلهجته دون محاكاة طريقة النطق الروسية، وهو الاختيار الأكثر مناسبة لجمهور العمل، مع استخدام اللغة الروسية في المقاطع الأصلية من نشرات الأخبار والتقارير التلفزيونية والنداءات العامة التي كانت توجه عبر مكبرات الصوت إلى السكان.

ورغم احتواء المسلسل على الكثير من المعلومات العلمية التي تتعلق بطبيعة تركيب المفاعلات النووية وكيفية تشغيلها، إلا أننا نستمتع ونحن نستمع إليها خاصة عندما يقوم ليغاسوف أمام المحكمة في الحلقة الخامسة، بالشرح التفصيلي باستخدام لوحات ملونة بالأزرق والأحمر موضحا كيف كان ممكنا أن تتحول تجربة روتينية لإجراءات الأمان في المفاعل إلى كارثة كان من الممكن أن تقضي على حياة ستين مليونا من البشر لولا الجهود والتضحيات الهائلة التي قدمها أكثر من 600 ألف شخص، دفع الكثيرون منهم الثمن غاليا من حياتهم وصحتهم. والفيلم في نهايته مهدى إلى هؤلاء.

عمال المناجم قاموا بدور بطولي

العالم ليغاسوف يشرح أسباب الحادث

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

أقصر طريق لجذب السائح معدته

متى تجمع الدول المغاربية السياح على طبق الكسكسي

الأفكار الخلاقة سيدة كل الاستثمارات، ففي القطاع السياحي على سبيل المثال تحتاج الدول المغاربية إلى مصادر وأفكار جذب سياحي بعد أن شهدت سياحة الفنادق تراجعا أمام أنواع أخرى من السياحة. ويبدو أن فكرة سياحة الطعام إن جازت العبارة فكرة جديدة لجذب نوع جديد من السياح يعشق الاطلاع على ثقافة الشعوب التي تحتوي على فرادة في الطعام، فمهرجان مغاربي لطبق الكسكسي جدير بأن يجمع حوله الآلاف من السياح من العالم إذا ما تم تسويق الفكرة وتنظيمها بشكل جيد.

لطيف جابالله
صحافي تونسي

تونس - يقول المثل إن أقصر طريق للوصول إلى قلب الرجل معدته، هذه النصيحة التي تقدم عادة للنساء، يمكن أن تكون قاعدة عمل جديدة لجلب السياح إلى البلدان التي تشتهر بخصوصية أكلها كبلدان المغرب العربي التي تعرف بالمطبخ الأمازيغي المتنوع، فهل يعتبر السائح نفسه قد زار تونس أو المغرب وهو الذي لم يتذوق طعم الكسكسي في أحد المطاعم أو من ربة بيت تونسية أو مغربية؟

يبدو أن الأماكن الجميلة مثل البحر والشواطئ الذهبية والجبل والرمال الصحراوية لم تعد كافية لإغراء السياح للقدوم وزيارة بلدان جميلة بطبيعتها مثل المغرب ولبنان وتونس، هذه الأماكن التي صارت فرصة الاطلاع عليها ممكنة عبر الإنترنت حيث تنقل مواقع التواصل الاجتماعي صورا حية لأجمل الأماكن، كما أن هناك دولا أخرى تشبهها في الجمال كقبرص واليونان وإسبانيا وإيطاليا.

التغير المناخي أيضا منح بعض الدفء للقارة الأوروبية، هذا الدفء سيتيح المجال لتكشف الطبيعة في هذه القارة عن جمالها، ما يعني أن السائح الأوروبي على وجه الخصوص سينشغل باكتشاف قارته.

صحيح أن السائح لن يستمتع بدفء الشمس ومياه البحر في الصيف وسحر الصحراء في الخريف إذا تابع جمال البلدان المغاربية مثلا عبر الأفلام الوثائقية أو "ستوريات" وصور منصات التواصل الاجتماعي، لكن بإمكانه أن يأخذ فكرة هامة عنها دون زيارتها، ويبقى تذوق طعم الكسكسي عسيرا عن الاكتشاف حتى وإن توفر في مطاعم فخمة في باريس ولندن وبرلين وروما، لأنه ببساطة لن يكون بيدي امرأة ذات أصول أمازيغية من شمال أفريقيا تعرف أسرار هذا الطعام منذ طفولتها ووشمت وصفة طبخه في ذاكرتها وأناملها.

وقد ينسى السائح الأماكن التي زارها في بلدان المتوسط لأنها دول كلها مطلة على البحر، تتشابه في طبيعتها وبحرها وشاطئها، لكنه حتما لن ينسى أن التبولة لبنانية ولن يقول خطأ إن الكبة يونانية لأنه ببساطة تذوقها أول مرة في أحد مطاعم بيروت.

وإذا تذوق السائح الذي زار إسطنبول الشاورما في تونس، فسيقول إنها في تركيا ألذ وأطيب، وهو محق في ذلك حتما، لأن الطعام هوية الشعوب وعنوان ثقافتها التي تميزها عن البقية، فحين نتحدث عن البيتزا أو السباغيتي، فلن نتحدث عن إسبانيا لأن المعدة لا تخطئ في أن إيطاليا سيدة هذا الصنف من المعجنات.

شم وتذوق

الطعام يجمع العائلة والأصدقاء والضيوف على مائدة واحدة، ويقرب أيضا بين الثقافات والشعوب، وتهتم الدول بتنظيم مهرجانات للمرح والأكل الذي تختص به لتجمع الضيوف من جميع أنحاء العالم، وتسعى وزارات السياحة لأن تأخذ هذه الفعاليات صبغة عالمية ومناسبة لتجمع مختلف الجنسيات، من ذلك مثلا مهرجان البيتزا في نابولي، هذا المهرجان تتوافد عليه مئات الآلاف من الزوار سنويا لتناول فطائر البيتزا بالعشرات من الأشكال والأنواع.

لوحة الخضروات

وفي سيول صنعوا من الأرز كعكا، وجمعوا حوله السياح في مهرجان يقام في شهر مايو، أما في الهند التي فاحت رائحة توابلها في العالم، فقد جمعت أنواعا عديدة من مطبخها الشعبي في مهرجان الديفالي وهو مهرجان اقترن بعيد الأنوار فيها، وفيه يقدم كل إقليم هندي التشكيلة المتنوعة الخاصة به من الحلوى وأصناف الطعام المختلفة التي تعد خصيصا لهذا المهرجان ليصبح مناسبة تسيل لعاب السياح والمغرمين بالثقافات الشعبية.

وتتعدد مهرجانات الطعام والمشروبات في العالم منها مهرجان المأكولات والمرح في أيسلندا، ومهرجان الهوت دوغ في شيكاغو، ومهرجان ميستورا في ليما والذي يعرض مكونات الأطباق التقليدية، واتجاهات الطهي التي أصبحت شعبية في بيرو وبجميع أنحاء العالم، وتحتفل أيرلندا بمهرجان الأكلات البحرية، وقد سبقت في ذلك دولا عربية تنتج أفضل الأسماك البحرية وفيها أفضل الاجواء، مثل المغرب وتونس.

وعلى ذكر المغرب وتونس بالإضافة إلى الجزائر، فقد فشلت هذه الدول في إقامة مهرجان مشترك لأفضل طبق طعام تشترك فيه منذ آلاف السنين، بل صار وجه خلاف بينها حول ملكيته، وحال أنه وجد فإنه يجمعها حول لذة مذاقه، إنه طبق الكسكسي الذي تطبخ منه أنواع عديدة في كل بلد من البلدان الثلاثة.

سافر هذا الطبق الأمازيغي مع المهاجرين إلى أوروبا قبل أن تحمله معها البعثات الدبلوماسية للدول المغاربية إلى معارض ومناسبات سياحية وثقافية ضيقة، وصارت تقام له بطولة عالمية، فازت في الدورة الأخيرة منها تونس في شهر سبتمبر من السنة الماضية في مدينة سان فيتو لو كابو شمال مقاطعة صقليّة الإيطالية.

التراث والعادات يجذبان السياح

> مهرجان الحوت في حلق الوادي يقام في منتصف شهر أغسطس مع نهاية موسم السباحة وبداية تغير المناخ نحو الخريف

كسكسي بأنامل أمازيغية

نعم بطولة العالم للكسكسي تقام في صقلية بدل أن تقام في موطنه، بل فاز بها في 2017 فريق من أنغولا، وأمر محمود أن تقام مناسبة أو مهرجان للطبق الأمازيغي في خارج موطنه فذلك إشهار لهذا الطبق وترويج لموطنه الأصلي.

ويذكر أن دول شمال أفريقيا تنظم كل واحدة مهرجانها للكسكسي على حدة، فبقيت هذه المناسبات محلية، ولم تفتك مكانتها في مائدة الطعام العالمية لتكون مناسبة لقدوم السياح ومحبي التذوق.

وللكسكسي شهرته العالمية فقد صار متوفرا في العديد من مطاعم العالم، لكنه يستحق مهرجانا في موطنه الأصلي ليعود بالمنفعة عليه من خلال جمع متذوقيه، ففي تونس وحدها هناك أكثر من عشرين نوعا من هذا الطبق الأمازيغي، فإذا ما تكاتفت جهود الدول الثلاث التي اشتهرت به لتنظيم مهرجان موحد يقام بالتناوب كل مرة في دولة مع تكثيف جهود الإشهار والترويج له، فسيكون طبقا يجمع السياح برائحته وزينته وتنوعه، فكاليفورنيا في الولايات المتحدة الأميركية نجحت في إقامة مهرجان للثوم وصارت له سمعته العالمية وصارت هذه المناسبة تحية سنوية تقام في شهر يوليو لمحبي الثوم في العالم، فكيف لا تنجح الدول المغاربية في إقامة مناسبة عالمية لتذوق الكسكسي؟

من كل عام حيث يتوافد محبو المحار من جميع أنحاء العالم للتنافس في بطولة صارت عالمية لفتح المحار في مهرجان يمتد لمدة ثلاثة أيام تقدم خلالها أفضل أنواع الأطعمة البحرية في مختلف مطاعم المدينة التي تعزف في شوارعها الموسيقى الحية وتفوح فيها رائحة الطعام.

وفي تونس والمغرب أشهر بلدان شمال أفريقيا في السياحة، لا نجد رحلات سياحية لصيد السمك ولا نجد أيضا مهرجانات ذات شهرة محلية تقام خصيصا للسمك رغم أن المغرب يشتهر بالحوت المشوي، إلا مهرجان الحوت في حلق الوادي بالضاحية الشمالية من العاصمة التونسية، ولم تعمل السلطات العاملة بالقطاع السياحي على تعميمه على المدن الساحلية التونسية ليصبح مهرجانا قوميا، كما لم تعمل على الترويج له دوليا كما يجب.

هو مهرجان يقام في منتصف شهر أغسطس مع نهاية فصل السباحة في البحر وبداية تغير المناخ نحو الخريف، وهو أيضا مهرجان قديم كانت تتشارك فيه مختلف الأديان التي كانت تعيش في تونس.

واللافت للانتباه أن الدورة الماضية شهدت عودة "خرجة مادونا" بعد غياب طويل، ما يعني أن وزارة السياحة التونسية صارت تعطي اهتماما لهذا الحدث الذي قد يعيد السياح الإيطاليين إلى تونس، خاصة وأن المهرجان أتى به الإيطاليون من جزيرة صقلية حين هاجروا إلى تونس.

وقال منصف الشاوش مدير الدورة الماضية من المهرجان "مادونا هي تمثال لمريم العذراء جلبه المسيحيون إلى تونس سنة 1853، ووضع في كنيسة بالمدينة ليُخْرَجَ في منتصف أغسطس في استعراض إلى البحر كدلالة على انتهاء موسم الصيف والسباحة ومباركة الرحلات البحرية للجاليات الأوروبية من تونس".

واحتفل فنانون ومسرحيون تونسيون وسياح أجانب من الجزائر وليبيا وفرنسا وإيطاليا ومالطا بعودة استعراض "خرجة مادونا" من إحدى كنائس المدينة، بعد غياب دام نصف قرن.

ويأمل العاملون بالقطاع السياحي في أن يتواصل العمل على الترويج لهذا المهرجان الذي بإمكانه أن يفتك مكانته العالمية من بين المهرجانات التي تركز نشاطها على المنتوجات والنشاطات البحرية.

سمك لذيذ بلا شهرة

يحتوي البحر المتوسط على أنواع عديدة من السمك التي تمتاز بلذتها وفوائدها، وعرفت دول ساحل المتوسط بالتفنن في طبخ وإعداد السمك المشوي والمقلي وإعداد أطباق متنوعة تعتمد على المنتوجات البحرية، ومع ذلك لم يبرز السمك المتوسطي على قائمة العناصر الجاذبة للسياح رغم أنهم يستمتعون بأطباقه حين يحلون ببلاد كالمغرب وتونس.

ومن أشهر مهرجانات المأكولات البحرية ذلك الذي يقام في مدينة غالواي الأيرلندية في سبتمبر

شواطئ عربية للاستمتاع بعطلة صيفية

شاطئ الذهب مقصد الغواصين من العالم

عرضت قناة "ناشيونال جيوغرافيك" تقريرا جديدا عن أفضل الشواطئ في منطقة الشرق الأوسط، وجاءت شواطئ ذهب بمحافظة جنوب سيناء في المركز الأول بهذه القائمة، وتتميز تلك الشواطئ بنقاء المياه التي تضم أشكالا مختلفة من الشعاب المرجانية النادرة، وبجمال الطبيعة، وما جعلها تتفوق على غيرها من الشواطئ أنها من أكثر المناطق الصحية في المنطقة بسبب هوائها النقي الخالي من التلوث.

كايت بيتش للرياضات والاسترخاء

يُعتبَر شاطئ "كايت بيتش" في جميرا من أفضل شواطئ دبي المجانية لممارسة الرياضات المائية. ويمكن أيضا قضاء أوقات مليئة بالهدوء والاسترخاء في هذه الوجهة الشاطئية المميّزة.

وإذا كنت من محبي رياضة المشي أو الركض، فمسار "كايت بيتش" الذي يمتد على مسافة 14 كلم، يتيح الاستمتاع بأروع الإطلالات لبرج العرب. وبعد يوم مليء بالمرح، يمكن تناول أشهى الوجبات مع العائلة من إحدى شاحنات الطعام القريبة من الشاطئ.

محمية شاطئ صور تنوع وجمال

تسمى مدينة صور اللبنانية سيدة البحار حيث تحتوي على أكثر شواطئ لبنان الرملية جمالا، وهو الشاطئ الأكبر المتبقي في لبنان، وتتوزع العديد من المطاعم والمقاهي على الكورنيش البحري الذي يعد مقصدا لكل من يبحث عن الراحة والاستجمام.

وتوصف محمية شاطئ صور بأنها ذات الطبيعة الثلاثية الأبعاد تجمع الغطاء النباتي الأخضر والكثبان الرملية الصفراء والشاطئ البحري الأزرق.

طبرقة متعة السباحة والأمواج المتلاطمة

بين الميناء القديم وشاطئ الجزيرة بطبرقة شمال غرب البلاد التونسية يمتد شاطئ الكثبان الرملية الذي يجمع بين الرمال الذهبية والصخور الرملية حيث يتمتع العديد من المصطافين بالسباحة والغوص تحت مياه البحر أو الجلوس في ظل الواقيات من الشمس المصنوعة من القش بالطريقة التقليدية أو بالسير على جانب الشاطئ أين تداعب الأمواج المتلاطمة أقدامهم الحافية.

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

سرعة الجيل الخامس تثير أسئلة أمنية بلا إجابات

تضاعف البيانات الرقمية ملايين المرات يثير مخاوف غير محسوبة العواقب

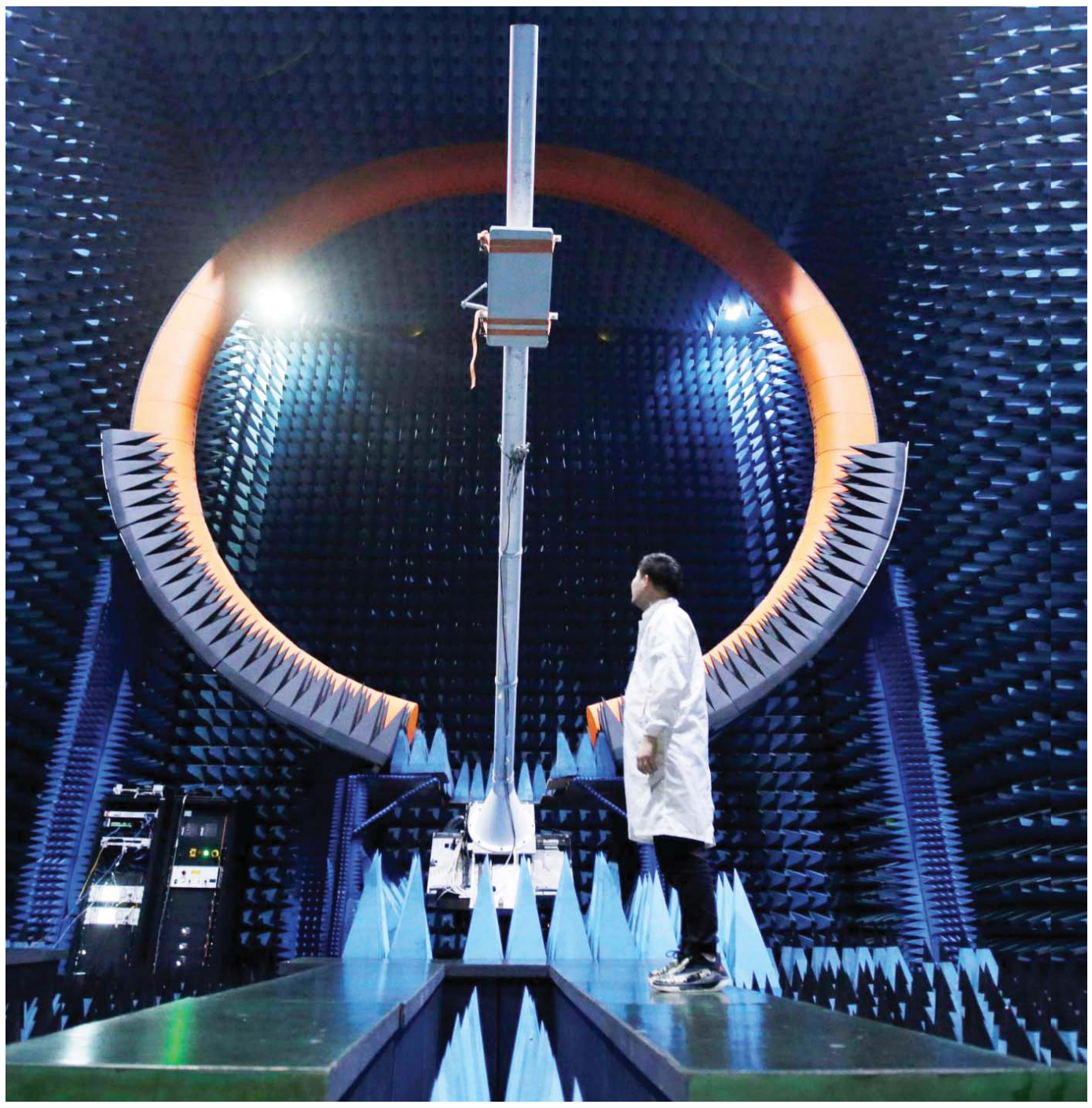

بوابة العبور إلى كوكب آخر

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

هناك نقاط تحول تاريخي قليلة في تاريخ البشرية يمكن وصفها بأنها انتقال من عصر إلى آخر. وهناك إجماع على أن انتشار شبكات الجيل الخامس للاتصالات سيكون أحد تلك الانتقالات الكبرى، التي ستفتح آفاق تحولات كبرى يعجز حتى المتخصصون عن تخيل كامل أبعادها.

يمكن ببساطة وضع عناوين أوليه لما يطلق عليه بالثورة الصناعية الرابعة، التي ستفتح لها السرعة الخارقة لنقل البيانات أبوابا شاسعة، مثل تطبيقات لا حصر لها للذكاء الاصطناعي والأتمتة الفائقة وتطبيقات البلوك تشين التي ستنسف كل قواعد التنظيم والإدارة التقليدية.

وهناك آفاق لا نهائية لسباق الإنسان مع الآلة وإمكانات التكامل بينهما وربطهما معا في شبكة واحدة تجمع البشر الموصولة أدمغتهم ببعضها ومع الآلات، ليصبح التواصل بلا كلمات (التليباثي) مجرد بداية لما هو أبعد من ذلك بكثير.

كل تلك الآفاق ترتبط بالسرعة الخارقة لنقل البيانات، التي يتيحها الجيل الخامس للاتصالات، والذي يحتقن العالم على أبوابه في حروب تجارية، عنوانها مخاوف الولايات المتحدة من التفوق الصيني في هذا المجال وهو محور العقوبات على هواوي.

إذا كانت شبكات الجيل الثاني والثالث والرابع قد أحدثت انقلابات كبرى سمحت بظهور تكنولوجيا الهاتف المحمول التي غيرت خارطة حياتنا اليومية، فإن الجيل الخامس سيكون قفزة هائلة لا يمكن مقارنتها بتلك القفزات الصغيرة.

محور المخاوف

هناك محاور كثيرة للحديث عن شبكات الجيل الخامس، التي ستنقل البيانات بسرعات تفوق المستويات الحالية بعشرات ومئات المرات، لكن معظم التقارير العالمية مشغولة بالعنوان الأول وهو تأمين البيانات وإمكانية اختراقها، الذي يبدو أنه الجبهة الأكبر لحروب المستقبل.

قد يخيّل للبعض أن سرعة الهاتف المحمول حاليا تفي بأغراض الهاتف الذكي والأجهزة الإلكترونية ومشاهدة البث التدفقي للأفلام والبرامج، لكنها لا تكفي لتطبيقات الثورة الصناعية الرابعة التي ستقلب حياتنا رأسا على عقب.

ويكمن سر الاهتمام بالقضية الأمنية، رغم الحديث عن كونها أكثر موثوقية، في أن المعلومات عن كل فرد ستتضاعف الملايين من المرات. وسوف تمتد من تفاصيل سلوكه وميوله وتحركاته ووضعه المالي وصولا إلى حالته النفسية وهواجسه وخارطة الجينات.

ومن العقبات الأولى التي ستتجاوزها شبكات الجيل الخامس هو التأخير بين إرسال البيانات على الشبكة واستقبالها، وهي إحدى العقبات أمام ثورات علمية كثيرة، حيث لن يستغرق نقل البيانات سوى أقل من 1 ملي (جزء من الألف من الثانية) أي أنها ستنتقل على الفور.

لا يمكن أن نتخيل التطبيقات التي سيفتحها ذلك الانقلاب، لكنها ستشمل الواقع الافتراضي، الذي سينقلنا إلى عوالم أخرى، وتطبيقات الذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء والتعليم والطب، إضافة إلى السماح ببث مقاطع فيديو عالية الجودة، وممارسة ألعاب إلكترونية تعتمد على أسلوب تعدد اللاعبين والاستجابة الفورية.

كل ميدان من تلك الميادين يحتاج إلى بحث خاص يستند على آخر ما يدور في ميادين الابتكار، إضافة إلى مخيلة جامحة لتوقع الآفاق التي يمكن أن تنفتح بين لحظة وأخرى.

ويقول الخبراء إن الأمر أبعد كثيرا من ارتباطه فقط بالتطبيقات وطبيعة حياة الأفراد، لأن شبكات الجيل الخامس هي أول جيل من شبكات الهاتف المحمول، جرى تصميمها من أجل تواصل الآلات في ما بينها بسرعة خارقة تتيح العديد من التطبيقات والاستخدامات الجديدة التي سوف تغير طريقة الحياة والعمل واللعب والترفيه.

ويجمع المتخصصون على حقيقة أن التطبيقات المحتملة لهذه التكنولوجيا الناشئة لا حدود لها. وهم منشغلون حاليا في بحث، ما إذا كان هذا الجيل الجديد من الاتصالات الفائقة السرعة سوف يتسبب في زيادة المخاطر الأمنية؟

تحدي الخصوصية

سبب الانشغال بالقضية الأمنية، هو أن السرعة الفائقة لنقل البيانات سوف تستدرجنا لحفظ ومشاركة كميات هائلة من بياناتنا الشخصية، أبعد بكثير من التطبيقات الحالية وأبعد مما نعرفه عن أنفسنا حاليا.

لذلك فإن حماية الخصوصية سوف تكون أكبر تهديد أمني تطرحه شبكات الجيل الخامس، لأنها سوف تؤدي إلى ظهور أنواع جديدة من التطبيقات، التي تسمح لنا بتوصيل المزيد من الأجهزة بالشبكة والتواصل مع بعضها البعض دون استئذاننا.

سوف تقوم تطبيقات الصحة على سبيل المثال، بجمع بيانات شخصية للغاية عن أجسادنا وحالتنا الصحية، في حين ستراقب خدمات السيارات المتصلة بالإنترنت تحركاتنا، إضافة إلى تطبيقات المدن الذكية، التي ستجمع معلومات هائلة عن جميع تفاصيل حياتنا.

وستمتد سرعة نقل البيانات إلى تسجيل تفاصيل غيرمعروفة حاليا بعد ارتفاع عدد وأنواع الأجهزة المتصلة بالإنترنت والتي قد تستنتج خلاصات لا نعرف ملابساتها وتداعياتها على حياتنا.

في المدى المحدود لما يمكننا أن نتخيله، سوف يكون الهاتف الذكي في المستقبل محور اتصال مركزي للعشرات وربما المئات من الأجهزة الشخصية الأخرى، التي لن تقف عند الساعات الذكية وأجهزة تتبع اللياقة البدنية والمعدات المنزلية، التي ستتصل جميعها بالإنترنت وتتخابر في ما بينها خلف ظهورنا.

الأخطر من ذلك أن أجهزتنا الشخصية المزودة بتقنية الجيل الخامس للاتصالات سوف تتصل أيضا بعدد لا يحصى من أجهزة الاستشعار الموجودة في البيئات المحيطة بنا دون استئذان أيضا، وسوف يفتح ذلك نوافذ لا نهائية لجمع المزيد من البيانات عنا.

التهديدات الأمنية

من المفترض أن تكون الغالبية العظمى من حالات جمع البيانات غير مضرة وتستخدم وفق قواعد أخلاقية وربما مفيدة بالنسبة لنا. لكن زيادة حجم البيانات وتنوعها، يجعلها أكثر قيمة للقراصنة الذين لديهم نوايا سيئة.

وسيؤدي اتساع نطاق البيانات وتفاصيلها لتوسيع نطاق الابتزاز وسرقة الهوية. على سبيل المثال قد يتمكن مهاجم من الوصول إلى كاميرا تدعم تقنية الجيل الخامس أو تطبيق سيارة متصلة بالإنترنت للتسلل إلى حياة الفرد.

كما يشعر البعض بالقلق من حاجة شبكات الجيل الخامس إلى عدد هائل من مراكز تقوية الإشارة الرئيسية والفرعية، وهو ما يجعل بيانات موقعك الجغرافي التي تحصل عليها شركات الاتصالات أكثر دقة، ويعني ذلك أن تسلل القراصنة يسمح لهم بمعرفة مكانك بالتحديد.

ويعني ارتفاع عدد الأجهزة المتصلة عبر تقنية الجيل الخامس زيادة عدد الأهداف المعرضة للهجمات الإلكترونية. وإذا كان هناك ثغرة في أحد تلك الأجهزة فإنه سيفتح نافذة للقراصنة للتسلل وسرقة بياناتك.

وقد تسمح تلك الثغرة بشن هجوم إلكتروني على جميع أجهزتك باستخدام شبكة الروبوت المعروفة باسم "بوتنت" المستخدمة في تنفيذ الهجمات الإلكترونية.

معايير الأمان

كل تلك الاحتمالات غير محسوبة العواقب جعلت تهديد الخصوصية أبرز العناوين عند الحديث عن الجيل الخامس للاتصالات سواء في المواقع والبحوث التقنية أو على الصعيد السياسي حيث تنشغل معظم الدول المتقدمة بهذه التحديات.

ويعني تدفق ملايين الأضعاف من البيانات الأكثر حساسية عبر شبكات فائقة السرعة، إمكانية حدوث كوارث كبرى في حالة وقوع هجوم إلكتروني أو حتى انقطاع الخدمة، إضافة إلى المخاوف الكبيرة من اتساع رقابة الحكومات على الأفراد سواء داخل دولها أو خارجها.

ولا تقتصر المخاوف على الاختراق الأمني من القرصنة، بل إن الحكومات ليس لديها يقين قاطع عن إمكانية زرع ثغرات مقصودة لا يمكن التفريق بينها وبين الخلل العفوي، وهو محور مزاعم واشنطن وتحذيراتها من استخدام معدات شبكات الجيل الخامس، التي تنتجها شركة هواوي الصينية.

لكن في مقابل كل تلك المخاطر الكبيرة، يؤكد فريق آخر على أن المخاطر مبالغ فيها.

وتقول شركات خدمات الاتصالات إن شبكات الجيل الخامس تتضمن معايير أمان مدمجة تجعل درجة الأمان فيها أعلى من جميع الأجيال السابقة.

وتؤكد الشركات أن متطلبات الاختبار والتزامات الأمان في شبكات الجيل الخامس، أكثر صرامة على الصعيدين الوطني والدولي مما يدحض المخاوف من مخاطر نقاط الضعف في معدات الاتصالات.

وتشير شركات الاتصالات إلى أنها تقوم ببناء شبكاتها بطريقة تقلل من خطر انقطاع التيار الكهربائي، أو وصول أي شخص إلى بيانات زبائنها.

ويدعم ذلك الرأي أن جميع التحقيقات، التي أجرتها الولايات المتحدة ودول أخرى مثل بريطانيا بشأن المخاوف الأمنية المتعلقة بمجوعة هواوي لم تقدم حتى الآن أي أدلة ملموسة تؤكد إمكانية استخدام أجهزتها للتجسس على المستهلكين في الدول الأخرى.

في المقابل فإن الحقيقة المؤكدة التي جدال فيها، تثبت أن شبكات الجيل الخامس للاتصالات سوف تفتح الكثير من الأبواب للأفراد والشركات الصناعية وشركات الاتصالات والحكومات على حد سواء.

وعلى الصعيد الفني تضم شبكات الجيل الخامس 3 عناصر رئيسية وهي موجات الراديو، التي تنقل البيانات من الأجهزة إلى برج الإشارة، وشبكة النقل، التي تنقلها من برج الإشارة إلى الشبكة الأساسية، التي تقوم بمعالجة البيانات وإرسالها إلى هاتفك مرة أخرى.

تعتبر الشبكة الأساسية هي الجزء الأكثر حساسية من الشبكة، والتي توجد شركات قليلة قادرة على بنائها، في مقدمتها هواوي الصينية، والتي يقول الخبراء إن الحظر الأميركي المفروض عليها سيؤخر انتشار شبكات الجيل الخامس ويعرقل تطويرها.

ما الذي ينبغي فعله؟

لا توجد حقائق مطلقة بشأن حجم المخاطر الأمنية للجيل الخامس. ولا يوجد ما يؤكد أنه سيكون أقل أمانا من الجيل الرابع. كما لا يمكن إطلاقا أن تكون شبكات الاتصالات آمنة بنسبة 100 بالمئة، لكنها على الأقل أكثر أمانا من شبكات الواي فاي العامة.

شبكات الجيل الخامس ستوفر ما يُعرف بالشبكات الافتراضية، التي تسمح بربط جزء من الشبكة بفعالية وتخصيصها لاستخدام أو تطبيق محدد لتوفير السرعة المناسبة للتشغيل. ويمكنها منع أي شخص آخر من الوصول إلى ذلك النطاق الترددي، إضافة إلى أن جميع البيانات المرسلة عبر شبكات الجيل الخامس ستكون مشفرة.

ويعمل مشغلو الهواتف المحمولة لضمان أن تكون خدماتهم آمنة قدر الإمكان على مستوى البنية التحتية، على الأقل للاحتفاظ بزبائنهم، الذين يعتبر معظمهم أن أمان الشبكة وموثوقيتها في صدارة أسباب اختيار مزود الخدمة.

أما الانقلاب الأكبر فإنه سيحدث في انفجار التطبيقات والأجهزة، التي يمكن استخدامها في شبكات الجيل الخامس. وسوف يعني ذلك أن التدابير الأمنية التي سيتم اتخاذها لتأمين الشبكة ستكون كبيرة بدرجة غير مسبوقة.

أما المستخدمون فسوف يترتب عليهم تعزيز استخدام كلمات المرور ووسائل الدخول البيومترية مثل التعرف على الوجه والصوت. ويقول تقرير لشركة إريكسون إن 29 بالمئة من الأشخاص يرغبون في إتاحة المصادقة على الحمض النووي كخيار أمان بيومتري.

وينبغي زيادة الحذر في الموافقة على منح التطبيقات حق الدخول إلى البيانات مثل تلك المتعلقة بالصحة أو الموقع، إذا لم تكن هناك حاجة واضحة لذلك، إضافة إلى تفضيل استخدام التطبيقات المشفرة كلما أمكن.

ERICSSON

شركة إريكسون:
نسبة 29 بالمئة من الأشخاص يرغبون في إتاحة المصادقة على الحمض النووي كخيار أمان بيومتري

HUAWEI

الحظر الأميركي على هواوي يكشف خطورة هواجس التجسس خاصة أن واشنطن لن تقدم أي دليل على مزاعمها

> المعلومات عن كل فرد ستتضاعف ملايين المرات وتصل إلى تفاصيل سلوكه وميوله وتحركاته ووضعه المالي وحالته النفسية وخارطة الجينات

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

تمرين «الحبال القتالية» يعزز قوة العضلات والعمود الفقري

التدريبات تنقسم إلى موجات أحادية أو ثنائية بكلتا الذراعين

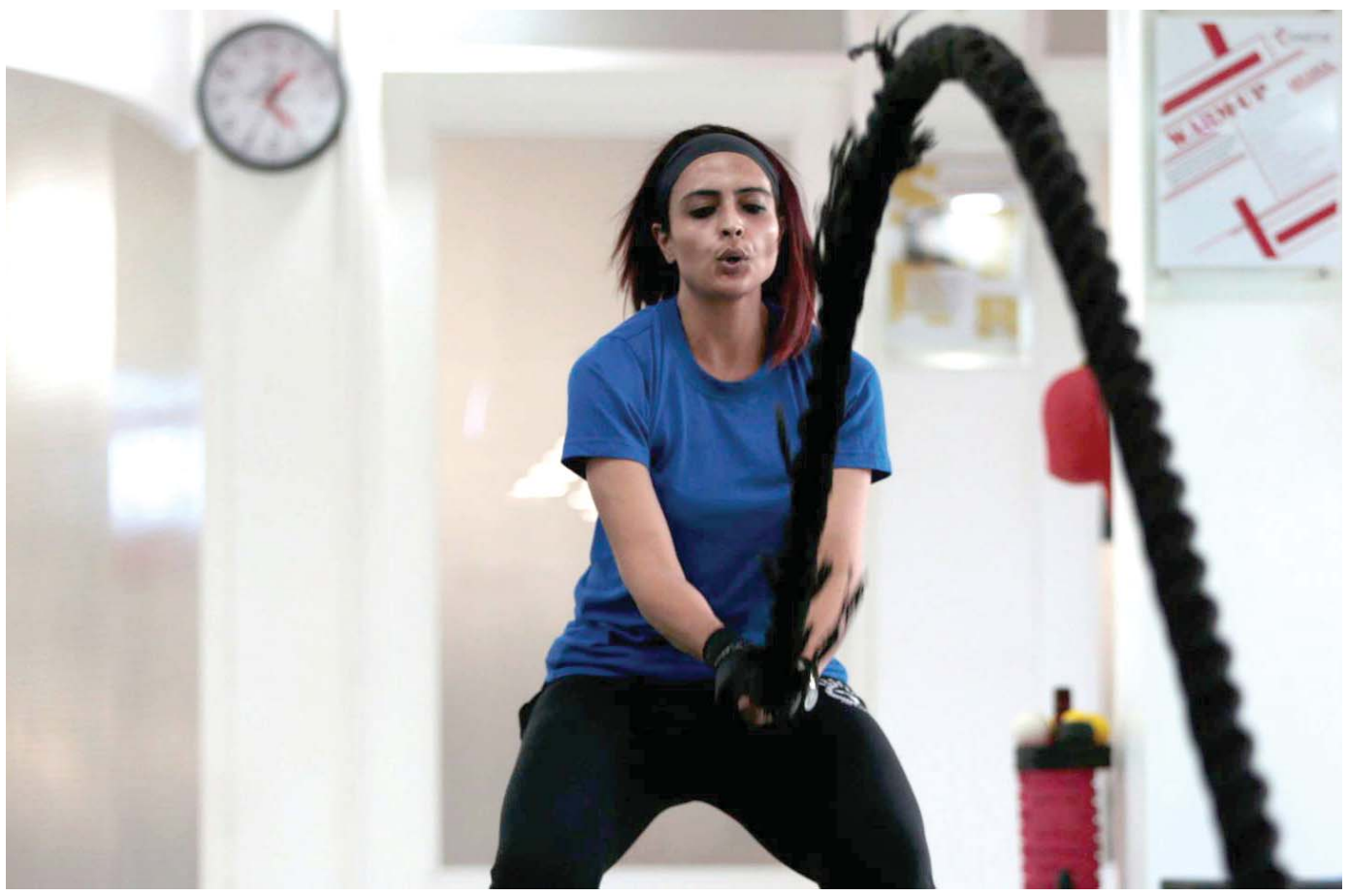

الحبال القتالية متوفرة بأوزان ومقاسات مناسبة للمبتدئين أيضا

تلقى تمارين الحبل الثقيل رواجا لدى الرياضيين غير المحترفين أيضا ولا تقتصر، رغم مشقة ممارستها، على الرجال فقط بل تتباهي الكثير من النساء بأدائها بتوازن وقوة كبيرَيْن.

باريس - تتطلب تمارين الحبل الثقيل التي يطلق عليها اسم "حبال المعركة" أو "الحبال القتالية" الكثير من الجهد والقوة، حتى يتمكن المتدرب من مسك الحبلين في نفس الوقت والحفاظ على استقامته وتوازنهما أثناء تحريكهما مرات عديدةً.

يقول المدرب الرياضي فلورنتان بيدون، في تقرير نشر في موقع "ليكيب" الفرنسي، "يعد 'حبل المعركة' إحدى الأدوات الجديدة التي تأتي باستمرار في عالم اللياقة البدنية".

وأوضح المدرب الفرنسي أن هذا التدريب الجديد مفيد لكل من القلب والعضلات، وهو يغوي العديد من الرياضيين. ويشرح بيدون أن عِدّة قاعات رياضية أصبحت توفر التدرب على "حبل التموج" أو ما يطلق عليه اسم "حبل المعركة".

ويقول "يتراوح طول الحبل عادة بين 10 و18 مترًا، ويتمثل الهدف من التمرين في ربط حركات الذراع بالحبل أثناء محاولة ضربه على الأرض. فعلى المتدرب أن يظل واقفا وظهره مستقيم، مع ثني الساقين قليلًا. ثم ينبغي عليه أن يطوي الحبل إلى النصف ويصله بنقطة ثابتة مثل مقعد أو شجرة ويمسك طرفي الحبل بكلتا يديه. تتلخص الفكرة في ضرب الحبل على الأرض بشكل مكرر لإنشاء موجة، على أن يتم تنفيذها في وقت واحد بكلتا الذراعين. يمكننا أيضًا ابتكار أشكال جديدة مثل القيام بأشكال دائرية بالذراعين أو القيام بذلك بشكل أفقي أو رسم حركة الفراشة.

إذا قام المتدرب بالتبديل بين اليد اليمنى واليد اليسرى فسينشئ حركة تسمى "موجة"، أما إذا قام بالحركة بكلتا يديه في نفس الوقت، فتسمى تلك ضربة قاضية. في الحالة الأولى، سنعمل على طريقة التمدد المائل وفي الحالة الثانية سنشغل عضلات البطن اليمنى. فما هي العضلات التي تركز عليها تمارين الحبل الموج؟

يقول بيدون "نحن نعمل أساسا على تعزيز قوة الذراعين (العضلة ذات الرأسين، ثلاثية الرؤوس) والساعدين وأسفل الظهر والكتفين. يعني بشكل عام تركز التمارين على الجزء العلوي من الجسم؛ فكلما زاد الفرد حركاته السريعة والواسعة، زادت صعوبة التمرين، ولكن في النهاية سيكون هذا التمرين في متناول الجميع .

ويشدد المدرب الفرنسي على أنه يمكن للجميع استخدام الحبل الموج، بشرط احترام مقدار تحمل الجسم، وأشار إلى أن هناك مقاسات وأوزانا مختلفة قد تناسب أي متدرب. ويمكن العثور على هذا النوع من الحبال في المتاجر المتخصصة وتتراوح أوزانها بين 5 و14 كلغ، بقطر يتراوح بين 30 و50 ملم. ويجب توخي الحذر في اختيار حبل ذي مقابض بلاستيكية لمنع اليدين من الاحتكاك بالحبل كثيرًا، لأن التكرار يمكن أن "يحرق" اليدين بسرعة.

ولفت بيدون إلى أن "هذا التمرين يعزز التحمل القلبي الوعائي والتحمل العضلي والانفجار والتنسيق. ويضمحل خطر الإصابة لأن المتدرب لا يتعامل مع الأحمال الثقيلة الكلاسيكية. ومن الناحية الجمالية، يزيد تمرين الحبل من نسبة إذابة الدهون وتحويلها إلى طاقة".

وإذا تم إدراج تمرين الحبل الموج ضمن نظام التدريب عالي الكثافة (هيت) فإن الفوائد لا تحصى.

> **ممارسة تمرين مدته 10 دقائق باستخدام الحبل الموج تتطلب تشغيل ما نسبته 77 بالمئة من طاقة الجهاز التنفسي**

كما أظهرت دراسة أجراها باحثون أميركيون أن ممارسة تمرين مدته 10 دقائق باستخدام الحبل الموج تتطلب تشغيل ما نسبته 77 بالمئة من طاقة الجهاز التنفسي وحوالي 12 بالمئة من النظام اللاهوائي، وحتى بعد الانتهاء من التدريب تصل نسبة استهلاك الجهاز التنفسي للأوكسجين إلى حوالي 11 بالمئة.

وهذا يدل على الدور الهام الذي تؤديه النظم الهوائية في ممارسة هذا التدريب. ويتم وصف شدة التمرينات التي تزيد عن 10 دقائق من الجهد بأنها مكثفة وكافية لتحفيز عمليات التمثيل الغذائي وتنشيط القلب والأوعية الدموية.

وأكدت دراسة أخرى سابقة، نشرت في مجلة أبحاث القوة والتكييف، الفوائد التي تعود على القلب إثر استخدام الحبل الموج. وخلال البحث تطوع 11 مشاركًا لممارسة التمرين على الحبل لمدة عشر دقائق. أجرى كل شخص التمرين لمدة خمس عشرة ثانية، ثم استراحوا لمدة 45 ثانية، وتناوبوا على التمرين لما مجموعه عشر جولات. أخذ الباحثون جميع أنواع القياسات الأيضية قبل التمرين وبعده من أجل تحديد تأثيره.

وكانت النتائج مفاجئة، فقد بلغت معدلات ضربات القلب عند الذروة حوالي 180 نبضة في الدقيقة. وبلغت ذروة اللاكتات في الدم حوالي 12 مللترا لكل لتر. وهذا مشابه للتدريبات الأخرى ذات الكثافة العالية مثل الركض أو ركوب الدراجات. ومن شأن هذه المعايير أن تصنف الحبال القتالية على أنها تمرين "مكثف بقوة" حسب مقاييس الكلية الأميركية للطب الرياضي.

يقول مدرب اللياقة الأميركي جاف بارنت في تقرير نشر في موقع "بريكينغ ماسل"، "نحن لا نعرف الكثير عن تمرين الحبال، لكننا نعرف أنه يمكن أن يكون تمرينًا مكثفًا للغاية. يمكن جعل الحبال القتالية أداة مفيدة من أدوات المدرب، وخيارًا مثاليًا للرياضيين الجدد".

وأضاف أن المبتدئين لا يعرفون قدراتهم وحدودهم بشكل كامل ودقيق، ويمكن أن يستغرق العثور على الأحمال المناسبة لهم وقتًا طويلا وصبرًا جميلا. وعادة ما يكون لدى المدربين وقت محدود يقضونه مع كل رياضي، وهذا ما يجعل حبال المعركة خيارًا مهما عندما تكون هناك حاجة إلى ملاءمة قدرات المتدرب مع الوقت المحدود لممارسة هذا النوع من التمارين الرياضية.

ويدعم أخصائي اللياقة الأميركي، جون آم سيسيك، فكرة كون استخدام الحبال الثقيلة في تهيئة الرياضيين أصبح شائعًا للغاية على مدار العقد الماضي. ويقول، من خلال تقرير نشره على مدونته الخاصة، "يستخدم الرياضي هذه الحبال الطويلة والسميكة والثقيلة المرتبطة بنقطة ثابتة، عبر مجموعة متنوعة من التمارين الإيقاعية التي تشغل معظم عضلات الجسم. هذا يجعلها أداة مثالية للتكييف الأيضي" وأوضح سيسيك أن برنامج التدريب بالحبل الموج يحتاج إلى المراوحة بين التدرب والراحة.

ومع ذلك، كانت هناك ندرة في الأبحاث حول فوائد هذا التدريب، وعلى مدار السنوات القليلة الماضية أجريت بشأنها دراسات محدودة.

وخلصت دراسة أجريت عام 2015 إلى أن برنامج التمرين باستخدام الحبال القتالية كان له تأثير ملحوظ على "طلاب الجامعات النشطين". وكان لشدة التمرين وقع إيجابي كبير على القلب والأوعية الدموية، لأنه ساهم في استهلاك المزيد من الأكسجين مقارنة بتمارين الأوزان الكلاسيكية.

وأجريت دراسة أخرى لفحص قدرة تمارين الحبال الثقيلة على تنشيط العضلات، عبر القيام بنوعين من التدريبات وهما الموجات الثنائية والموجات الأحادية. في هذه الدراسة، أجرى المتدربون ثلاث تكرارات ثنائية أي باستخدام كلتا الذراعين، وثلاث تكرارات للموجات من جانب واحد (بيد واحدة). وكما هو الحال في دراسة فلورنتاين المذكورة سابقًا، كان ذلك تمرينًا للجزء العلوي من الجسم (أي الحد الأدنى من حركة الجسم السفلية). وقارن المؤلفون بين نشاط العضلات الأمامية ونشاط العضلات الخلفية. ووجد الباحثون اختلافًا بسيطًا في تنشيط العضلات باستثناء أن الموجات الأحادية الجانب أدت إلى تنشيط بدرجة أكبر وأن الموجات الثنائية أدت -نسبيًا- إلى تنشيط أكبر للعمود الفقري.

يذكر أن جميع الدراسات المذكورة استخدمت عينات لا تشمل رياضيين، مما يجعل تطبيق النتائج على الرياضيين مشكلة. بالإضافة إلى ذلك، تعد بروتوكولات التدريب أقل تحديًا بشكل كبير مما قد يستخدمه الرياضيون المدربون، وهو ما يجعل تطبيق نتائج الدراسة صعبا أيضًا.

وقال سيسيك "هناك العديد من الأشياء التي أحبها بشأن تمرينات الحبال الثقيلة؛ أولًا، يسمح المدربون فيها بتنوع كبير في التدريبات. ثانيا، إذا أجريت التمارين بشكل صحيح، فيمكن أن تكون تمرينًا للجسم بالكامل. هذا يعني استخدام الساقين والذراعين أثناء التمارين مثل تمارين الموجة، بدلاً من الاقتصار على الجزء العلوي من الجسم. ثالثًا، إذا كانت التمارين لكامل الجسم، فستحرق السعرات الحرارية وتطور القدرة على التحمل وتكون أداة رائعة لتكييف الأيض. رابعًا، ليس هناك الكثير من الضغط مع هذا التمرين وهو أمر رائع بالنسبة إلينا لرفع الأثقال. أخيرًا، نظرًا إلى أن التمارين إيقاعية بطبعها، فإن ممارستها تتم لفترات زمنية، مما يجعلها مثالية للتكييف الأيضي".

وأضاف الأخصائي الأميركي "أكثر ما يهمني بشأن هذه الأداة التدريبية هو التحدي المتمثل في خلق حمل زائد. تذكر أن الحمل الزائد ضروري لمواصلة تعزيز اللياقة البدنية. الحبال كبيرة جدًا وثقيلة جدًا، لذا فإن زيادة وزنها تشكل مشكلة بعد فترة زمنية معينة. يمكن أن يزيد الحجم، لكن يأتي وقت يكون فيه هذا غير واقعي ولا يحقّق الأهداف المرجوّة. هذا هو مصدر القلق، وبالتالي لن يصل الكثير من الناس إلى هذه النقطة في برنامج التكييف".

ضعف لياقة النساء في منتصف العمر مرتبط بالاكتئاب

سنغافورة - أشارت دراسة أجريت في سنغافورة إلى أن النساء في منتصف العمر اللائي يعانين من ضعف اللياقة ربما يكن أكثر عرضة للاكتئاب والقلق.

وذكر الباحثون في دورية "انقطاع الطمث" أن ضعف قبضة اليد والحاجة إلى وقت طويل للنهوض من على المقعد ارتبطا بزيادة أعراض الاكتئاب أو القلق.

وقال قائد فريق البحث يو ليونج يونج من جامعة سنغافورة الوطنية "النساء اللائي في منتصف العمر بمختلف أنحاء العالم في وضع صعب جدا... فهنّ محاصرات بين الأطفال والآباء المسنين والأزواج والتزامات العمل".

وقال الباحثون "يضحين بأنفسهن من أجل كل هذه المطالب وأحيانا يهملن احتياجاتهن الخاصة... (وبذلك) يحدث القلق والاكتئاب دون وعي منهنّ".

ودرس يونج وزملاؤه حالة أكثر من 1110 امرأة تتراوح أعمارهن بين 45 و69 عاما، يترددن بصورة روتينية على عيادة أمراض النساء في مستشفى الجامعة الوطنية في سنغافورة. وخلال ترددهن على المستشفى قام الباحثون بقياس الأداء البدني لكل من الجزء العلوي والجزء السفلي من الجسم.

واستخدم فريق البحث استبيانات دولية لتقييم ما إذا كانت النساء قد عانين من الأعراض المرتبطة بالقلق والاكتئاب خلال الأسبوع السابق بما في ذلك الشعور بالحزن والقلق الذي لا يمكن السيطرة عليه، وفقدان الاهتمام بأي شيء والإرهاق والأرق وضعف الشهية.

وبشكل عام عانت 180 امرأة (أو نحو 16 في المئة من العدد الجملي) من أعراض الاكتئاب أو القلق. وزاد احتمال الشكوى من هذه الأعراض بين النساء اللائي تتراوح أعمارهن بين 45 و54 عاما.

> **الحاجة إلى وقت طويل للنهوض من على المقعد ارتبطت بزيادة أعراض الاكتئاب أو القلق لدى النساء**

ولم ترتبط الأعراض بحالة انقطاع الطمث أو الخصائص الاجتماعية أو متغيرات نمط الحياة مثل التدخين أو تناول الكحوليات.

وقال يونج "تظهر الدراسة ارتباطا مثيرا للاهتمام بين العقل والجسم مما يشير إلى أن القوة البدنية ترتبط ارتباطا وثيقا بالصحة العقلية". وأضاف أن الدراسات المستقبلية يجب أن تحدد ما إذا كانت تمارين تقوية الجسم التي تحسن الأداء البدني يمكن أن تساعد على التقليل من أعراض الاكتئاب والقلق.

رفع القدم وتبريدها يخففان أوجاع تمدد الأربطة

كولن (ألمانيا) - يندرج تمدد الأربطة ضمن الإصابات الشائعة أثناء ممارسة الرياضة كالمشي وكرة السلة والرقص. فكيف يمكن التوقي منه؟

للإجابة عن هذا السؤال، أوضح البروفيسور إنجو فروبوزه أنه ينبغي على الرياضي تجنب الحركات غير الضرورية مع مراعاة رفع القدم وتبريدها واستخدام ضمادة ضاغطة لتجنب حدوث نزيف أو تورم المفصل.

وإذا لم تفلح هذه التدابير في علاج تمدد الأربطة، فينبغي حينئذ استشارة أخصائي طب رياضي؛ لأن تمدد الأربطة يرفع خطر حدوث تآكل في المفصل.

وللوقاية من تمدد الأربطة، ينصح أخصائي الطب الرياضي الألماني بارتداء حذاء ذي مقاس مناسب، والحرص على إجراء عملية الإحماء على أكمل وجه لتجهيز العضلات بشكل سليم قبل ممارسة الرياضة، مع مراعاة تجنب الحركات الفجائية أثناء ممارسة الرياضة.

كما يعد تمزق أربطة مفصل الكاحل شائعا جدا، وهو إصابة مؤلمة تحدث في الوسط الرياضي والحياة اليومية أيضا.

وقال باتريك رايتسه -وهو متخصص في تقويم العظام- إن من بين المفاصل الأخرى التي تتعرض للتمزق الركبة والإبهام والمرفق.

ويمكن أن يحدث التمزق عقب الاصطدام كما هو الحال في الرياضات التي يحدث فيها احتكاك بين اللاعبين مثل كرة القدم، ولكن يحدث أيضا نتيجة سقوط عشوائي جراء التواء الكاحل خلال لعب الكرة الطائرة على سبيل المثال أو الانزلاق والسقوط على الأيدي والمرفقين. ويوصي باتريك -بعد تمزق الأربطة- بتوقف المصاب ليستريح المفصل، ووضع ثلج لتهدئة الالتواء ثم وضع رباط ضاغط على المفصل للتغلب على التورم، وفي النهاية دعم الساق أو الذراع المتضررة.

وتتوقف الحاجة إلى إجراء عملية أم لا على نوع الأربطة وما إذا كانت العظام قد تضررت أم بقيت سليمة.

ويقول إنجو توسك -كبير المسؤولين الطبيين للفريق الألماني في أولمبياد ريو- "أغلب تمزقات الأربطة التي تصيب الكاحل تشفى تلقائيًا، شريطة أن لا تكون الأربطة الداخلية قد تضررت".

وتعالج الإصابة التي تلحق بالأربطة الخارجية عادة من خلال التضميد بشريط لاصق طبي. ويضيف "لكن هذا لا يجدي نفعا مع الأربطة المتصلبة التي تشفى تلقائيًا في حالات نادرة".

وهذا يعني أن العملية الجراحية في الركبة والعلاج الطبيعي الذي يعقبها يأخذان وقتا أطول دون التدخل الجراحي.

ويقول ميشائيل برايبش -وهو معالج طبيعي- " ثم يجب تثبيت المفصل لفترة". وهذا يؤدي إلى ضمور العضلات، والوقت الكلي للعلاج هو ستة أشهر على الأقل.

وعلى العكس تشفى إصابات الكاحل سريعا نسبيا، لأن أربطة الكاحل تنمو معا وحدها، وعادة ما يستغرق الأمر ما بين ستة و12 أسبوعا.

ويجب أن يطلب المريض المساعدة من معالج طبيعي ينصح بتمارين تؤدى في المنزل. وهناك طرق للتقليل من الإصابة بتمزق الأربطة حيث ينصح توسك ورايتسه بالإحماء على نحو ملائم قبل أداء التمارين الرياضية أو الانخراط في لعبة رياضية.

الاحتجاجات السودانية تخفي صراعا بين جيلين

التداخل الثقافي والاجتماعي والديني أورث سلطة أبوية يرفضها شباب اليوم

خلف مطالب الشباب الاقتصادية والسياسية في الاحتجاجات الشعبية التي ما زالت مشتعلة في السودان، يكمن صراع كبير بين جيل اعتاد السيطرة والمسك بزمام الأمور وعدم الثقة بالشباب، وجيل جديد يعاصر التقنية والتطور العالمي في كل المجالات ويحاول إثبات جدارته وقدرته على التغيير وصناعة مستقبل أفضل.

التغيير قادم

الخرطوم- "عام 2019 سيكون عام الشباب بامتياز، والدولة ستنفذ فيه مشروعات طموحة لخلق مزيد من الاستقرار والتميز للشباب السوداني في شتى المجالات"، هذا الإعلان الذي أطلقه الرئيس السوداني المعزول عمر البشير، مطلع العام الحالي، جاء متأخرا جدا ليكلف البشير منصبه بعد ثلاثين عاما من تجاهل رغبات الشباب ومتطلباته، إضافة إلى المشكلات الأخرى التي تعم البلاد.

لا يمكن اختزال مشكلات الشباب في المجتمع السوداني بالطموحات السياسية والاحتجاج على القمع، حيث يظهر بوضوح أن هناك فجوة في العلاقة بين جيل الشباب والجيل الأكبر سنا. وهذه الفجوة تشمل شتى المجالات الفكرية، والثقافية، والاجتماعية والسياسية.

وحين أعرب الرئيس السوداني عن تفهمه لمشكلات الشباب، مُوجهًا بفتح مسارات لاستيعاب طاقات الشباب، والانفتاح على المكونات الشبابية ضرورة، لم يدرك مقدار انعدام الثقة لدى جيل اليوم بالطبقة السياسية التي يهيمن عليها كبار السن، حيث تمتع جيل الكبار في السودان بحياة مستقرة شغلوا فيها وظائف ثابتة، وعاصروا فترات ازدهرت فيها الخدمة المدنية والقطاع العام، بينما يعايش شباب الجيل الحالي أوضاعا غاية في السوء؛ من تدهور في الاقتصاد والتضخم، وارتفاع في نسب البطالة.

ويشير تقرير الأمم المتحدة الأخير للسكان إلى أن هناك حوالي 25 مليون سوداني في الفئة العمرية ما بين 24-0 سنة في بلد يبلغ تعداد سكانه نحو 43 مليون نسمة، ومن المتوقع أن يستمر هذا العدد في الارتفاع خلال السنوات القادمة.

ويعتقد أغلب الشباب أن هناك حالة تسيطر على قطاعات واسعة جدا من السودانيين، وهي أشبه ما يكون بوهم التفوق العمري، ما يجعلهم ينظرون إلى الأجيال الجديدة نظرة استعلاء.

> سلطة كبار السن راسخة في السودان، ومنها استمد نظام البشير سابقا، والمجلس العسكري اليوم، اقتناعه بأنه يجب أن يبقى الممسك بزمام الأمور

كما أن هناك استهانة بإمكانيات الشباب وطاقاتهم وما يمكن أن يحققوه على أي صعيد، وهذا ما أعطى دافعا أكبر للشباب من أجل الاستمرار في الاحتجاجات وإثبات الوجود والقدرة على التغيير. ويسود العلاقة بين الأجيال السودانية في بعض الأحيان نوع من العناد، نظرا إلى تداخل النواحي الثقافية والاجتماعية مع القيم الدينية، الأمر الذي رسخ سلطة كبار السن وأفكارهم وقناعاتهم التقليدية القديمة على الشباب، وهو أيضا ما غذى روح التمرد لدى الشباب ورغبته في التخلص من هذه السلطة.

ومع تطور التقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي، وتوسّع حدود المعرفة وفرص الاحتكاك والاطلاع على ثقافة المجتمعات الأخرى، اتضح حجم الاختلاف في المفاهيم والقيم الاجتماعية وفي طبيعة العادات والتقاليد السائدة التي يحاول الشباب تجاوزها بأدواته، كما ازدادت مساحة الاختلاف بينهما.

وترى الشابة مها عمر أن الصراع بين الأجيال في السودان قائم على خلاف في الرؤية والتصورات، إذ لم يعد الجيل الجديد مقتنعا بأفكار عفا عليها الزمن ولم تعد تلائم العصر، ولا تتفق مع المتغيرات الجديدة والمستجدات التي تطرأ على حياة الناس.

وأضافت في صفحتها على فيسبوك، أن سلطة كبار السن راسخة في السودان، ومنها استمد نظام البشير سابقا، والمجلس العسكري اليوم، اقتناعه بأنه يجب أن يبقى الممسك بزمام الأمور وبأحقيته الكاملة في السلطة، والإصرار على عدم إعطاء الشباب الثقة أو الإيمان بقدراته.

أسلوب جديد في التعبير

ومن اللافت أن الشباب السوداني فرض أسلوبه في التعبير عن رأيه، وتنوعت أساليبه الاحتجاجية من التظاهرات التقليدية إلى أشكال أخرى مثل الوقفات الاحتجاجية التي نظّمها مهنيون من كوادر طبية ومهندسين ومعلمين وموظفي مصارف وإعلاميين وعمال شركات في القطاع الخاص.

وانتقلت الانتفاضة وشعاراتها إلى المناسبات الخاصة وقاعات الأفراح، إذ تحولت العديد من حفلات الزفاف إلى مظاهرات ردد فيها المدعوون عبارات مثل "تسقط بس" و"حرية سلام وعدالة.. الثورة خيار الشعب"، وحتى أولئك الذين لم يتمكنوا من المشاركة في المظاهرات، وجدوا طريقة للتضامن مع الحراك السلمي بطريقتهم الخاصة، خاصة الفتيات اللاتي منعتهن عائلاتهن من الخروج إلى الشوارع، فلجأن إلى كتابة منشورات أعلن فيها تضامنهن مع المعتقلين والثوار من داخل البيت ونشرنها عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ويعاني السودان من ضعف البنية التحتية والخدمات وتقلص فرص العمل والتشغيل، ما أدى إلى تفاقم مخاوف الشباب من إمكانية إيجاد مستقبل أفضل له. فالمشكلات الاقتصادية التي هزت البلاد استمرت في التفاقم لأكثر من ثلاثة أعوام. كما أن الحكومة أظهرت فشلا ذريعا في إدارة بعض السلع والخدمات.

ويعود عجز الدولة في الإدارة إلى أنها اختزلت مفهومها في وظائف إدارية محدودة؛ الأمر الذي جعل من الشعب -وبالأخص الشباب- معتمدا على الدولة في الكثير من مناحي الحياة. فالجيل الجديد ورث الاعتماد على الدولة في توفير السلع الرخيصة والوظائف وفرص التعليم.

المشاركة السياسية

ويؤكد اختصاصيو الاجتماع أنه كلما زاد اعتماد الشباب على الدولة، زادت احتمالية احتجاجه عليها حينما تقصّر في مسؤوليتها المفترضة تجاهه.

ويقول صبري محمد خليل أستاذ الفلسفة بجامعة الخرطوم في إحدى مقالاته، إن السلبية والانعزال عن حركة المجتمع جزء من العديد من المظاهر الفكرية والسلوكية السلبية التي مصدرها تخلف النمو الحضاري في المجتمع السوداني.

ويضيف أن تحقيق مشاركة الشباب في الحياة العامة لا يمكن أن يتم دون إلغاء هذه المظاهر السلوكية والفكرية السلبية بإلغاء سببها (تخلف النمو الحضاري)، وتأكيد وتطوير القيم الحضارية للمجتمع السوداني ومنها قيمة المشاركة.

وأشار إلى أن "العمل السياسي هو المظهر الأساسي لمشاركة الشباب بشكل مباشر في الحياة العامة، غير أن هناك العديد من المشكلات التي تحول دون مشاركة الشباب طبقا لهذا البعد، أهم هذه المشكلات مشكلة التخلف الديمقراطي التي تمثل البعد السياسي لمشكلة التخلف الحضاري، وتتمثل في: انعدام أو ضعف التقاليد الديمقراطية، وحل هذه المشكلة يكون بمساهمة الجميع في حل مشكلة التخلف الديمقراطي عبر تشجيع الممارسة الديمقراطية على أوسع نطاق. وأن تكون وسائل ممارسة الديمقراطية إحدى الخدمات التي تقدمها الدولة".

غير أن آراء الشباب تركز بالدرجة الأولى على الوضع الاقتصادي، ففئة الشباب هي الأكثر تضررا من ظروف السودان الصعبة. ويقول محمد سليمان إن الظروف اضطرته إلى العمل سائق "توك توك" لتلبية احتياجات أسرته في ظل وضع اقتصادي عصيب.

ويتشبث سليمان بالأمل، وتغيير الوضع الاقتصادي هو دافعه الأساسي للمشاركة في الاحتجاجات، ويرفع شعار "حرية عدالة سلام"، لكنه عاطل عن العمل منذ عامين، ويحلم بأن يسهم التغيير المنتظر في تحقيق ما يصبو إليه.

الكفاءات لا مكان لها

حين تخرج محمد من الجامعة بدأ رحلة طويلة بحثا عن العمل، لكن الطريق لم ينته بعد، ويقول إن "الاحتجاجات الحالية هي المخرج الوحيد. ترعرعت في كنف هذا النظام، وعلى غرار كثيرين من أبناء جيلي، ما زلت عاطلا عن العمل، معيار التوظيف أصبح الولاء... الكفاءات لا مكان لها مع هذا النظام".

ويضيف "أفكار ملهمة من شباب واع عمد عبر الشارع ووسائل التواصل إلى ترميم ما أفسده النظام الحاكم على مدار عقود".

وكان وزير التعاون الدولي السوداني السابق إدريس سليمان قد صرح بأن نسبة البطالة في السودان بلغت العام الماضي 20 في المئة (5 ملايين شاب عاطلون عن العمل) ونسبة الفقر 36 في المئة، أما نسبة التضخم فقد تجاوزت بنهاية العام الماضي 70 في المئة، حسب الجهاز المركزي للإحصاء.

ويأمل الشباب السوداني أن تقود الاحتجاجات إلى تغيير سياسي يمنحه فرصا لحياة أفضل في المستقبل، لذلك انضم الكثيرون إلى تجمع المهنيين السودانيين، ويحذرون من تزايد الشائعات والأخبار الكاذبة مؤخرا بهدف إنهاء حراكهم.

ويطرح الشباب مطالبه على مواقع التواصل الاجتماعي ومن خلال لافتات يحملها في ميدان الاعتصام بالقيادة العامة.

ويكرر الشبان والشابات في السودان أن ثورتهم هي "ثورة جيل وأنهم أكثر من يطالبون بالتغيير"، و"القيادة فن لا تسطرها رسالة الدكتوراه" على حد تعبير إحدى الناشطات في إشارة إلى الجيل الأكبر سنا من حملة الدكتوراه.

ثورة جيل

نحو فرص أفضل للحياة

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

«بيت الطاعة» سيف مسلط على رقبة المرأة بادعاء لمّ الشمل

سيدات يفقدن القدرة على تقرير مصائرهن بمباركة قانونية

الأوساط النسائية في مصر تترقب بعض التشريعات الخاصة برفع التمييز ضد المرأة من بينهـا المطالبة بإلغاء قانون "بيت الطاعة" الذي جرى تطبيقه منذ تسـعين عاما، ولا يزال بموجبـه الرجل يجبر ويجرد الزوجة من حقها في تقرير مصيرها، وتصفه الكثيرات بالسـجن لأنه يسـلب المرأة إرادتها وحريتها لصالح الرجل.

بيت الطاعة أحيانا غرفة بأحد المدافن

شيرين الديدامونى
صحافية مصرية

يجعلها أمام خيارين كلاهما مر، إما الخلع والجوع بسبب العوز المادي، أو السجن داخل "بيت الطاعة".

القاهرة – **يظل قانون "بيت الطاعة" مثل سحابة سوداء تمنع رؤية الكثير من الحقوق التي حصلت عليها مصريات في العقود الأخيرة وأبرزها حق الخلع، وتفاعلت مؤخرا المنظمات الحقوقية المدافعة عن المرأة عندما بدأ مجلس النواب المصري مناقشة مشروع قانون جديد اقترحه المجلس القومي للمرأة، وأعدت اللجنة التشريعية بالمجلس بنوده التي تلخص أبرزها في إلغاء مسألة إنذار الطاعة كآلية إجرائية لإثبات نشوز الزوجة، وصولا إلى وقف نفقة الزوجية.**

كان التفاؤل حذرا بعدما ظهرت أصوات تعترض على إلغاء إنذار الطاعة، تحت ادعاءات أنه مجحف للأزواج وينحاز إلى المرأة التي ترفض العودة إلى بيت الزوجية، وأن القانون يهدف إلى حل الخلافات وإصلاح العلاقة الزوجية ولَمّ الشمل.

وتستند دعوات إلغاء إنذار الطاعة إلى تجارب دول عربية شرعت في إلغاء هذا القانون، وقام اليمن بإلغاء مادتين مثيرتين للجدل في مشروع قانون المرافعات من شأنهما جلب الزوجات إلى "بيت الطاعة" بالقوة، حال مغادرة منزل الزوجية بسبب استحالة العشرة بين الزوجين وإلا تعرضن للحبس أو إسقاط النفقة، بعد أن أثارت المادتان جدلا في أوساط مدافعات عن حقوق المرأة.

وقبل ذلك ألغت السعودية ما يعرف بـ"بيت الطاعة" حفاظا على كرامة المرأة، وأوقفت العام الماضي العمل بأحكام تجبر الزوجة على العودة إلى منزل زوجها.

وما زال "بيت الطاعة" جاثما على صدور النساء في عدد من البلدان العربية، تحت مسميات مختلفة، ففي العراق يُطلق عليه "دعوى المطاوعة"، وفي لبنان يعرف باسم "قانون الإطاعة"، حيث تطبق المحاكم الشرعية السُنّية أحكام قانون حقوق العائلة العثماني الصادر عام 1917، فتحضر الزوجة أمام القاضي وفي حال عدم وجود أسباب تمنعها من العودة، أو تغيبها عن الحضور، تعتبر ناشزا وتُحرم من حقوقها.

وفي الأردن يعرف باسم "بيت الطاعة"، كما هو الحال في مصر، ولا تزال الآلاف من السيدات يتعرضن للاعتداء والإهانة تحت هذا الغطاء القانوني الذي يستخدمه بعض الأزواج ضد المرأة، ورغم معاناة النساء إلا أن المدافعين يبررون موقفهم بأن المرأة لديها قانون "الخلع".

وتشير حقوقيات في مجال المرأة إلى أن قانون الخلع جرى إقراره في مصر عام 2001، وبالفعل أعطى للمرأة حق تقرير المصير واللجوء إلى المحكمة لتطليقها طواعية من زوج ترفض معاشرته.

ونجح الحشد النسائي في أن يُبقي القانون على وضعيّته، من منطلق أنه إحدى أدوات تحرير المرأة من "عبودية الزوج"، إذا فقدت الأمل في استكمال الحياة معه.

لكن يؤخذ على القانون، كما تقول جمعيات مدافعة عن حقوق المرأة، أنه من الصعب على النساء اللائي لا يملكن دخلا خاصا بهن الاستفادة منه، لأن القانون أقر بتنازل الزوجة عن كامل حقوقها للحصول على الخلع، ما يجعلها أمام خيارين كلاهما مر، إما الخلع والجوع بسبب العوز المادي، أو السجن داخل "بيت الطاعة".

حب بالإكراه

من أبرز ما كتب عن "بيت الطاعة" ما ذكره القاضي والكاتب المصري أحمد أمين، عام 1950 في كتابه "حياتي"، حيث قال "ظللت في القضاء أربع سنين، أحكم بالطاعة وأنا لا أستسيغها ولا أتصورها، كيف تؤخذ المرأة من بيتها بالبوليس وتوضع في بيت الزوج بالبوليس كذلك؟ وكيف تكون هذه حياة زوجية؟ إني أفهم قوة البوليس في تنفيذ الأمور المادية، كرد قطعة أرض إلى صاحبها، ووضع محكوم عليه في السجن، وتنفيذ حكم بالإعدام ونحو ذلك من الأمور المالية والجنائية. أما تنفيذ المعيشة الزوجية بالبوليس فلم أفهمه مطلقا إلا إذا فهمت حبا بإكراه، أو مودة بالسيف".

تحولت دعاوى إنذار الطاعة إلى ورقة إرهاب يستخدمها الزوج ضد المرأة لإثنائها عن دعاوى الطلاق والخلع والنفقة التي تقيمها ضده، وكي يتمكن من إطالة المدة الزمنية للدعاوى في محاكم الأسرة.

وكشفت حملة "أريد حلا" في مصر، امتلاكها أمثلةً صارخة لسوء استخدام الزوج حق الطاعة للانتقام من الزوجة وتعذيبها وابتزازها، منها حالة لزوج أجبر زوجته على تنفيذ حكم الطاعة في مخزن ورشته، وزوجة ثانية فوجئت بأن "بيت الطاعة" عبارة عن غرفة بأحد المدافن، وأخرى في صراع أمام محكمة الأسرة ضد تعسف زوجها، الذي أقام دعوى إنذار بالطاعة ضدها ست مرات، وأخريات وصلن إلى مرحلة النشوز لإخفاء الزوج مقر مراسلة الزوجة حتى يحرمها من حقوقها المادية.

رصدت "العرب" جانبا من الحالات أمام محاكم الأسرة، حيث وصل عدد تلك الدعاوى إلى 62 ألف دعوى بحسب آخر إحصاء عام 2014، وترتب عليها حرمان 22 ألف سيدة من حقهن في النفقة الشهرية، بسبب نشوزهن.

مرّت سيدات بتجارب قاسية مع "بيت الطاعة" عندما أجبرن على العيش تحت سقف واحد مع أزواجهن رغم استحالة العشرة بينهم، وبعضهن ساقتهن تلك الإقامة الجبرية وعنف الأزواج، ليقبعن خلف القضبان، وأخريات خرجن من ذاك البيت بعاهات مستديمة.

أمام محكمة الأسرة بمنطقة الخليفة في القاهرة، وقفت نورا، الشابة العشرينية، مأزومة بعد صدور حكم يلزمها الذهاب برفقة زوجها إلى "بيت الطاعة"، ما سيضطرها إلى العيش برفقته مرة أخرى والخضوع لعنفه، بعدما خسرت الاعتراض والاستئناف، وستنفذ الحكم خوفا من النشوز وضياع حقوقها وطفليها بعد تهديد الزوج بوقف نفقتها.

قالت نورا لـ"العرب" "كنت أعتقد أن إنذار الطاعة يحمل في طياته الرومانسية التي تجلت في فيلم المخرج المصري عاطف الطيب الذي يحمل نفس الاسم، بعد أن استغل إبراهيم (محمود حميدة) علاقته الجنسية بأمينة، وجسدت دورها الفنانة ليلى علوي، لتكون وسيلة لإثبات زواجه بها أمام المحكمة، كي يمنع زواجها من صلاح الذي وافقت عليه، خوفا من أسرتها، وحتى يكون ذلك سبيله لطلبها في 'بيت الطاعة'، ليحتفظ بها لنفسه وتأتي النهاية لصالح انتصار الحب الذي جمعهما ويتحقق حلم الزواج رغما عن الأم".

تبكي الشابة بحرقة، مضيفة أنها علمت بعد الزواج أن إنذارها بالطاعة أكبر دليل على أن جسدها ليس ملكا لها ومستقبلها لا حق لها فيه، صارخة بهستيريا "أعلم أن جسدي سيتعرض للضرب وسيظل زوجي يعذبني انتقاما ولن يتركني إلا جثة هامدة".

لعنة مجتمعية

تشعر ناهد بأنها صارت ملعونة جراء الحكم بنشوزها بعدما استحالت العشرة مع زوجها وطلبت منه الانفصال بهدوء دون مشاكل، لكنه رفض وفشلت جميع المحاولات الودية في إنهاء الأمر.

وأكدت السيدة المكلومة لـ"العرب" أنها لجأت إلى رفع دعوى خلع، لكن الزوج سبقها بإقامة دعوى طاعة، واكتشفت تزويره لمحل السكن، فلم يصل إليها إخطار بالدعوى، وبالتالي لم تنفذ الحكم، وباتت ناشزا بسبب مرور 30 يوما دون تنفيذها الحكم والعودة إلى زوجها.

وتشير إلى أن كلمة ناشز لا تختلف كثيرا عن إنذار الطاعة، وكلاهما يجعلان المرأة في حالة إحباط متواصل، بسبب وضعها تحت ضغط نفسي وعصبي رهيب.

دفعت تلك المآسي بقانون "بيت الطاعة" إلى طاولة النقاشات الاجتماعية في مصر ومهدت الطريق لهبات ومبادرات نسائية حول حق المرأة في الانفصال عن الزوج وكسر الحواجز السياسية والمجتمعية والثقافية التي تقف حائلا دون الاستقلال بجسدها.

ولم تسفر المبادرات سوى عن تعديل القانون رقم 44 لعام 1979، وإيقاف حق القاضي في إعادة الزوجة إلى زوجها بالقوة عبر الاستعانة بالشرطة، وتم إقرار هذا القانون ضمن جملة من القرارات تبنتها جيهان السادات قرينة الرئيس المصري الراحل أنور السادات، نهاية سبعينات القرن الماضي، لإنصاف المرأة، وقوبلت وقتها باستنكار واسع من الرأي العام.

وتشرح انتصار السعيد، المحامية الحقوقية، أن "بيت الطاعة" منقول نصا عن القانون الروماني، وأقر لتنظيم ما أطلق عليه "الزواج التوافقي"، المعروف بالعرفي الآن؛ فكانت من حقها العودة إلى بيت أبيها وليس لزوجها أي سلطة عليها، لذلك ابتدع الحاكم القضائي دعوى تمكن الزوج من استرداد زوجته من بيت ذويها بالقوة الجبرية، وكانت تسمى دعوى استرداد، وهي الدعوى التي نقلتها مجموعة القائد الفرنسي نابليون بونابرت، وأطلق عليها "إدخال الزوجة منزل زوجها بالقوة الجبرية"، ونقلت من القانون الفرنسي إلى المحاكم الشرعية في مصر.

وأضافت السعيد لـ"العرب" أن أغلب الرجال يلجأون إلى دعوى النشوز للهرب من دفع التكاليف المالية المترتبة على الطلاق مثل النفقة، لأن هذه الدعوى في حالة الحكم فيها تسقط عن الرجل دفع نفقة زوجته.

في بادئ الأمر يتم توجيه إنذار طاعة للزوجة، ومن حقها أن ترفضه خلال 30 يوما، وفي حالة عدم رد الزوجة يكون من حق الزوج رفع دعوى نشوز، وما يحدث غير ذلك، ويتحايل الأزواج ويوجهون إنذار الطاعة على عنوان خاطئ فلا تستلمه المرأة كي لا تعترض عليه.

ورحبت هدى بدران، رئيس الاتحاد النوعي لنساء مصر (جهة غير رسمية)، بإلغاء إنذار الطاعة في قانون الأحوال الشخصية الجديد باعتباره في صالح المرأة، ولا توجد علاقة زوجية تقوم على الطاعة والإجبار، بل تقوم العلاقة الزوجية على المودة والمحبة والرحمة والمعاملة الحسنة بين الزوجين. وأضافت بدران أن فلسفة القانون تبنى على روح القانون وتحقيقه، وقيام العلاقة الزوجية على أن إنفاق الزوج يكون مقابل طاعة الزوجة يتنافى مع كرامة المرأة وينتقص منها ويعيدها إلى عصر "الجواري"، فكيف يتم إجبارها على حياة لا تطيقها فقط من أجل الإنفاق؟

وأوضح علي جمعة، مفتي مصر السابق، أن الإسلام يرفض كل أشكال الإجبار في الحياة الزوجية، ومنها إجبار الزوجة على البقاء مع زوجها عن طريق "بيت الطاعة" الذي لم يرد فيه نص في القرآن أو السنة، خاصة إذا كان بصورته السيئة التي فيها إساءة إلى الزوجة بما يخالف الأمر الإلهي بالمعاشرة بالمعروف أو التفريق بإحسان.

أجساد متمردة

أشارت آمنة نصير، أستاذة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، إلى أن دعاوى الطاعة لا تتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية، "لا إكراه في الدين" فكيف يمكن أن تقوم العلاقة الزوجية على إكراه المرأة بالاستمرار في علاقة زوجية لا ترضاها؟

ولفتت نصير في حديثها مع "العرب" إلى أن دعوى الطاعة تحولت إلى وسيلة للإضرار بالزوجة من جانب بعض الأزواج ومساومتها على التنازل عن حقوقها لنيل الطلاق، لذلك تضطر بعض الزوجات كرها إلى الاستمرار في العلاقة كي لا يتم طردهن إلى الشارع وحرمانهن من مصدر دخلهن الوحيد، وأن دعوى الطاعة تعد بمثابة فرض وصاية على المرأة ويتم التعامل معها باعتبارها ليست أهلا لتقرير مصيرها بنفسها.

ولم يكن مفاجئا أن يظهر رفض ذكوري لإلغاء "بيت الطاعة" فدائما تلقى طلبات المرأة حججا واهية، فإذا طلبت الزوجة العصمة بيدها تُعتبر قد خرجت عن الأصول، وإذا طلبت الطلاق بالمعروف تواجه عنادا وظلما وعنفا، وإن تمردت يكنْ العقاب "بيت الطاعة".

لم تمنع المآسي التي تشهدها محاكم الأسرة بسببه ورأي رجال الدين وترحيب المنظمات الحقوقية، بعض القانونيين من السعي إلى عرقلة تشريع القانون لإلغاء "بيت الطاعة" تحت ادعاء أنه مجحف بالأزواج وينحاز إلى المرأة التي ترفض العودة إلى بيت الزوجية، وزعموا أنه فرصة لحل الخلافات وإصلاح العلاقة الزوجية، وأن المنظمات النسائية تزيف الواقع وتنصف السيدات.

وانتقد فقهاء قول البعض بأن "الطاعة بها نوع من العبودية"، وتساءلوا كيف للزوج أن يثبت نشوز زوجته لمباشرة حقه الشرعي عليها؟ وطالب آخرون بأنه في حالة إلغاء قانون "بيت الطاعة" يجب وضع بديل يحفظ حقوق الأزواج من حصول الزوجات على نفقات غير مستحقة رغم هروبهن من منزل الزوجية.

وتقول ناشطات في حقوق المرأة، ليس كل امرأة ملاكا بأجنحة، لكن أيضا أغلبية الرجال يتمسكون بقانون "بيت الطاعة" دون وجه حق، والرجل يعتبر نفسه وصيا على جسد المرأة وفكرة فقدانه لتلك الميزة تجعله يدخل في معارك للبقاء على مميزاته التي اكتسبها على مدار العقود الماضية، بعدما تجذرت في العقلية الذكورية تصورات بعدم استطاعة أجساد النساء التمرد على الحدود التي تم رسمها سلفا.

انتصار السعيد

بيت الطاعة قانون روماني نقل بفعل فرنسي إلى مصر تدخل بموجبه زوجات مصريات سجنا مفاتيحه ذكورية

آمنة نصير

«لا إكراه في الدين»، فكيف يمكن أن تقوم العلاقة الزوجية على إكراه المرأة بالاستمرار في علاقة لا ترضاها

واهتزت تلك التصورات بعد خروج النساء بالآلاف حرفيا ومجازيا إلى المحاكم مطالبات بحقوقهن، واستشعر الأزواج الخطر، وأن رجولتهم مهددة لوجود أجساد النساء بعيدا عن سيطرتهم.

وتساءلت كثيرات عن الاستفادة التي يتحصل عليها الرجل عندما يعيش مع زوجة مسلوبة الإرادة ومقهورة، وهل يدرك عند تمسكه بقانون "بيت الطاعة" أنه يجبر المرأة على الانحراف ومن الممكن تحول إحساسها بالظلم إلى كراهية رغبة في الانتقام وربما يدفع ذلك بعضهن إلى الانجرار خلف علاقات عاطفية تعوضهن عن مرارة الحكم بـ"بيت الطاعة"؟

المرأة تضطر مكرهة لتنفيذ الحكم بعد أن تخسر المعركة القضائية خوفا من النشوز وضياع حقوقها وأطفالها بعد تهديد الزوج بوقف نفقتها

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

التفاوض مع الأطفال مهمة يدرك صعوبتها الآباء

المشاركة في صنع القرار تشعر الطفل بالاستقلالية وبأنه ليس مجبرا على الطاعة

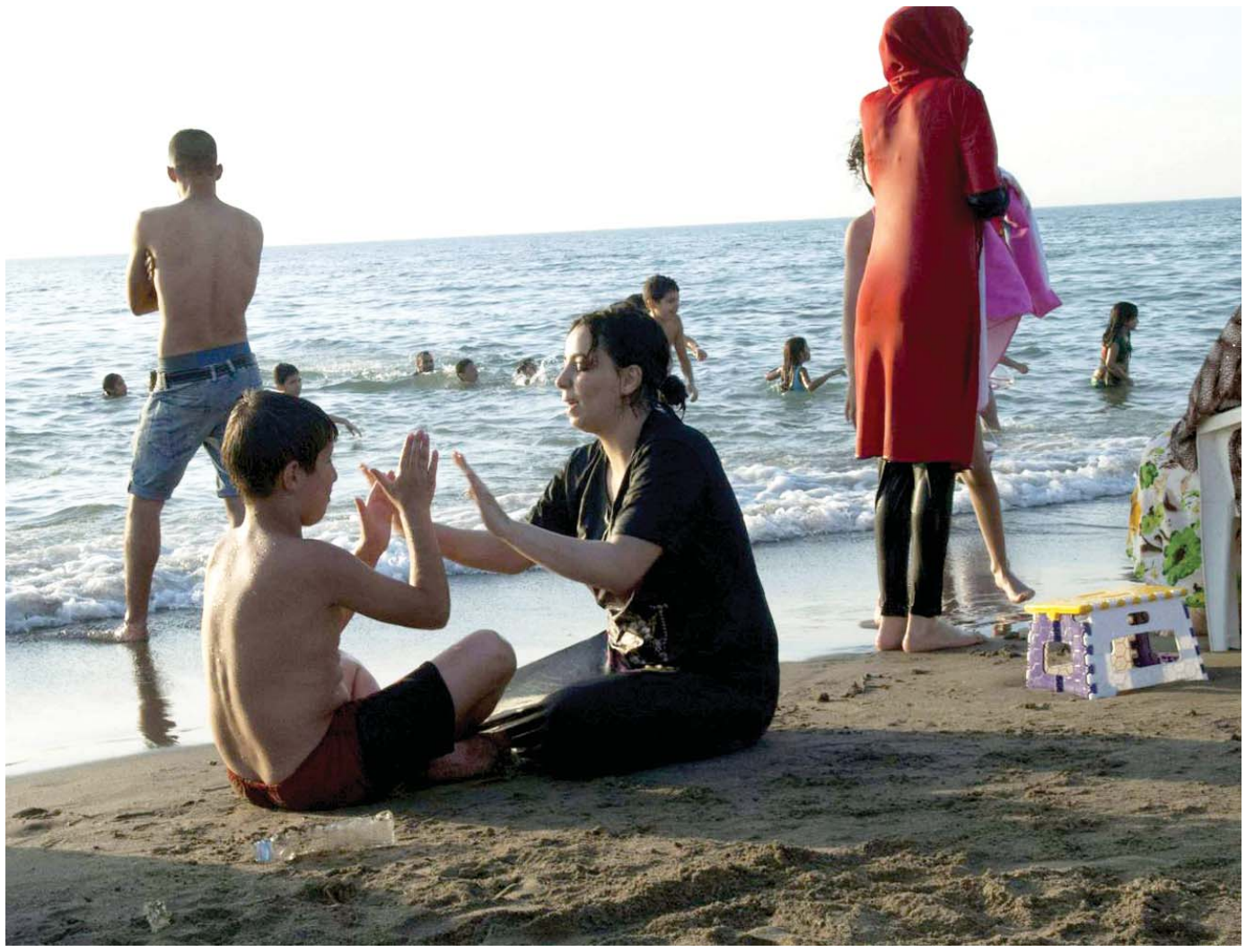

اللعب يسهل المفاوضات

يعد التفاوض مع الأطفال من أصعب المهام التي يجب على الآباء خوضها لإقناعهم من خلال الحوار وتجنب شتى أنواع العنف، وتكمن الصعوبة في أن الطرف المقابل لا يهتم بالمنطق ولا يعتمده أداة للفهم والتحليل. ويقترح العديد من المختصين في التربية حيلا ذكية تساعد الوالدين والمربين في خوض هذه المهمة الصعبة والوصول إلى الهدف المنشود وهو إقناع الطفل دون ممارسة الضغط عليه.

واشنطن - يجد الكثير من الناس أنفسهم جالسين على الطاولة مع طرف لا يمكنهم التخلي عنه أو استبداله: طفلهم. ويرى الآباء أنفسهم في هذا الوضع وكأنهم يبحثون عن استراتيجية ملائمة للرد على شخص لا يتبع منطقا في كلامه.

ويقترح الأستاذ الجامعي في كلية هارفارد للأعمال مايكل ويلر، مؤلف كتاب "فن التفاوض: كيف تجترح اتفاقا في عالم مفعم بالفوضى"، الذي يعتبر أنه يتمتع ببعض الخبرة مع الأطفال كطرف في التفاوض لأنه أب وجد، البدء بهيكلة الخيارات قبل تقديمها للأطفال، وطرح مثال موقف يرفض فيه الطفل مغادرة المنزل، قائلا إنه بدلا من محاولة إقناع الطفل بالدخول إلى السيارة، يمكن أن يقول الوالد "لقد حان وقت المغادرة. عندما نصل إلى هناك، أخبرني عمّا تريد القيام به، ويمكننا أن نفعل ذلك بعد خمس دقائق".

وتختلف طبيعة الإغراء من طفل إلى آخر، لكن المفتاح يكمن في السماح له بأن يشعر بالقدرة على المساهمة في اتخاذ القرار. بهذه الطريقة، يؤكد ويلر في حديث لمجلة ذي أتلانتك الأميركية "إنهم لا يشعرون كما لو أنهم تعرضوا للتنمر".

ويمكن اللجوء إلى المفاوضة المباشرة. كأن تقول لطفلك "سأعطيك هذا إذا فعلت ذلك". يمكن أن تكون هذه الطريقة مفيدة في التفاوض، لكن لا يجب الإفراط فيها. ويشير ويلر إلى وجوب الحذر من هذا النوع من المفاوضات بصفتك أحد الوالدين. إذ يمكن أن تنشئ عن غير قصد حافزا على السلوك الذي تريد ردعه.

من جانبها أكدت المؤلفة ويندي توماس راسل هذه الفكرة، وقالت "تعلم المفاوضة بهذه الطريقة الأطفال التعاون عندما يكون هناك شيء يمكن اكتسابه في المقابل، بدلا من فهم ضرورة إيجاد حلول مناسبة للجميع".

واقترحت راسل تعديلا بسيطا على اقتراح ويلر، مشيرة إلى إمكانية طرح خيارات لتغيير ما يحدث أثناء النشاط المعني، بدلا ممّا يتبعه. واقترحت هذه المفاوضة في حالة رفض الطفل ركوب السيارة "حان الوقت للذهاب. هل تريد أن أحملك إلى السيارة أو أن نتسابق إليها؟"، وإذا رفض الطفل ارتداء ملابسه، يمكن أن يسأله أحد الوالدين عمّا إذا كان يريد اختيار ملابسه بنفسه.

وبغض النظر عن تفاصيل التفاوض، ينصح ويلر بأن يفكر الآباء والأمهات في العملية موضحا أن الأطراف المتفاوضة عادة ما تطرح التفاصيل أكثر من مرة، مباشرة أو ضمنيا، في إشارات كلامية أو مادية. قائلا "تجب مناقشة تفاصيل التفاوض بشكل أكثر وضوحا".

على سبيل المثال، عندما يرفض الطفل القيام بشيء ما، يرى ويلر أنه من الأفضل إجراء محادثة شاملة بدلا من التعامل مع الرفض.

وذكر زميلا له في هارفارد، ديباك مالهوترا، قد استخلص من تجربته في خوض مفاوضات سلام أنه إذا سألت الناس "هل تقصدون هذا فعلا؟"، فسيجبون بنعم. وهو ما ينطبق على الطفل الذي سيصبح أكثر عنادا وإصرارا على رفضه إذا ما قفزت إليه.

وبدلا من ذلك، يقترح ويلر ردا مثل "ربما تشعر بهذا الآن، ولكن دعنا نتحدث عمّا قمنا به معا". ويمكن أن يتبع ذلك بعض التقدم في المفاوضات المبنية على خلاصة الاتفاقات السابقة الناجحة.

> **جزء مهم من المفاوضات يكمن في إبراز التعاطف مع مشاعر الأطفال، دون اتفاق أو خلاف أو محاولة تطبيق المنطق، بالهدوء يمكن للأطفال التفاوض بعقلانية**

كما يقترح اتباع تقنيات أثبتت نجاعتها في أسر أخرى، أو العمل على منوال نجاحات سابقة.

وتوصي راسل بتقييم أسباب عدم التزام الطفل. وطرحت قائمة من الاحتمالات فقد يرفض الطلب لأنه غير معقول، فلا يمكن مثلا توقع أن يقبل الأطفال الذين لا يتجاوز سنهم العامين مشاركة ألعابهم، أو لأنك لم تنجح في تلبية احتياجاته العاطفية بالكامل "الاهتمام، أو الاتصال، أو اللعب"، أو لأنه في سن يشعر خلالها برغبة في التأكيد على ما يريده "فالأطفال في عمر أربع سنوات يخوضون صراعات على سلطة اتخاذ القرار".

وبينت راسل أن الأطفال يقدمون أحيانا شكاوى مشروعة بسبب التوقعات التي يفرضها آباؤهم عليهم. وفي تلك الحالات، يصبح التفاوض على اتفاق مشترك الورقة الرابحة. وقالت إن جزءا مهمّا من تلك المفاوضات يكمن في إبراز التعاطف مع مشاعر الأطفال، دون اتفاق أو خلاف أو محاولة تطبيق المنطق أو رفع روحهم المعنوية. وأضافت "بالهدوء، يمكن للأطفال التفاوض بعقلانية".

ومن المرجح أن تساعد المشاركة في صنع القرار الأطفال على أن يصبحوا مستقلين، بدلا من مجرد أفراد يطيعون دون مجال للمناقشة. وقالت شارنا أولفمان، أستاذة مختصة في علم النفس في جامعة بوينت بارك في بيتسبرغ "يمكن أن يقرر الأطفال الصغار ما إذا كانوا سيتناولون الإجاص أم التفاح. ويعتبر الطفل في المرحلة الابتدائية مستعدا للمشاركة في اختيار الأنشطة غير الدراسية".

وبمجرد أن يستطيع الأطفال الاستماع والتحدث، يستفيدون من سماع الأساس المنطقي في ما يراه آباؤهم مهما. تفسر أولفمان "إذا قال الآباء اغسلوا أسنانكم وسأل الأطفال لماذا؟ يرسل الجواب لأنني قلت هذا رسالة بأنه طلب تعسفيّ يتوقع الطاعة". وعندما يتعلق الأمر بالوصول إلى النتائج المرجوة، يقول ويلر إنه يفضّل التفاوض مع شخص لديه "نظرة شاملة عن اهتماماته" ويمتلك "درجة عالية من الوعي بذاته". لكن، لا يمتلك الأطفال هذا الجانب.

وأشار ويلر من جهة أخرى إلى أن الأطفال أذكياء حتى وهم في مرحلة ما قبل الكلام. لكنهم لا يفهمون الكثير من الأمور وقد لا يكون الأطفال شركاء تفاوض مثاليين. لكن الكثير من البالغين ليسوا كذلك أيضا.

نصائح

الطهي في إناء واحد يوفر الجهد والوقت

تتطلب بعض وصفات الطهي استخدام الكثير من القدور والأواني والأطباق لإعداد وجبة واحدة إلى درجة أنه يبدو أن مؤلف الوصفة يعتقد أن لديك طاقما كاملا معنيا بتنظيف المطبخ. ما الحل؟

يوضح كريستوف لوبنيج الطاهي في مطعم وحانة "آنا" في مدينة ميونيخ جنوب ألمانيا "يتم إعداد الطبق في إناء واحد، وليس جزءا بعد الآخر ولكن كله في نفس الوقت".

وتقول الألمانية شتيفي زينتسينيش التي لديها مدونة طعام إن الإناء الذي نحن بصدده يمكن أن يكون مقلاة أو لوح خبز، أو أي شيء "يمكن استخدامه في إعداد سريع لمجموعة من الأطباق". وفي ظل وجود عدد أقل من الأطباق التي تتطلب غسلها، فإنها وسيلة مثالية لتوفير الوقت لغير المتزوجين والعائلات على حد سواء، وكذلك لأي شخص لديه مساحة مطبخ محدودة.

فكرة استخدام إناء واحد لكل شيء ليست جديدة، ففي الأساس هذا هو مفهوم الشوربة أو وجبات الصواني.

وفي ما يتعلق بالمكونات، هناك الكثير من الإمكانيات، فعلى سبيل المثال تستخدم زينتسينيش الشعيرية (نودلز) أو الأرز أو البطاطس كأساس ثم توسع هذا بإضافة بعض الخضروات الطازجة أو المجمدة المطهية في مرقة خضار. وتضيف "ثم أضيف بعض الحليب والطماطم المقطعة أو الجبن الكريمي".

ويمكن أيضا إضافة لحم أو سمك. وتقول لوبنيج "هناك إمكانية أخرى وهي بتشريح البصل واللحم أولا في قاع الإناء ثم إضافة الخضروات". الاحتمالات حقا لا نهاية لها، وتنصح زينتسينيش باستخدام أوان غير قابلة للصق خصوصا للحوم.

وعادة ما تحتاج الشعيرية والبطاطس وبالأخص الأرز وقتا أطول من الخضروات لتكون جاهزة، إذن كيف يتواءم هذا مع حركة الإناء الواحد؟ يمكنك إما إضافة الأشياء على مراحل أو اختيار أساس يحتاج إلى مدة طهي أسرع. وعلى سبيل المثال، تستخدم زينتسينيش شعيرية أصغر تحتاج إلى فترة طهي سريعة. كما أن المكرونة الإسباغيتي واللنجويني والروتيني تنضج بسرعة.

الهوس بالمشاهير

نهى الصراف
كاتبة عراقية

التطرف في المشاعر، سمة طالما ارتبطت بجمهور الفنانين في مراحل زمنية مختلفة. يتذكر الجمهور العربي صورة لرجل اقتحم، قبل عقود، حدود مسرح كانت تقف عليه المطربة أم كلثوم تغني إحدى وصلاتها الغنائية. أصرّ الرجل على تقبيل حذاء الفنانة المصرية وسط دهشة الجميع، وعندما حاولت منعه تعثرت وكانت علامات الحرج بادية عليها.

يلجأ بعض مشاهير هوليوود إلى حيلة التنكر بملابس ونظارات تخفي شخصياتهم الحقيقية، عندما يرغبون في التجوال بالشارع مثل الأشخاص العاديين، بعضهم يحيط نفسه بحلقة من مساعدين أو رجال أمن لمنع الفضوليين من جمهور الشارع من اقتحام خصوصيتهم.. بعضهم لا ينجح في ذلك، فيمنح الآخرين الفرصة كي ينغصوا عليه حياته وهذه هي ضريبة الشهرة.

هذه الأيام، ينصب هوس المراهقات، تحديدا، بأداء فرقة موسيقية تعد من أكبر فرق البوب الكورية الجنوبية، تعرف باسم "بي.تي.أس"؛ فرقة "فتيان" يقال إنها حققت أعلى المبيعات في تاريخ الغناء، ليس في ما يتعلق بألبومات أغانيها فحسب، بل في كل ما يمت لها بصلة من منتجات؛ شارات، ملابس مطبوعة بصور أعضاء الفرقة إضافة إلى ميداليات الجيب والحقائب والقبعات.

أثناء حفلتهم الأخيرة في لندن على مسرح "ويمبلي"، وبعد أداء أغنياتهم، قضى أعضاء الفرقة نصف ساعة وهم يخاطبون الجمهور المهووس ويحيونه بإنكليزية متواضعة لم يستطع البعض سماعها، وسط تشجيع وتصفيق الآلاف من الفتيات والفتيان الذين حضروا العرض وقوفا على مدرجات المسرح مع عوائلهن، للاستماع إلى فرقتهم الغنائية المفضلة.

أغلب أغاني فرقة بي.تي.أس كانت باللغة الكورية التي يجهلها الغالبية العظمى من الجمهور، لكن هذا الأمر لم ينقص من منسوب الإعجاب والهوس بل إنه، أضاف إلى الأجواء غموضا وإثارة عززتها الموسيقى التي لعبت أوتارها بأنغام مختلفة بعض الشيء على مسامع الجمهور.

الهوس بالمشاهير، يشبه كثيرا أعراض الحب؛ انبهار بالآخر، إعجاب بلا حدود، تشوش في الرؤية وضياع الحد الفاصل بين الواقع والخيال حتى يصل الأمر بالبعض إلى "تأليه" شخصية المحبوب/ النجم. ينجح بعض الناس في الوصول إلى مبتغاهم في نهايات قصص حب سعيدة قد تتوج بالارتباط. لكن، ما الذي يجنيه معجبو فنان أو فنانة معينة غير الوهم؟ أكثر من هذا، فإن الأمر يبدو مكلفا للغاية.. أن تتم "مطاردة" النجوم من مسرح إلى صالة سينما ومن مدينة إلى أخرى والدخول في منافسة مع جمهور عريض في بورصة أسعار التذاكر، فيما تخصص ميزانية أخرى للتذكارات؛ قميص أو قبعة مطبوعة عليها ملامح النجوم وابتساماتهم تساوي قيمتها وجبة طعام يمكن أن تتناولها أسرة متوسطة في مطعم فاخر.

> **الهوس بالمشاهير، يشبه كثيرا أعراض الحب؛ انبهار بالآخر، إعجاب بلا حدود، تشوش في الرؤية وضياع الحد الفاصل بين الواقع والخيال حتى يصل الأمر بالبعض إلى «تأليه» المحبوب. ينجح بعض الناس في الوصول إلى مبتغاهم في نهايات قصص حب سعيدة تتوج بالارتباط**

مع ذلك، يبدو هذا الهوس مشروعا في مظهره العام، إذ أنه لا يؤذي إلا صاحبه وفي دائرة ضيقة تشمل الأشخاص في محيطه الاجتماعي.

يسري توظيف الهوس في العالم العربي هذه الأيام، ليشمل أعضاء الهيئة السياسية فهم نجوم من نوع آخر. بعض الناس لا يترددون في بذل الغالي والرخيص والمال والبنين، فداء لـ"هالة" سياسية لا ترقى إلى مستوى نجمة في فندق رخيص، وهم يفعلون هذا بكامل إرادتهم ومن دون أي ضغوط خارجية فالحب والهوس لديهم مبذول بسخاء؛ مثل مجرى نهر في موسم فيضان.

الهوس برجال السياسة قد يصل إلى تقبيل أحذيتهم أو إطارات سياراتهم والتبرك بلمس أيديهم، التي لا تشبه أيدي نبي فهي لا تشفي الآخرين من العمى. وعندما يموت رجل السياسة، يتحول بفعل جمهوره المهووس إلى نصف إله يتعكز على نصفه الآخر.. مجرد إطار لصورة مقيتة تعلق على جدران وطن مهزوم.

موضة

الجاذبية عنوان موضة النظارات الشمسية

لا تقتصر أهمية النظارة الشمسية على حماية العين، بل إنها إكسسوار يضفي لمسة نهائية على المظهر.

وقالت كيرستين كروشينسكي، من جمعية "الرؤية الجيدة" الألمانية، إن الجاذبية تمثل عنوان موضة النظارات الشمسية في صيف 2019؛ حيث تخطف الأنظار بأحجامها الكبيرة وألوانها.

وأوضحت الخبيرة أن النظارة الشمسية تطل هذا الموسم بحجم XXL، ويُعرف هذا الموديل باسم "Shield"؛ وتضم عدسات من لوح واحد لتضفي على المظهر طابعا عصريا للغاية.

وأضافت أن النظارة الشمسية تتألق هذا الصيف بأشكال هندسية كالدائرة والمثلث والمربع، مشيرة إلى أن الموديلات ذات الشكل المسدس تشهد رواجا كبيرا هذا الموسم.

وأشارت كروشينسكي أن عدسات النظارات تتألق هذا الصيف بألوان زاهية كالأصفر الشمسي والأزرق البحري والبنفسجي والأخضر الليموني.

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

الاتحاد الأفريقي تحت رقابة دولية لمدة 6 أشهر

فاطمة ساموورا مفوضة عامة لأفريقيا لبدء عملية الإصلاح

تدخل إنفانتينو يجعل أحمد أحمد على فوهة بركان

إثر تصريحات لرئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) السويسري جاني إنفانتينو عن وجوب تحمل المسؤوليات لمعالجة مشاكل الاتحاد الأفريقي (كاف) قرر الطرفان تعيين الأمينة العامة للاتحاد الأول السنغالية فاطمة ساموورا مفوضة عامة لأفريقيا لستة أشهر، في خطوة يتوقع أن تحدّ من نفوذ رئيس الكاف أحمد أحمد. وواجه الاتحاد القاري في الآونة الأخيرة سلسلة تحديات وأحداث مثيرة للجدل، توجت باستجواب رئيسه من قبل السلطات الفرنسية عن شبهات فساد، قبل أيام من انطلاق بطولة كأس الأمم الأفريقية المقامة في مصر.

القاهرة - أصدر الاتحادان الدولي لكرة القدم (فيفا)، والأفريقي (كاف)، بيانا مشتركا يضع الاتحاد القاري تحت إشراف ورقابة دولية لمدة 6 أشهر لتقييم الأوضاع. وقال الفيفا في بيان مشترك إن "المالغاشي أحمد أحمد رئيس الاتحاد الأفريقي اقترح على اللجنة التنفيذية، اللجوء إلى خبرة الاتحاد الدولي للعبة، لتقييم الوضع الحالي داخل "الكاف"، مما يضمن العمل بشكل شفاف ومتفق مع المعايير". وأوضح البيان أن "فاطمة ساموورا تم تعيينها لتكون مشرفا على الكاف لمدة 6 أشهر بداية من أغسطس المقبل وستتم مساندتها من الاتحاد الأفريقي في المرحلة المقبلة لمراجعة كل شيء وتقييم الأمور". وأضاف أن "فاطمة تستمر في تواجدها بالكاف مع منصبها في الاتحاد الدولي كأمين عام للفيفا".

وجاء في البيان أن أحمد اقترح على اللجنة التنفيذية للكاف الأربعاء "طلب خبرة الفيفا لتقييم الوضع الراهن في الهيئة الأفريقية الحاكمة والمساعدة بشكل قاطع في تسريع تطبيق عملية الإصلاح الجارية، والتي تهدف إلى ضمان أن الكاف يعمل بشفافية وفعالية مع التزام أعلى معايير الحوكمة".

وفي حين أكد الطرفان إجراء عملية تدقيق شاملة للكاف في أقرب فرصة ممكنة، شددا على أن ساموورا التي سيعاونها فريق من الخبراء، ستعمل في شراكة مع الرئيس أحمد وفريقه، لتولي مهام واسعة في الإشراف على سير عمل إدارة الكاف بما يشمل الحوكمة والإجراءات الإدارية، ضمانا لفعالية واحترافية كل منافسات الكاف، ودعما لنمو وتطوير كرة القدم في كل بلدان ومناطق الكاف". وستحتفظ ساموورا خلال هذه الفترة بمنصبها الدولي في الفيفا، وستفوض مهامها بموافقة من مجلس الاتحاد على هذا الإجراء الاستثنائي والمؤقت.

> أحمد أحمد واجه في الفترة الماضية سلسلة أحداث دفعت بإنفانتينو الذي كان داعما له في انتخابات 2017، إلى إبداء انتقادات علنية

ويأتي البيان المشترك بعدما ألقت السلطات الفرنسية منذ أسابيع القبض على أحمد أحمد من فندق كان يقيم فيه في باريس للاستماع إليه عن شبهات حول تورطه في قضايا فساد وفقا لمجلة "فرانس فوتبول"، قبل إخلاء سبيله مساء نفس اليوم.

وقالت المجلة الفرنسية إن قرار القبض على أحمد أحمد جاء على خلفية شبهات فساد واجهها في صفقة تعاقد الـ"كاف" مع أحد الرعاة من شركات الملابس والأدوات الرياضية. وأوضحت أن رئيس الـ"كاف" رفض التعاقد مع شركة "بوما" الألمانية لتزويد الاتحاد بملابس وأدوات رياضية، وقام بالتعاقد مع شركة "تاكتيكال ستيل" الفرنسية بسعر يفوق عرض بوما. كما أشارت مجلة "جون أفريك" الفرنسية إلى أن أحمد منح رشى قدرها 20 ألف دولار لرؤساء اتحادات وطنية، كما طلب الحصول على معدات كرة قدم لفائدة الكاف بقيمة 830 ألف دولار من شركة يملكها أحد أصدقائه. إضافة إلى شرائه سيارتين جديدتين على حساب الكاف مقابل 400 ألف دولار، واحدة منهما متواجدة في مصر أما الأخرى فمتواجدة في مسقط رأسه مدغشقر. وكان أحمد أحمد رئيس الاتحاد الأفريقي قد رد على تلك الادعاءات منذ أشهر قائلا "جميع القرارات اتخذت بشكل جماعي وبشفافية".

أحمد أحمد مرتاح

انتخب أحمد رئيسا للاتحاد القاري في 2017، متفوقا في الانتخابات على الكاميروني عيسى حياتو الذي قاد الاتحاد الأفريقي لنحو ثلاثة عقود، وواجه خلال ولايته اتهامات بالفساد أيضا. وأتى الإعلان عن تعيين ساموورا متزامنا تقريبا مع مؤتمر صحافي للرئيس المالغاشي للاتحاد القاري، عقده في القاهرة عشية انطلاق كأس الأمم. وقال أحمد "أنا مرتاح جدا، لكن لا أحب أن أستخدم: أنا. الكاف ليس أحمد، هو منظمة، فريق (...) المكونات موجودة ليكون الكاف ناجحا". وواجه أحمد في الفترة الماضية سلسلة أحداث دفعت بإنفانتينو الذي كان داعما له في انتخابات 2017، إلى إبداء انتقادات علنية للكاف. وقال إنفانتينو في تصريحات صحافية "من الواضح أن ثمة مشاكل في كرة القدم الأفريقية، الوضع الحالي يثير قلقي وقلق الفيفا. والعديد من الاتحادات (الوطنية) الأفريقية تطالبنا بالقيام بأمر ما، سنتحمل تولي مسؤولياتنا".

وردا على سؤال عمّا إذا كان التغيير في حوكمة الكاف مطلوبا، قال إنفانتينو الذي تولى رئاسة الفيفا إبان مطلع 2016 في أعقاب سلسلة فضائح فساد هزت الكرة العالمية، "سنرى. لن نختبئ خلف حجة: هذا الكاف، وهذه إفريقيا، وهذا الأمر لا يعنينا في الفيفا.. كلا، الأمر يعنينا". على الرغم من ذلك، كان فريق أحمد قد أبدى ارتياحه قبيل انطلاق الكاف. وقال أحد مستشاريه إن "المحنة التي عاشها الرئيس أحمد باتت خلفه الآن. ليس متهما، ولا توجد بحقه أي ملاحقات"، مضيفا أنه "حر واستأنف نشاطه في الاتحاد الأفريقي وترأس مجموعة من الاجتماعات في إطار تنظيم كأس الأمم".

وتم استدعاء أحمد في إطار تحقيق قضائي مفتوح في مرسيليا الفرنسية، يتعلق بإلغاء الكاف في ديسمبر 2017، عقدا مع شركة "بوما" للتزود بتجهيزات وملابس لـ580 متطوعا في بطولة الأمم الأفريقية للمحليين (شان) التي استضافها المغرب مطلع عام 2018. وانضمّ التحقيق إلى سلسلة أحداث مثيرة للجدل في الكرة القارية مؤخرا. فتنظيم أمم أفريقيا 2019، أكبر نسخة من البطولة القارية بمشاركة 24 منتخبا بدلا من 16، كان معقودا للكاميرون، إلى أن رأى الاتحاد القاري أن البلاد غير جاهزة على مستوى البنى التحتية والوضع الأمني غير المستقر، ومنح التنظيم إلى مصر في يناير الماضي.

في أبريل، أعلن الاتحاد الأفريقي إقالة أمينه العام المصري عمرو فهمي، نجل الأمين العام التاريخي مصطفى فهمي، وتعيين المغربي معاذ حجي بدلا منه. وأتت الخطوة بعد تقارير عن إرسال عمرو فهمي إلى الاتحاد الدولي (فيفا) رسالة يتهم فيها أحمد بالفساد في مجالات عدة، وصولا إلى حد التحرش الجنسي بموظفات في الكاف. أما ثالثة الأثافي فكانت مباراة الإياب للدور النهائي لمسابقة دوري الأبطال بين الترجي التونسي حامل اللقب والوداد البيضاوي المغربي في 31 مايو. فقد أعلن النادي التونسي فائزا باللقب وسلّم له الكأس في احتفال مشهود بعد انسحاب اللاعبين المغاربة احتجاجا على تعطل تقنية المساعدة بالفيديو في التحكيم خلال مباراة العودة على الملعب الأولمبي برادس، وقد كانت النتيجة حينئذ تقدّم المضيف التونسي بـ(1–0)، بعد نتيجة (1–1 ذهابا).

> ساموراخلال هذه الفترة ستحتفظ بمنصبها الدولي، وستفوض مهامها بموافقة من مجلس الاتحاد على هذا الإجراء الاستثنائي والمؤقت

لكن الاتحاد القاري قرر بعد اجتماع طارئ، إعادة مباراة الإياب على أرض محايدة بعد نهاية بطولة كأس الأمم، في خطوة أثارت احتجاج طرفي المباراة ولاسيما الجانب التونسي. وطرح محللون شكوكا حول قدرة أحمد أحمد على الاستمرار في موقعه على رأس الاتحاد الأفريقي. ويقول جيمس دورسي من جامعة "أس راغارتنام" للدراسات الدولية في سنغافورة، إن "مصداقيته الشخصية على المحك، ولكن كذلك مصداقية منظمات عصفت بها خلال العقد الأخير فضائح متتالية". وأكد رئيس الكاف، في مؤتمر صحافي، أنه كلف نائبه أنطوني بافوي بمتابعة الأمر، موضحا أنه سيصدر بيانا بشأن الأمر. وتابع "لن أعلق بالرفض أو القبول، سندرس ونصدر بيانا رسميا لتوضيح الأمر والتعليق عليه".

وأضاف "أمرت بعقد جلسة استماع ونحن نسمع أينما حللنا بقضايا فساد وطلبنا من الفيفا أن يتحرّى ويتحقق ممّا يحدث في الكاف، وأطلب منكم أن تنتظروا النتائج ولا تستمعوا للشائعات". وأنهى أحمد أحمد تصريحاته "هناك أمل في تغيير الأمور من أجل تطوير كرة القدم في إفريقيا وما لا أحبه في الحياة الأكاذيب ونكران الجميل".

وفي سياق آخر أكد أحمد أحمد رئيس الاتحاد الأفريقي لكرة القدم، أنه لا يملك دعوة رئيس الكاميرون لحضور حفل افتتاح كأس أمم أفريقيا، لكون الأمر محكوما بالقواعد البروتوكولية التي تنص على أن دعوة أي رئيس دولة أمر يرجع إلى البلد المنظم. وقال أحمد أحمد "على الصعيد الشخصي، كنت سأدعو رئيس الاتحاد السابق عيسى حياتو فورا لحضور افتتاح أمم أفريقيا، رغم أنه لم يوجه لي التهنئة بعد فوزي برئاسة الكاف، بعد مرور عامين على وصولي إلى المنصب، فالرجل يواجه دعوات قضائية ضده داخل مصر، ولا نستطيع دعوته لحضور البطولة".

الأكثر نفوذا

تعد ساموورا أول امرأة تشغل هذا المنصب الذي استحقته بعد أكثر من 20 عاما من تكريس حياتها للعمل الإنساني بالأمم المتحدة، وقد صرحت عقب توليها منصبها باتحاد الكرة قبل مونديال روسيا "في الأمم المتحدة كنت مدافعة عن النساء وفي الفيفا سأكون كذلك". ومونديال روسيا الذي انتظم سنة 2018 هو الأول لساموورا بعد توليها منصبها، وهي تثق أنه سيكون "الأفضل في التاريخ". وعن توليها منصبها قالت ساموورا في تصريحات لهيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي) "وصلت إلى منظمة يهيمن عليها الرجال. الآن اعتادوا علي.. هناك الكثير من كان يعتقد أن امرأة سوداء البشرة لا يجب عليها تولي منصب إداري في الفيفا ولكنهم رأوا أن الأمر ممكن".

وفي نفس المقابلة قالت ساموورا "لا أريد أي عنصري بالقرب مني. لا أحد يسأل رجلا أبدا ما إذا كان يستطيع تولي منصب. يتم افتراض أنه قادر على هذه المهمة". بدأت ساموورا مشوارها بالأمم المتحدة عام 1995 ضمن برنامج الأغذية العالمي وشغلت منصب الممثلة الوطنية في عدة دول بأفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية وأوروبا. وعن عملها الحالي كأمين عام للفيفا يقولون من الاتحاد إن شخصيتها القيادية ورؤيتها ساهمتا في "تحرير سيدات وشابات وتغيير حيوات وحماية البيئة". والأمينة العامة السنغالية التي تتحدث أربع لغات هي الفرنسية والإنكليزية والإسبانية والإيطالية، اعترفت في يونيو 2016 أن اختيارها لمنصب الأمين العام بالفيفا "يثبت أن عالم كرة القدم يتغير عبر التنوع في أعلى مستويات إدارته".

وتابعت "ولكن تعييني في المنصب لن يغير وحده بالتأكيد وجهة النظر الموجودة لدى أغلب الناس، وهي أن كرة القدم رياضة ذكورية.. من الضروري إحداث مثل هذه التغييرات في الاتحادات الأعضاء". وظهر اسم ساموراي في قائمة مجلة "فوربس" للنساء الأكثر نفوذا في الرياضة متقدمة على البوروندية ليديا نسيكيرا، أول امرأة تشكل جزءا من مجلس الفيفا الحالي.

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

الجزائر والمغرب يطلقان رحلة البحث عن اللقب الأفريقي الثاني

«ثعالب الصحراء» و«أسود الأطلس» في مهمة سهلة أمام كينيا وناميبيا

يبدأ منتخبا الجزائر والمغرب مشاركتهما في منافسات بطولة كأس الأمم الأفريقية 2019 في كرة القدم التي تستضيفها مصر حاليا بمباراتين، الأحد، ضد كينيا وناميبيا على التوالي ضمن المجموعتين الثالثة والرابعة، ويسعى كل فريق للحصول على النجمة الثانية التي كان أحرزها "ثعالب الصحراء" في العام 1990 بالجزائر و"أسود الأطلس" في العام 1976 بإثيوبيا.

جمال بلماضي واثق في أشباله

القاهرة - يبدأ مدرب المنتخب المغربي الفرنسي هيرفي رونار في البحث عن اللقب الثالث الشخصي له ضمن بطولة الأمم الأفريقية، عندما يقود "أسود الأطلس" في مواجهة ناميبيا، في أولى مبارياته ضمن منافسات المجموعة الرابعة الصعبة التي تضم ساحل العاج وجنوب أفريقيا.

ويحمل رونار، وهو المدرب الوحيد الذي توج مرتين مع منتخبين مختلفين (زامبيا 2012 وساحل العاج 2015)، عبء قيادة المنتخب المغربي إلى لقبه الأول في المسابقة منذ 43 عاما، وتوج المغرب بطلا في عام 1976 على حساب غينيا في النسخة الوحيدة التي حسمتها المجموعات، ومنذ ذلك الوقت بلغ النهائي مرة وحيدة عندما خسر أمام تونس في 2004.

واحتفظ رونار بمعظم تشكيلته التي برزت في مونديال روسيا 2018، حيث كان قاب قوسين أو أدنى من بلوغ الدور ثمن النهائي عن مجموعة صعبة ضمت إسبانيا والبرتغال وإيران، ويعول بشكل كبير على صانع ألعاب أياكس أمستردام الهولندي حكيم زياش الذي برز هذا الموسم وساهم في بلوغ فريقه الدور نصف النهائي لدوري أبطال أوروبا.

وعكّرت تحضيرات المنتخب المغربي هزيمته في وديتين قبل البطولة أمام زامبيا 2-3 وأمام غامبيا 0-1، وانسحاب المهاجم عبدالرزاق حمدالله من التشكيلة لسبب معلن هو الإصابة، ولسبب مضمر، هو خلاف مع زميله فيصل فجر بعد قرار الأخير تنفيذ ركلة جزاء نالها المنتخب في الثواني الأخيرة من اللقاء الودي ضد غامبيا، دون أن يفلح في تحويلها إلى هدف. وقال حارس المنتخب أحمد رضى التكناوتي على هامش حصة تدريبية للمنتخب "نحن مستعدون.. نحن مركزون جدا، الأهم بالنسبة إلينا هو المباراة الأولى، إن شاء الله نحقق الفوز ونصبح قريبين من الدور الثاني".

وأضاف "الأجواء وكل شيء بخير.. نتمنى من الجمهور المغربي أن يؤازرنا بكثافة، وأن نتمكن من أن نهديه الفوز في المقابلة الأولى".

وبعد مرور أكثر من 11 عاما على المواجهة الوحيدة السابقة بينهما في بطولات كأس الأمم الأفريقية لكرة القدم، يتطلع المنتخب المغربي لكرة القدم إلى فوز مماثل على نظيره الناميبي عندما يلتقي الفريقان، الأحد، في افتتاح مباريات المجموعة الرابعة بالدور الأول للنسخة الحالية من البطولة الأفريقية والتي تستضيفها مصر.

وكان المنتخب المغربي "أسود الأطلس" سحق نظيره الناميبي "المحاربون الشجعان" 5-1 في افتتاح مسيرة الفريقين بدور المجموعات في كأس أمم أفريقيا 2008 بغانا.

ويطمح أسود الأطلس إلى تحقيق بداية جيدة في هذه النسخة، لاسيما وأن الفريق يخوض البطولة الحالية ضمن مجموعة نارية تضم أيضا جنوب أفريقيا وساحل العاج.

ويحتاج المنتخب المغربي إلى النقاط الثلاث في مباراة الأحد، إذا أراد تحقيق التأهل للدور الثاني، خاصة وأن المنتخب الناميبي هو الأقل خبرة والأضعف من حيث الإمكانيات التي يتنافس فيها مع ثلاثة أبطال سابقين.

ورغم هذا الفارق الكبير في الإمكانيات ينتظر أن يتعامل المنتخب المغربي بحذر شديد مع هذه المباراة، خاصة وأن المنتخب الناميبي فجر مفاجأة خلال استعداداته للبطولة عندما تغلب على نظيره الغاني 1-0 في المباراة الودية التي أقيمت بينهما في دبي بالإمارات العربية المتحدة.

ويتمتع المنتخب المغربي بتاريخ حافل على مستوى القارة الأفريقية، حيث يشارك في نهائيات البطولة للمرة الـ17، لكنه لم ينجح في إحراز اللقب إلا مرة واحدة عندما استضافت إثيوبيا النهائيات عام 1976 وأقيمت منافساتها بنظام دوري من دور واحد بين جميع الفرق المشاركة ليحصل المنتخب المغربي على أكبر عدد من النقاط.

وقد تصبح هذه النسخة بمثابة خط النهاية لعدد من أسود الأطلس الذين تجاوزوا الثلاثين مثل نبيل درار ومانويل دا كوستا وبنعطية وبوصوفة والأحمدي وبوطيب، كما قد تكون ضربة بداية حقيقية لعدد من النجوم الشبان بالفريق مثل حكيمي ونصير مزراوي وأسامة الإدريسي والمهاجم يوسف النصيري.

> **خلال 23 بطولة، منذ العام 1976، فشل المنتخب المغربي في الفوز باللقب القاري رغم وصوله إلى نهائيات كأس العالم ممثلا للقارة السمراء أكثر من مرة**

وفي المقابل، يعتمد المنتخب الناميبي بقيادة مديره الفني الوطني ريكاردو مانيتي (44 عاما) على مجموعة من اللاعبين الذين ينشطون بالدوري المحلي، أو في أندية مختلفة داخل القارة الأفريقية، باستثناء اللاعب الشاب رايان نيامبي الذي يلعب للبلاكبيرن الإنكليزي ومانفريد شتاركه الذي ينشط بأحد الأندية المغمورة في ألمانيا.

ويبرز من لاعبي الفريق المهاجم بينسون شيلونجو (27 عاما) نجم فريق الإسماعيلي المصري، والذي لعب لأندية مختلفة قبل أن يستقر به المقام في الإسماعيلي، ومنذ عام 2012 خاض شيلونجو 26 مباراة دولية مع المنتخب الناميبي وسجل خلالها تسعة أهداف.

وقد يستفيد الفريق الناميبي من معرفة شيلونجو بالأجواء المصرية كما قد يستفيد الفريق من خبرة مانيتي بالبطولة، حيث كان لاعبا في صفوف المنتخب الناميبي خلال كأس أمم أفريقيا 1998.

وبدورها تبحث الجزائر بقيادة المدرب جمال بلماضي عن لقب ثان تضيفه إلى الكأس التي حملها منتخبا "ثعالب الصحراء" عام 1990 بين جماهيره.

وتعرّض المنتخب قبل أيام من انطلاق البطولة إلى هزة تمثلت باستبعاد لاعب وسط بريست الفرنسي هاريس بلقبلة لأسباب انضباطية بعد انتشار شريط مصوّر على مواقع التواصل الاجتماعي، واستدعي مهاجم مونبلييه الفرنسي أندي ديلور بدلا منه ضمن تشكيلة تضم الكثير من اللاعبين المولودين في فرنسا، لكنهم فضلوا الدفاع عن ألوان بلدهم الأم.

وقال ديلور في تصريحات عبر حساب المنتخب عبر مواقع التواصل الاجتماعي بعد مشاركته في أول حصة تدريبية له، إن "استدعائي للانضمام إلى الفريق كان موضع فخر.. لم أصدق الأمر، صعدت على متن الطائرة ولم أستوعب إلى أن بدأت بالتمرين مع المجموعة".

وأضاف "أمل في أن أقدم كل الممكن لبلدي.. قمت بدوري بنسبة 100 بالمئة لأكون جاهزا"، متابعا "المهم أننا سنحاول الذهاب حتى النهاية".

ومضت تسعة أعوام على بلوغ منتخب ثعالب الصحراء مراحل متقدمة في البطولة، أي الدور نصف النهائي عام 2010، لكنه يملك كل المؤهلات للذهاب بعيدا في نهائيات مصر 2019.

ويخوض المنتخب الجزائري، الأحد، على ملعب 30 يونيو في القاهرة مباراته الأولى ضد كينيا ضمن منافسات المجموعة الثالثة.

وضمن المجموعة ذاتها، تبدأ السنغال المرشحة بقوة لإحراز اللقب معولة على تشكيلة تضم في صفوفها مهاجم ليفربول الإنكليزي ساديو مانيه (الغائب عن المباراة الأولى بسبب الإيقاف) ومدافع نابولي الإيطالي كاليدو كوليبالي، المنافسات بمواجهة تنزانيا التي تشارك في البطولة القارية للمرة الثانية، بعد انتظار دام 39 عاما.

وقلل مدرب المنتخب السنغالي آليو سيسيه من شأن غياب نجم خط هجومه عن المباراة الأولى، معتبرا أن ذلك "لا يجب أن يزعجنا بأي طريقة.. بالتأكيد وجود ساديو مفيد، لكننا نبقى أقوياء من دونه".

ويحتل المنتخب السنغالي المركز 22 في تصنيف الاتحاد الدولي (فيفا) مقابل 131 لتنزانيا، وهو أكبر فارق بين منتخبين في دور المجموعات لنسخة 2019 من البطولة.

وقلل مدرب تنزانيا إيمانويل أمونيكي الذي توج مع نيجيريا باللقب القاري كلاعب قبل 25 عاما "لا تتفاجأوا بحال رأيتم بعض المنتخبات التي تعتبر من الكبار، تحزم حقائبها بشكل مبكر وتعود إلى ديارها".

المنتخب المغربي يسعى إلى تجديد حلم طال انتظاره

زمن الخيانة المشروعة

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

إذا دخلت نابولي وخضت تجربتك مع فريق هذه المدينة، ثم نجحت في كسب ود جماهيره فاعلم أنك ستحمل على الأعناق، سيتم التغني بك وتصبح رمزا ومعشوقا لدى الجميع. لكن حذار، فالدخول الآمن لا يقابله دائما خروج هادئ، فالحب الجارف يتحول أحيانا إلى كره شديد، وأهازيج العشق تغدو شتائم.

لا تلعب بالمرة بمشاعر أنصار نادي نابولي حتى وإن كنت في قيمة مارادونا، حتى وإن قدت الفريق إلى أعلى المناصب، ففي عرف هؤلاء الأنصار "إن لم تكن معي فأنت عدوي".

هذا ما تجلى بالخصوص مع النجم الأرجنتيني غونزالو هيغواين الذي آثر اختيار مغريات مدينة تورينو وقرر الرحيل عن نابولي صوب "السيدة العجوز" منذ موسمين.

لقد أصاب كل عشاق نابولي في "مقتل"، لم يتوقعوا أن تصيبهم سهام الخيانة من ابن بلد الأسطورة السابقة للنادي مارادونا، فتلك الجماهير كانت مستعدة كي تشيّد التماثيل والقصور لهيغواين في سبيل بقائه مع الفريق، كانت مستعدة كي تهبه كل شيء وتساويه بمارادونا، لكن اختار باب الخيانة ورحل مخيّرا وليس مسيّرا نحو معسكر العدو.

لقد تناسى كل الإبداعات التي حققها مع نابولي واستفزته سطوة اليوفي محليا، أراد أن يتذوّق طعم التتويجات والبطولات من بوابة أخرى، لكن أي عين أصابتك يا غونزالو.

لقد ضربته "لعنة" عشاق نادي الجنوب، فالمقام المريح لم يطل به أكثر من موسم واحد مع يوفنتوس ليضطر هذه المرة إلى الرحيل مجبرا نحو وجهة جديدة علّه يرتاح من "تأنيب الضمير" ويتخلص من اللعنة، ليتيه إلى اليوم مع تشيلسي ويصبح لاعبا من الدرجة الرابعة وغير مرغوب فيه.

لكن ثمة من سار على خطى هيغواين، هذه المرة ليس لاعبا حاز حب أنصار نابولي، بل هو مدرب يعتبر بمثابة الرمز والقدوة، مدرب غيّر خلال السنوات الماضية وجه نابولي وجمّله ليجعله فريقا قويا قادرا في كل موسم على مزاحمة اليوفي والمنافسة على اللقب.

هو ماوريسيو ساري الذي انتقل بعد نهاية الموسم قبل الماضي إلى نادي تشيلسي، لقد اختار خوض تجربة جديدة بعيدا عن سخونة مدينة الجنوب، رحل بحثا عن بعض الهدوء والسكينة في مدينة الضباب لندن، وأراد أن يلج عالم أوروبا عبر دوري قوي ومحتدم التنافس.

من المؤكد في تلك الفترة أن الكل في نابولي أراد أن يواصل "العرّاب" ساري المهمة أملا في أن يحقق حلم ثلاثين سنة من الانتظار، والتتويج بلقب الدوري الإيطالي الذي غاب عن الفريق منذ رحيل الأسطورة مارادونا، بيد أن "عقل" ساري كان منجذبا نحو أفق جديد، أصر كثيرا على موقفه فلم تُمَانعه الجماهير طالما وأن وجهته الجديدة لن تكون صوب أحد الخصوم.

بدأ ساري مهمته مع تشيلسي أراد أن يحقّق شيئا هناك، لم يقدر على المنافسة في الدوري المحلي في ظل تألق قياسي وسيطرة مطلقة من قبل مانشستر سيتي وليفربول.

غيّر المدرب الإيطالي أهدافه، فركز على مسابقة الدوري الأوروبي، فأنقذ موسمه بلقب أسعده كثيرا وأبكاه كثيرا، فساري طالما حلم بأن يتذوّق طعم الألقاب التي لم يعرفها في السابق رغم أنه تجاوز الستين من العمر.

بيد أن الإخفاق محليا جعله يدرك جيدا أن النجاح غير مضمون في عالم المنافسة المستعرة في الدوري الإنكليزي، أدرك أيضا أن اللقب الأوروبي لن يساهم كثيرا في تقوية موقفه تجاه إدارة نادي تشيلسي وجماهيره.

إذن، فالحل الأسلم هو البحث عن وجهة جديدة، وجهة توفر كل الضمانات التي تساعده على تعويض "السنوات العجاف"، فساري المهووس بحب الألقاب فتحت أمامه أبواب السماء في عمر متأخر، وما حقّقه سابقا مع نابولي أو مع تشيلسي يمنحه الشرعية كي يتولى المسؤولية مع فريق قادر على جني الألقاب بسهولة.

ربما من حسن حظه أن اليوفي تخلى عن مدربه السابق أليغري، الفرصة تبدو مواتية، عرف جيدا أنه يعتبر حاليا من بين المدربين المؤهلين لتولي المهمة، لذلك لم يفكر كثيرا كان يتحرّق شوقا للعودة إلى الدوري الإيطالي مهما كلفه ذلك.

فكّر كثيرا في العودة، لكنه يبدو أنه لم يفكّر في ردة فعل تلك الجماهير التي حملته في السابق على الأعناق في نابولي، ربما تناسى تلك اللحظات العاطفية مع أولئك الأنصار.. ربما تناسى وتجاهل كل الوعود التي ضربها بأنه لن يعود إلى إيطاليا إلا لتدريب نابولي.

لكن ساري اختار النهج الآخر، خيّر تحسين مجده الشخصي وأقنع نفسه بأن زمن الاحتراف يعطيه الأحقية كي يختار الوجهة التي تناسبه، فوافق دون تردد على عرض اليوفي، وافق أن "يخون" العهد ويغلق نهائيا صفحة الماضي، وافق على السير على خطى هيغواين.

لم تعد تهمّه بالمرة مزاجية أنصار نابولي، فرغم أنه يدرك جيدا أن هؤلاء الأنصار سيهاجمونه بشدة ويطلقون عليه "أشنع" الصفات، إلاّ أن طريق الألقاب لا يمر من بوابة الجنوب، بل إن تلك "السيدة العجوز" هي وحدها من تستأثر بالبطولات والألقاب.

حل ركب ساري بمدينة تورينو، سيضع سدّادة على أذنيه حتى لا يضطر إلى سماع تلك الهتافات المعادية من قبل جماهير نابولي التي بدأت تردّد أهازيج مثل "القائد القيّم لا يقع في العار، لقد بعت الكرامة لأولئك الذين لديهم قصر من الممتلكات". لكن في زمن "الغدر" تطغى الرغبات الشخصية على كل الأهواء العاطفية، و"الخيانة" تكتسب مشروعيتها من طموحها.

هاميلتون أول المنطلقين

باريس - سيكون بطل العالم البريطاني لويس هاميلتون أول المنطلقين، الأحد، في سباق جائزة فرنسا الكبرى، ضمن المرحلة الثامنة من بطولة العالم للفورمولا واحد لعام 2019، بعد تصدره على متن سيارته مرسيدس التجارب الرسمية السبت، على حلبة بول ريكار أمام زميله الفنلندي فالتيري بوتاس.

وهذه هي المرة الـ86 التي ينطلق فيها هاميلتون من المركز الأول بمسيرته الاحترافية والثالثة هذا الموسم بعد الأولى في جائزتي أستراليا وموناكو في المرحلتين الأولى والسادسة من بطولة العام الحالي، كما أن فريقه مرسيدس سينطلق من المركز الأول للمرة السادسة هذا الموسم وبثنائية سادسة أيضا في الانطلاق.

وأكد فريق "الأسهم الفضية" سيطرته على منافسات هذا الموسم بعدما حقق بداية تاريخية لبطولة 2019، بثنائية المركزين الأولين خمس مرات في المراحل الخمس الأولى.

ويتصدر هاميلتون الترتيب العام برصيد 162 نقطة أمام بوتاس 133 نقطة وفيتل 100 نقطة وفيرشتابن 88 نقطة.

للمرة 86

العرب
الأحد 2019/06/23
السنة 42 العدد 11386

طبيبات عربيات يرسمن اللوحات بالمشارط

الرسم دواء فعال للتخلص من التوتر والاضطرابات النفسية، وتحسين الحالة المزاجية، كما أنه شديد الارتباط بعالم الطب، حيث حاولت الكثير من الطبيبات معالجة أوجاع الناس بالأدوية وأوجاع مجتمعاتهن بفرشاة الرسم.

لوحات بإمضاء الطبيبة رنا عامر

لندن - قد يبدو البحث في علاقة الطب بالرسم طرحا لا يمت للواقع بصلة خاصة حين نقول، إن وجه الشبه يكمن في أن الطب يعالج الداء والرسام يزيّن المعاناة بالألوان، لكن الحقيقة التي ربما تغيب عن البعض وهي أن الرسام الذي يدخل كلية الفنون الجميلة يدرس مادة التشريح، وهي مادة ارتبطت بكلية الطب، هناك حيث يعتمد أساتذة تدريس الطب وفي الدروس النظرية على الصور والرسومات لشرح علومهم.

ومن الرسامين العالميين الذين تفطنوا إلى أهمية فهم الجسد من خلال تشريحه، الإيطالي ليوناردو دافنشي وذلك بفضل معرفته الواسعة بالجسم البشري وبمكوناته وتفاصيله، حيث قام بتشريح الجثث بنفسه، الأمر الذي ساعده على الإبداع في لوحاته الشهيرة.

وذكر تقرير نشره موقع "ويفوروم" أن دافنشي كان مفتونا بالجسم البشري، وكان يخفي احتقاره للرسامين الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء علم التشريح، حيث كان ينتقد هؤلاء الذين يرسمون شخصياتهم العارية التي تشبه الخشب، خالية من التفاصيل.

هذه العلاقة المتداخلة بين الرسم والطب لا تجعلنا نستغرب من وجود أطباء رسامين، فالمشاعر والخيال يمكن أن يفتحا الطريق أمام الطبيب ليقتحم مجال الفن، وإذا كان الطب حلم الطفولة، فإن الرسم لعبة يلهو بها الصغار وخاصة الفتيات، وقد تكبر هذه اللعبة مع البعض منا لتصبح موهبة وابتكارا، وهو ما حصل مع العديد من الطبيبات العربيات اللاتي نجحن في مداواة المرضى، كما أبدعن في التعبير عن ذواتهن بالفرشاة.

وتقول الطبيبة الفلسطينية ملك جابر، "تركت الرسم طوال سنين دراستي وحتى سنوات طويلة بعد التخرج، إلى أن بدأت دراستي للماجستير في علم الأوبئة، وتعرضت لضغوط كثيرة خلال تلك الفترة، فلم أجد منفذا سوى العودة إلى الرسم، وعندها بدأت رسم الخيول والعيون، وانتقلت بعدها لرسم الشخصيات والرموز الوطنية والعالمية".

وكانت بداية الطبيبة السودانية، رنا عامر، اللهو بالفرشاة والألوان، وقد تخصصت في ما بعد في فن الكاريكاتير إلى جانب دراستها في كلية الطب بالخرطوم. وتحدثت عامر عن علاقة الطب بالرسم، قائلة "يشترك الاثنان في الإحساس بأوجاع الناس، فالطب يعالج المشاكل الصحيّة ورسام الكاريكاتير يعالج أمراض المجتمع المتنوعة سواء كانت سياسية، اجتماعية، اقتصادية".

ومن طب الأسنان كثيرات عشقن الرسم، فالعلاقة قوية بين هذا العلم وفن الرسم، كما أوضحت طبيبة الأسنان الفلسطينية، ريم عوض، "طب الأسنان فيه جمالية، وجميل أن ترى التغيير على وجوه مرضاك وتخفف أوجاعهم، وحين تنتقل إلى الرسم، فأنت تخلق حياة وجمالية في اللوحة، الفارق بينهما أنك في اللوحة لا تُصلح أو ترمم، إنما تخلق شيئا جديدا".

طبيبات أسنان كثيرات احترفن الرسم خارج عياداتهن، منهن الشابة المصرية، مروة علي، التي قامت أول مرة برسم شخصية ميكي ماوس الكرتونية على صحن، ولاقت هذه الصورة صدى واسعا على المواقع الاجتماعية، لتواصل تجربتها في رسم شخصيات مرموقة.

عرض سوري يفوز بالجائزة الذهبية في مهرجان تونسي

تونس - فاز العرض السوري "كحل عربي" بطولة روجينا رحمون وإخراج سوزان علي بالجائزة الذهبية للمهرجان الدولي للمونودراما بقرطاج الذي أسدل الستار على دورته الثانية، الجمعة في تونس.

العرض مدته 45 دقيقة ويحكي قصة فتاة فقدت أسرتها في تفجير انتحاري لتبقى وحيدة مع الذكريات حائرة بين البقاء في سوريا أو الرحيل عنها.

وقدم المهرجان على مدى خمسة أيام 27 عرضا عربيا وأجنبيا يعتمد كل منها على الأداء الفردي للممثل على المسرح والذي يعتبر أصعب أنواع العروض الفنية.

وتنافس على الجوائز 11 عرضا من مصر وموريتانيا وإسبانيا وفرنسا وليبيا والأردن والسعودية وسوريا والجزائر والمغرب وتونس. وحصل على المركز الثاني العرض المغربي "طل عليا" بطولة إيمان الإدريسي وإخراج رضوان الإبراهيمي بينما جاء بالمركز الثالث العرض التونسي "الجدود" بطولة خيرالدين بن عمر وإخراج غسان الجديدي.

تشكلت لجنة تحكيم المهرجان برئاسة المخرج والممثل المصري عاصم نجاتي وعضوية الناقد العراقي حسين علي هارف والممثل الفلسطيني أحمد أبوسلعوم وخبير السينوغرافيا الجزائري حمزة جاب الله.

ومنحت لجنة التحكيم جائزتها الخاصة للعرض الإسباني "لا تنساني" بطولة وإخراج ماريا أوبرتو.

وتضمن برنامج المهرجان، الذي أقيم برعاية كل من وزارتي الثقافة والسياحة والصناعات التقليدية، ورش عمل في النقد المسرحي والكتابة والمسرح التفاعلي.

كارينا كابور تمثل الكوميديا الأميركية بروح هندية

نيودلهي - تستعد الممثلة الهندية كارينا كابور للعمل من جديد مع مواطنها النجم عامر خان، بعد ست سنوات من آخر عمل جمعهما سويا.

وتنضم كابور إلى فريق عمل "لال سينغ شادها" المقتبس عن فيلم "فورست جامب" للنجم الأميركي توم هانكس، وفق ما ذكرته قناة "أن.دي.تي.في" الهندية.

وكان خان أعلن في عيد ميلاده الـ54 في مارس الماضي أنه سيقدم نسخة هندية من فورست جامب. ويقوم بإنتاج الفيلم "فياكوم 18 ستوديوس" و"عامر خان برواكشنز"، ويخرجه أدفايت شاندان. ويطرح الفيلم في كريسماس عام 2020.

وكانت كابور شاركت خان في فيلمي "3 إيديتس" عام 2009 و"تلاش" عام 2012.

فورست جامب هو فيلم أميركي كوميدي درامي تم عرضه عام 1994 وهو مأخوذ عن رواية تحمل نفس الاسم صدرت عام 1986 للمؤلف وينستون جروم. وكان الفيلم من إخراج روبرت زيميكس.

«أعرني حلمك».. فن أفريقي متنقل يخطب ود المغرب

الدار البيضاء (المغرب) - بدأت هذا الأسبوع فعاليات معرض "أعرني حلمك" للفن الأفريقي المعاصر بمدينة الدار البيضاء المغربية، في أولى محطات هذا الحدث الذي يضم أعمالا لفنانين أفارقة كبار قبل التجوال على مدى سنة في أرجاء مختلفة من القارة السمراء.

وتشمل فقرات هذا الحدث، بالإضافة إلى المعرض الرئيسي، تكريم فنان محلي يجسّد روح العصر، إلى جانب فقرة مخصّصة للفنانين الشباب يشرف عليها مندوب فني شاب في كل بلد من البلدان التي يحط بها الرحال، علما وأن فعاليات المعرض ستنتقل بعد المغرب إلى السنغال وساحل العاج ونيجيريا وإثيوبيا ثم جنوب أفريقيا.

ويضم المعرض الرئيسي نحو ثلاثين عملا من الأعمال الأساسية لفنانين أفارقة ذائعي الصيت عالميا مثل الغاني إل أناتوسي والجنوب أفريقي ويليام كنتردج والكاميروني بارتولمي توغو والعاجي واتارا واتس والمالي عبداللاي كوناتي.

وقالت سهام ورمونت، المندوبة الفنية للفقرة الخاصة بالشباب في معرض الدار البيضاء، "من المهم أن تعرض أعمال أفريقية في أفريقيا دون حاجة لأي نظرة خارجية أو المرور عبر باريس أو البندقية أو بازل"، في إشارة إلى المدن التي تحتضن ثلاثة من أهم معارض الفن المعاصر في العالم.

وتقام فقرة العارضين الشباب في قاعة بوسط المدينة العتيقة للدار البيضاء، وتقترح تشكيلة جريئة تشمل صورا فوتوغرافية لمحمد الباز تحت عنوان "صداع الحب"، وتتمحور حول موضوع المثلية الجنسية الذي يعد من المحرّمات في المغرب ويعاقب عليه القانون.

وينظم معرض "أعرني حلمك" من جانب مؤسسة تنمية الثقافية المعاصرة الأفريقية. وتطمح هذه المؤسسة الخاصة إلى "تنشيط سوق الفن المعاصر الأفريقي". وتضم مستثمرين وجامعي أعمال فنية.

وتستمر أنشطة هذه التظاهرة إلى غاية 31 يوليو المقبل بالدار البيضاء.

دان أندرو يقبل كلبه راسكال قبل بدء مسابقة أبشع الكلاب في العالم في مدينة بيتالوما بكاليفورنيا

صباح العرب

عدلي صادق

إلين مُختفي

مرّت الكثير من الشخصيات النبيلة، التي نذرت حياتها لمساندة حركات الاستقلال الوطني في بلادنا وبلاد سوانا. فقد أصدرت السيدة الأميركية إيلين مُختفي، عن دار "فيرنو" الأميركية، كتابها الضافي بعنوان "الجزائر عاصمة العالم الثالث" ووضعت بين دفتيه ذوب روحها وذكريات أيامها في الجزائر ومن أجل تحررها الوطني. ففي منتصف القرن الماضي، مرت على فرنسا، ولم تكن تنوي أن تبقى فيها أكثر من أسبوعين، لكنها بقيت لعشر سنوات، لكي ترافق نضال الجزائريين. كانت، في زمن ما بعد الحرب العظمى الثانية؛ مترجمة فورية للمنظمات الدولية، ولوكالات الأمم المتحدة والهيئات النقابية والجمعيات الشبابية!

من باريس، عاصمة مُستعمري الجزائر، أطلت على تفصيلات الحرب الوحشية التي يشنها المستعمرون على الشعب الجزائري، وتابعت هتافات الجزائريين، ثم وقعت في حب بلادهم التي رأتها "قِبلة الثوار" وزادت فأحبت واحداً منهم هو مختار مُختفي الذي حملت اسمه، وتصادقت مع فرانز فانون، الطبيب النفسي والفيلسوف الاجتماعي الذي انضم إلى الثورة الجزائرية. ففي سيرورتها الفكرية، انتقلت من شغفها بمبادئ الثورة الفرنسية، إلى فضاءات تطبيقها على أرض الواقع في الجزائر والأقطار الأفريقية، فتعرفت على زعماء الحركات الاستقلالية في القارة والعالم ولازمت نرجسياتها. وبعد استقلال الجزائر، وجدت مجال عملها في الترجمة بين مختلف زائري البلد المستقل، وقادة البلاد التي استضافت جميع حركات التحرر، من جميع القارات وافتتحت لهم مكاتب تمثيلية.

كانت قبل الاستقلال، قد سافرت إلى نيويورك، لكي تسهم، على مستوى منظمة الأمم المتحدة، في مساندة الثورة الجزائرية في سعيها إلى الاستقلال، فافتتحت مكتباً لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، وباشرت بحماسة عملاً في ترتيب المقابلات بين ممثلي "الجبهة" وممثلي الأمم، فضلاً عن جمع التبرعات وحشد الدعم. فقد استشعرت الحاجة إلى التصدي لدعاية الفرنسيين، عبر جهازهم الدبلوماسي ووسائل إعلامهم التي ارتبطت بعلاقات قديمة مع أوساط الحكم ودوائر النفوذ في أميركا، مستفيدة من بعض التعاطف لدى جون كينيدي مع حركة الاستقلال الجزائرية. وعندما جاء موعد التصويت على القضية الجزائرية، جاءت النتيجة لصالح استقلال الجزائر، بشفاعة نضالها العنيد، وشهدائها، ومساندیها من أنحاء العالم!

بعد الاستقلال، عادت إيلين، مع مختار، إلى أرض المليون ونصف المليون شهيد، "كواحدة من الحالمين الذين جاؤوا لبناء عالم أكثر كمالا" حسب قولها! لم تجد في أواخر حياتها، من يمنحها لقطة احتفاء، في الزمن الذي تردى إلى درجة منح مؤسسة رسمية فلسطينية، الممثلة إلهام شاهين، لقب "سيدة الأرض" وربما سيدة الأرض والسماء!